نُعَـوم تشومسكي

NOAM CHOMSKY

الاستياء العالمي

حوارات مع دَيفِد بَرسَميان

حول التهديدات المتزايدة للديمقراطية

GLOBAL DISCONTENTS

INTERVIEWS WITH DAVID BARSAMIAN CONVERSATIONS ON THE RISING THREATS TO DEMOCRACY

مشروع الإمبراطورية الأمريكية

THE AMERICAN EMPIRE PROJECT

ترجمة وتقديم:

د. محمد جياد الأزرقي



نُعَوم تشومسكي

NOAM CHOMSKY

الاستياء العالمي

حوارات مع دَيفِد بَرسَميان
حول التهديدات المتزايدة للديمقراطية

GLOBAL DISCONTENTS

INTERVIEWS WITH DAVID BARSAMIAN CONVERSATIONS ON THE RISING THREATS TO DEMOCRACY

مشروع الإمبراطورية الأمريكية

THE AMERICAN EMPIRE PROJECT

نُعَوم تشومسكي

NOAM CHOMSKY

الاستياء العالمي

حوارات مع دَيفِد بَرسَميان
حول التهديدات المتزايدة للديمقراطية

GLOBAL DISCONTENTS
INTERVIEWS WITH DAVID BARSAMIAN CONVERSATIONS ON THE RISING THREATS TO DEMOCRACY

مشروع الإمبراطورية الأمريكية

THE AMERICAN EMPIRE PROJECT

ترجمة وتقديم

د. محمد جياد الأزرقي



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

GLOBAL DISCONTENTS: INTERVIEWS WITH DAVID BARSAMIAN CONVERSATIONS ON THE RISING THREATS TO DEMOCRACY

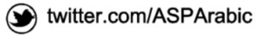
الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2020 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-02-3921-0



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb





www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس،** بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم،** بيروت - هاتف 786233 (9611+)

الإهداء

لأستاذي الجليل الدكتور عبد الواحد لؤلؤة. لقد تعلمنا منه، نحن طلبته في كلية التربية بجامعة بغداد في أواخر ستينات القرن العشرين، الاعتزاز بثقافتنا العربية، والاحتفاء بثقافات شعوب العالم الأخرى واحترامها.

المترجم

المحتويات

مقدمة المترجم

اليوم وبقوة الصور، تبدو الولايات المتحدة في وضع انكشاف داخلي غير مسبوق منذ الحرب الأهلية. وبقوة الصور، تتبدّى رمزية جورج فلويد لقضية تغوّل العنصرية في بلاده. رمزيّته لخّصتها نظرات عينيه الزائغة والملتاعة، وهو يُطلق عبارته الأخيرة قبل أن يودّع الحياة مقيّدًا وعاجزًا، "لا أستطيع أن أتنفّس،" فيما لم يأبه ضابط الشرطة، الذي جثم على عنقه بركبته بمعاناة إنسان يموت بلا عدلٍ ولا رحمة. هذه العبارة بالذات، [https://www.al-akhbar.com/Opinion/289535] ألهمت التظاهرات واستدعت الغضب إلى الشوارع. جورج فلويد، لا هو بطل ولا له تاريخ سياسي، إنّه محض رجل عادي، تاريخه ملتبس، قُتِل عمدًا بسبب لون بشرته أمام كاميرا التقطت تفاصيل الجريمة.

شيء مُقارب حدث في الانتفاضة الفلسطينية الثانية، قبل نحو عقدين في أيلول عام 2000، حين اغتيل برصاص الاحتلال الطفل محمد *الدرّة* أمام الكاميرات، فيما كان يحاول أن يختبئ خائفا في حضن أبيه الملتاع. بقوة الصورة، وما انطوت عليه من قهر إنساني وعنصرية مفرطة لا تقيم وزنًا لحياة طفل أعزل، اندلعت الانتفاضة الفلسطينية مجدّدًا، وعمّت التظاهرات مصر وعالمها العربي، كما لم يحدث من قبل. هكذا تبدّت قوة الرموز والصور في قضية جورج *فلويد*، وتردّدت شعارات "لا عدالة... لا سلام"، ...No Justice No Peace و"حياة السود تَهمّ" Black Lives Matter، في المدن الأمريكية الكبيرة والصغيرة منها. انطلقت حناجر المواطنين هنا بغضّ النظر عن اللون والجنس والعمر والخلفية الاقتصادية، تطالب بالعدالة ووقف التغوّل اليوليسي في شوارع مدنهم وطرقها وحاراتها.

اليوم أيضا، ونحن نواجهُ أخطر أزمة اقتصادية ومالية، وأبشع وباء يضرب العالم وهو الكُرونا، الذي فتك بجميع الدول، بغضّ النظر عن أحجامها أو مكانتها، إلّا أنّه عرّى، بشكل خاصّ، النظام العالمي الحاكم منذ تسعينات القرن الماضي باسم الانتصار التاريخي للرأسمالية واللِبرالية،

المتحكّمة في السياسة والاقتصاد. أمّا قدر تعلق الأمر بنا، فما جرى ويجري في عالمنا العربي هو استعمار غربي لمنطقة، شتّت كياناتها وسرق خيراتها وأورثها نظما هجينة، وأوجد في قلبها نظامًا عنصريا قاتلا وعدوانيًا، شكّل بوظيفته موقعا متقدما للمشروع الإمپريالي، الهادف إلى منع شعوب المنطقة من التلاقي والوحدة؟ أليست هذه بواكير الغزو الغربي لمنطقة الشرق الأوسط؟ هي بالطبع والشكل [https://www.al-akhbar.com/Opinion/289016/] والنتائج، غزوٌ قد اتّخذ أشكالا وشعارات متعدّدة، وحملت رايته دولٌ متنوعة، وإن غلب عليها جميعا الطابع الاستعماري القائم على الحروب والقتل والنهب. والنتيجة المحقّقة، كانت هيمنة استعمارية وكيانات تابعة واستلابا اقتصاديا، حوّلت الإمكانات والموارد الطبيعية ومصادر الطاقة ومشتقاتها والمياه، بالإضافة إلى الموقع الجيوسياسي، إلى ميدان تتجاوز فيه الارتكابات الخارجية مصالح شعوبنا وتهدّد مستقبلها. فالبلاء هنا مزدوج. إنّه مشروع إمپريالي غربي مسكون بعقلية التعالي والفوقية والهيمنة، ونظم سياسية حاكمة، مسكونة بالتخلف وبالدونية والعجز أمام كلّ قادم من جهة الغرب، وعليهما تكوّنت رذيلة الاستتباع وتبادل الخدمات ولو على حساب الشعوب، وهذا ما حصل.

ثُمّ تأتي شهادة ذكيّة مطوّلة صادقة ودقيقة لشاهد جريء من أهلها يحلل ويشخّص ويصف ما جري ويجري وما سيجري، كي يسهّل علينا مشقة فهم هذا العالم المرتبك والواقع المزري، الذي يضرب أطنابه في حواشيه وزواياه. يخبرنا *نعوم تشومسكي* في حواره الأوّل عن دولة التجسس والديمقراطية، أنّه ما كان ضمن جوقة المصفقين لوصول *بَراك أوباما* إلى البيت الأبيض. "إنّني لم أتوقع الكثير من *أوباما*. لقد كتبت عنه نقدا قبيل انتخابات الترشيح الأولية، حين راجعت موقعه على شبكة الإنترنت واطلعت على ما كان يكتبه ويُصرّح به... لكنّني لم افهم غرضه من هجومه المتنامي على الحريات المدنية. لقد تمّ في عهده ملاحقة المبلغين عن المخالفات الحكومية ومعاقبتهم، أكثر من أيّ رئيس في تاريخ البلاد". اعتبر عهده امتدادا لعهد *بُش الإبن* خاصة، "برامجه الإجرامية" في تعزيز أجهزة المراقبة واستعمال طائرات الدرَون في ملاحقة من اعتبِروا إرهابيين وقتلهم، وقتل الناس الأبرياء من حولهم في العراق وأفغانستان واليمن والصومال وغيرها من المناطق الأفريقية. قتل الناس الأبرياء، هو ما ركّز عليه المؤلف *تشومسكي*. وهو سبب وقوفه إلى جانب المبلغين عن جرائم الحرب whistle blower من قبيل *چلسيماننگ وإدور سنودن*.

چلسي إليزابِثماننگ وُلِدت باسم *برادلي إدوار ماننگ*، مواليد ديسمبر1987 وهي ناشطة أمريكية وكاشفة فساد، وجندية سابقة في الجيش الأمريكيّ. أدانتها محكمة عرفيّة في تموز عام 2013 بانتهاك قانون التجسس وغيره من الجرائم، بعد أن كشفت لموقع وِكِليكس نحو 750,000 وثيقة سرية أو غير سرية، ولكن حساسة من الوثائق العسكرية والدبلوماسية. زُجّت بالسجن من عام 2010 حتى 2017 عندما خُففت عقوبتها. أعيد اعتقالها لرفضها المستمر أن تشهد أمام هيئة محلفين كبرى ضد *جولِيَن أسانج*.

عُيّنت *ماننگ* عام 2009 في وحدة عسكرية في العراق كمحللة استخباراتية، كانت لديها إمكانية الوصول إلى قواعد بيانات سرية. في أوائل عام 2010، سربت معلومات سرية إلى وِكِليكس وكشفت عن ذلك بشكل سري لأحد معارفها على الإنترنت، واسمه *إدرِيَن لامو*. أبلغ *لامو* قيادة التحقيقات الجنائية التابعة للجيش بشكل غير مباشر، واعتُقلت *ماننگ* في مايس من العام نفسه. اشتملت المواد المُسربة على مقاطع فيديو للغارة الجوية في بغداد يوم 12 تموز عام 2007 حيث قتِل صحفيون ومواطنون مدنيون أبرياء، ممّا يُعتبر جريمة حرب واضحة، ولغارة غارناي الجوية عام 2009 في أفغانستان، بالإضافة إلى 251,287 برقية دبلوماسية أمريكية، و482,832 تقريرا عسكريا. وقد أصبحت هذه التقارير تُعرف باسم **سجلات حرب العراق ومذكرات الحرب الأفغانية.** نُشرت هذه المواد بواسطة وِكِليكس وشركائها الإعلاميين بين نيسان 2010 ونيسان عام 2011. [https://www.wikiwand.com/ar/%D8%AA%]

اتُهمت *ماننگ* بارتكاب عدد من الجرائم بلغت 22 جريمة، بما فيها مساعدة العدو، والتي كانت أخطر تهمة ويمكن أن تؤدي إلى عقوبة الإعدام. احتجزت في سجن البحرية مَرين كوربس، كوانتيكو في ولاية فرجينيا، من تموز 2010 إلى نيسان 2011، في وضع الوقاية من الإصابات. وهو الأمر الذي أدى إلى الحبس الانفرادي بحكم الأمر الواقع وغيره من القيود، التي تسببت بقلق محلي ودولي قبل أن تُنقل إلى مرفق الإصلاح الإقليمي المشترك في فورت ليفنوورث بولاية كَنزَس، حيث يمكن أن تتفاعل مع السجناء الآخرين. اعترفت *ماننگ* بالذنب في شباط 2013 على عشر تهم. بدأت محاكمة التهم المتبقية في 3 حزيران 2013، وفي 30 تموز، أُدينت بـ17 تهمة من التهم الأصلية وبـ4 تهم مُعدلة من التهم الأخرى، لكنّها بُرّئت من تهمة مساعدة العدو. حُكِم عليها بالسجن لمدة 35 عاما في ثكنات الاعتقال التأديبية في فورت ليفنوورث. وبتاريخ 17 كانون الثاني

2017، خفف الرئيس *بَراك أوباما* حكم *ماننگ* إلى نحو 7 سنوات من الحبس بدء من تاريخ اعتقالها في 27 مايو 2010. بعد إطلاق سراحها، كانت *ماننگ* تكسب عيشها من خلال إلقاء المحاضرات.

احتُجزت *ماننگ* ثانية ولكن هذه المرة بتهمة ازدراء المحكمة في مركز الاعتقال الفِدرالي بولاية فرجينيا من 8 آذار 2019 وحتى آذار 2020، باستثناء أسبوع من 9 مايس وحتى 16 مايس، ولكن هذه المرة بتهمة ازدراء المحكمة لرفضها الإدلاء بشهادتها أمام هيئة محلفين فيدرالية كبرى تحقق بشأن وِكِليكس. في 12 آذار 2020، أمر قاض فيدرالي بإطلاق سراح *ماننگ* وإسقاط دفع الغرامات المستحقة عليها، التي بلغت قيمتها 256,000 دولارا.

أمّا *إدوار سنودن* فقد ملأ الدنيا وشغل الناس منذ كشف برنامجا تجسسيا سريا للحكومة الأمريكية لمراقبة اتصالات الهواتف والإنترنت، أو ما يعرف PRISM. وبات المحلل الأمني السابق المطلوب الأول لواشنطن بعدما وضعته على لائحة "فاضحي أسرار أمريكا"، حيث زعزعت الوثائق التي سرّبها لوسائل الإعلام ثقة الشعب [https://www.sasapost.com/snowden-discovers-top-secrets-of-nsa-and-cia/] الأمريكي بإدارة الرئيس *بَراك أوباما*.

التحق *سنودن* بالجيش الأمريكي عام 2003 واجتاز برنامجا تدريبيا للالتحاق بالقوات الخاصة، ولكن تمّ تسريحه من البرنامج عندما كُسرت كلتا رجليه خلال التدريب. حصل *سنودن* بعدها على أوّل وظيفة له في مكتب وكالة الأمن القومي، وعمل في البداية حارس أمن لإحدى المنشآت التابعة للوكالة في جامعة ماريلاند. ومن هذه الوظيفة انتقل للعمل في وكالة الاستخبارات المركزية في قسم الأمن الإلكتروني. وبسبب معرفته الموسعة بالإنترنت وببرمجة الكومپيوتر تمكن من التقدم بسرعة في وظيفته.

انتقل *سنودن* بعدها للعمل مع البعثة الدبلوماسية الأمريكية في العاصمة السويسرية جنيف، حيث تولى مسؤولية الحفاظ على أمن شبكة الكومپيوتر، مما أتاح له الوصول إلى مجموعة كبيرة من الوثائق السرية. ومع الكم الهائل من المعلومات التي وصل إليها، واختلاطه بعملاء وكالة الاستخبارات، بدأ *سنودن* بالتفكير بعد ثلاثة أعوام بمدى صحة ما يقوم به وما يراه، وفكر في الكشف عن أسرار الحكومة حينها.

أصبح مصير *سنودن* بؤرة صراع دولي بين الولايات المتحدة والصين وروسيا التي لجأ إليها بعدما نقل إلى الصحافة كمية هائلة من الوثائق السرية لكشف مدى برامج المراقبة الإلكترونية الأمريكية وحماية الحريات الفردية. لقد تمكن في سياق عمله من تنزيل واستنساخ 1.7 مليون وثيقة سرية تظهر كيفية مراقبة السلطات مئات ملايين الأشخاص. كما كشفت الوثائق التي سرّبها *سنودن* في نهاية عام 2013، أنّ وكالة الأمن القومي الأمريكية، راقبت أيضًا المكالمات الهاتفية لما يقرب من 34 قائدا ورئيس دولة حول العالم، بعدما حصلت على أرقامهم من خلال مسؤول "مجهول" بالحكومة الأمريكية.

طرح أحد المثقفين العرب سؤالا أعجبني كثيرا مفاده، "كيف يمكن لأيّ كان، بعد نشر وثائق *إدوار سنودن* التي كشفت عن الدور الأميركي التوتاليتاري العالمي في خرق الحياة والحقوق الشخصية للأفراد حول العالم، أن يتجاهل هذا الدور، الذي يفوق التجسّس من قبل أية دولة في التاريخ؟" ثم مضي للقول بأنّ وكالة الأمن القومي التجسّسية تقوم ببناء أكبر مخزون للكومبيوترات في ولاية يوتا، فقط من أجل تخزين الكم الهائل من المعلومات التي تحصدها، على مدار الساعة، من مئات الملايين من الأفراد حول العالم. [https://www.al-akhbar.com/Opinion/287661]

أمّا نشاطات طائرات الدرون خلال فترة رئاسة *أوباما* فقد كانت هي الأخرى مصدر إزعاج وموضوع احتجاج *تشومسكي*. استخدمت الطائرات بدون طيار في عهد الرئيس الأمريكي *أوباما* لاستهداف وتوجيه الضربات للأشخاص المشتبه بهم في المناطق القبلية (الريفية) في پاكستان وفي أفغانستان واليمن والعراق وفي إفريقيا أيضا، حيث استطاعت تنفيذ ضربات دقيقة ومحكمة. يمكن لكلّ طائرة أن تبقى في السماء لمدة تزيد عن 17 ساعة وتغطي مساحات واسعة وتقوم بعملية التقاط وإعادة إرسال الصور الجوية لأحداث تتم على أرض الواقع بشكل فوري وفي وقتها الحقيقي.

يرجع تاريخ استخدام الطائرات بدون طيار لأول مرة في عهد الرئيس جورج *دبليو بُش* لكنّ استخدامها ازداد بشكل مضاعف في ظل حكم الرئيس الأمريكي *أوباما*. هذا وكشف الجيش الأمريكي عن رغبته في تطوير طائرات بدون طيار جديدة تشبه لحد كبير طائرات الهليوكو پتر المزودة بكاميرات ملونة ذات دقة تصويرية تصل لأكثر من 1.8 ݣݣا پكسل، وتعتبر هذه الطائرات واعدة غير مسبوقة نظرا لقدرتها على القيام بعمليات التعقب ومراقبة الأنشطة التي تتم على

الأرض. كما وتمّ توجيه 3 طائرات بدون طيار من طراز (A160) المزودة بأجهزة استشعار صوتية طنانة إلى أفغانستان. تتميز هذه الطائرات بنظام التصوير الجوي للأحداث التي تتم على أرض الواقع بشكل فوري وفي وقتها الحقيقي، حيث يوفر نظام (Argus-IS) تصويرا بالفيديو بشكل فوري بمعدل 10 هياكل في الثانية. وأضاف الجيش الأمريكي أنّ بالإمكان تعقب حركة الأفراد والمركبات من ارتفاع 20.000 قدما (6.1 كيلو مترا) عبر مساحة 65 ميلا مربعا، أي حوالي 168 كيلو مترا مربعا. [https://www.nok6a.net/%D8%A7]

إختتم *تشومسكي* حواره الأول بعقد مقارنة بين أمريكا وإيران فقال، "أجرت إيران انتخابات قبل مدة قصيرة وانتقدها الكثيرون. كانوا على حقّ، لأنّك لا تستطيع أن تترشح للانتخابات ما لم يُزكّيك الملالي المتسلطون على الأمور في ذلك البلد. وبطبيعة الحال، هذا شيء فظيع، ولكن ماذا يحدث هنا؟ لا يُمكنك أن تترشح ما لم تحظَ بإسناد ودعم المؤسسات الرأسمالية الخاصّة. إذا لم تستطع جمع ملايين الدولارات لتمويل حملتك الانتخابية، فلا مجال لك في المشاركة. هل هذا نظام أفضل؟" أودّ أن أضيف هنا الحاجة إلى إسناد مؤسسة قيادة الحزب، كما حدث قريبا مرتين في عام 2016 وثانية عام 2020، حين خذلت قيادة الحزب الديمقراطي المرشح *بَرنـي سانـدَرز*.

خصّص المؤلف حواره الثاني للحديث عن جولته في الشرق الأوسط. فذكّرنا ألّا نغفل أنّ البلدان الثلاث الكبرى الأشدّ دعما لإسرائيل هي الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. وهي جميعا كيانات قامت على حركات الاستيطان الاستعمارية، التي أبادت عمليا السكان الأصليين لتلك البلدان. وما تفعله إسرائيل في فلسطين ليس إلّا صورة مشابهة لما جرى في تلك المناطق وما حصل لأهلها الأصليين.

شرح *تشومسكي* بالوثائق أسباب دعم الولايات المتحدة غير المشروط لإسرائيل. أكّد على أهمية الأسباب الدينية الثقافية في ذلك الدعم وهي المسيحية، حيث نشأت الأصولية المسيحية قبل الأصولية اليهودية، وأشار إلى أنّهم، أي الأصوليين المسيحيين، يقرأون في الكتاب المقدس عن ضرورة عودة اليهود إلى فلسطين. وما ذكره *تشومسكي* اختصارا، أنّ الأصوليين أو الإنجيليين يؤمنون بحرْفية العهد القديم والجديد معا. ووفق اعتقادهم فإنّ قيام دولة إسرائيل يُعدّ تمهيدا لعودة المسيح المُخلص، الذي يواجه الوثنيين، من المسلمين وغيرهم وذلك خلال معركة كبرى تُسمى "هرمجدلون" أي سهل مجدلون في فلسطين، وأنّ السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين تأخير لوعد

الله. وهؤلاء ليسوا جماعة انعزالية تعيش في رهبنة، بل أصحاب نفوذ اجتماعي وإعلامي غاية في القوة والتأثير، ويتبؤون مناصب رفيعة في الحكومة منها منصب الرئاسة ومنصب نائب الرئيس الحالي ووزير الخارجية. ووفق اعتقاد هؤلاء أنّه بعد المجيء الثاني للمسيح سيؤمن به جمع غفير من اليهود، وتهلك البقية. لذا يشتركون مع الصهاينة في هدف واحد، وهو قيام دولة إسرائيل. هذا المعتقد قامت على أساسه العديد من الحركات الدينية أبرزها، الحركة التدبيرية التي ضمت 40 مليون أمريكيا، منهم الرئيس الأسبق *رونَلد رَيگن*. وجدير بالذكر أنّه كان شديد الكره لليبيا لاعتقاده أنّها واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات التوراتية، التي مكنت الصهيونية المسيحية بكلّ منظماتها، من تكوين ضمير جماعي في المجتمع الأمريكي بوجوب الدعم الأمريكي لإسرائيل. وهو السبب ذاته الذي من أجله دعمت إنكلترا الصهاينة وعملت على تمكينهم في فلسطين، حيث أنّ السائد في أمريكا وانگلترا هو المذهب البروتستانتي، الذي يعتبر المظلة الفكرية والمنهجية لهؤلاء الأصوليين الإنجيليين.

عزا تشومسكي أيضًا دعم أمريكا اللامحدود إلى دور اللوبي الإسرائيلي في توجيه السياسة الخارجية الأمريكية. وليس هناك أفضل من يُعرّي هذا الدور غير *وِلیَم فُلبرایت*. يُعتبر السيناتور الراحل من أهم الشخصيات السياسية الأمريكية في الكونگرس، التي وقفت في وجه اللوبي الصهيوني، وأيضا من أهم الشخصيات السياسية البارزة التي تمّ اغتيالها معنويًا. وقد عُرِف عنه بأنُه معارض لمجمل السياسة الخارجية الأمريكية. [http://www.almayadeen.net/news/politics/1392903/]

ترأس *فُلبرایت* لجنة العلاقات الخارجية في الكونگرس لمدة 15 عامًا (1959 - 1974). وكان النائب الوحيد الذي صوّت ضد اعتماد اللجنة الفرعية الدائمة المعنية بالتحقيقات في عام 1954، التي كان يرأسها سيء الصيت السِناتُر *جوزِف مكارثي*. عارض *فُلبرایت* الحرب الأمريكية في فيتنام. وخلال الستينات وأوائل السبعينات كان داعمًا لأن يكون للكونگرس صلاحية في رقابة أكبر على سلطات رئيس الجمهورية بشأن قرارات الحرب.

رأى *فُلبرایت* أنّ مقاومة الرئيس *دوايت أيزنهاور* للضغوط الصهيونية - الإسرائيلية عام 1958 قوّت عزم محازبي إسرائيل على إنشاء معقل منيع لهم في الكونگرس. ويقول إنه و"بإشراف جمعية بناي برث ومنظمات يهودية كثيرة أخرى تم خلق أقوى لوبي سياسي في الولايات المتحدة".

في عام 1967 طالب *فُلبرايت* إسرائيل بالانسحاب من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام 1967، وانتقد سياسة الاستيطان الإسرائيلية التي تهدف إلى إقامة إسرائيل الكبرى، وأعلن بكلّ شجاعة أنّ إسرائيل لا يمكن أن تحصل على الأرض والسلام في الوقت نفسه، بل يجب عليها أن تتنازل عن الأرض لكي تنعم بالسلام. وقد خلص بعد تجربته المريرة في مواجهة اللوبي الصهيوني أنه "ليس هناك أمل في أن نتحدى اللوبي اليهودي"، إلا أنه يؤكد "أنّ أفعال إسرائيل الإجرامية سوف تؤدي في النهاية إلى انهيارها".

هذا بطبيعة الحال موقف يتناقض مع تصريحات وزير الخارجية الأمريكي الحالي *بومبيو* حول ضمّ الضفة الغربية لإسرائيل. تركت الولايات المتحدة للإسرائيليين حرية اتخاذ قرار بشأن ضم أجزاء من الضفة الغربية، في إعلان أقرب لضوء أخضر أمريكي ندّد به الفلسطينيون، متعهدين بألّا يبقوا مكتوفي الأيدي. وقال وزير الخارجية الأميركي *مايك بومبيو*، "إنّ اتخاذ قرار بشأن ضم أجزاء من الضفة الغربية أمر يعود إلى إسرائيل وإنّ الولايات المتحدة ستعرض وجهات نظرها بخصوص هذا على الحكومة الإسرائيلية الجديدة بشكل غير معلن. [https://middle-east-online.com/%D9%88%]

وأضاف *بومبيو* قائلا للصحفيين "في ما يتعلق بضم الضفة الغربية، الإسرائيليون هم من سيتخذون تلك القرارات، وفي نهاية المطاف سيكون قرار إسرائيليا. سوف نعمل معهم عن كثب لعرض وجهات نظرنا بشكل غير معلن". تقول مصادر إنّه بموجب الاتفاق، على الحكومة الجديدة أن تسعى جاهدة في الخطط الرامية لبسط السيادة الإسرائيلية على المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وهي الأراضي التي يسعى الفلسطينيون لإقامة دولة عليها. وتهدف الخطوة إلى ضم فعلي للأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب 1967 والتي تخضع حاليا للسيادة العسكرية الإسرائيلية. وينصّ الاتفاق على ضرورة موافقة الولايات المتحدة على ذلك حتى يتسنى *لنتنياهو* بعد ذلك المضي قدما في تنفيذ تلك الخطة اعتبارا من الأول من تموز.

نعود إلى صاحبنا *فُلبرايت*، فنقول إنّه دفع ثمن تصريحاته ومواقفه في الدورة الانتخابية لعام 1974، إذ تضافرت جهود كلّ اللوبيات المؤيدة لإسرائيل بكلّ ما تمتلك من إمكانيات مالية وسياسية لهزيمته في مجلس الشيوخ، بعدما خدم في الكونگرس لمدة 23 عامًا. لقد نجح *فُلبرايت* صاحب مقولة، "إنّ مشكلة أمريكا تتمثل في غرور - غطرسة القوة" في تحويل تجربته إلى كتاب بالعنوان

نفسه "غطرسة القوة"، الذي يُعتبر من أهم المراجع الأمريكية التي تنتقد السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

يخبرنا المؤلف أيضًا في حواره هذا إلى أنّه ذهب إلى اسطنبول لإلقاء محاضرة في ذكرى تكريم *هرانت دِنك*، وهو صحفي أرمني تركي أغتيل من قبَل عناصر أمن الدولة، حسب اعتقاد الكثيرين. ومضى للحديث عن الحضور في ساحة تقسيم الذين يغلون غضبا، وكان من المتوقع حدوث صدام لا مفرّ منه. السبب أنّه تعرضت المناطق الأثرية القديمة في المدينة لزحف المشاريع التجارية العمرانية نحوها ووضع السيطرة عليها إلى حدّ الغاء كافة الساحات العامة وإقامة العمارات الحديثة محلها. كان ذلك برأيه بمثابة تدمير للكنوز الأثرية والمناطق الشعبية لسكن الأقليات القومية، والاستحواذ على تلك الساحات لتحقيق المنافع المادية لطبقة الأثرياء. غير أنّه بعد مرور ساعات قليلة، أرسل *أردوان* مزيدا من افراد شرطة الشغب لتفريق تلك التظاهرات باستعمال العنف المفرط.

برز الزعيم التركي بصفته مثالا مبكرا على الصداقات التي يسعى *ترامپ* بتلهف لإقامتها مع الزعماء ذوي العقلية الاستبدادية. ففي الوقت الذي كانت فيه الحكومات الغربية الأخرى تنتقد بحدّة حملة *أردوان* الشاملة ضد المعارضة، طيلة السنوات الثلاث الماضية، وسلسلة من التحركات المنافية للديمقراطية والساعية لتعزيز سلطته، إلا أنّه عندما زار البيت الأبيض في شهر مايس 2017، لم يُشرْ *ترامپ* إلى مواضيع مثل سجل تركيا السيء في مجال حقوق الإنسان. ولعل الأسباب معروفة. لا أحد يعلم المدى الحقيقي لأملاك واستثمارات الرئيس الأمريكي في تركيا، لأنّ *ترامپ* تحرك على أكثر من جبهة لمنع نشر تقارير الضرائب المتعلقة بشركاته، لكنّ بعض العلاقات التجارية تمّ نشرها من قبل الرئيس نفسه، أو من قبل أبنائه الكبار أو شركائه التجاريين.

عندما كان مرشحا للرئاسة عام 2015، أقرّ *ترامپ* خلال إحدى المقابلات بأنّ مشروع إسكان وتجارة قد يشكل "تضاربا في المصالح"، وإنّه لا يملك "ترامپ تاورز" في إسطنبول كاملا. لكنّ البرجين الزجاجيين المرتفعين يحملان الاسم بناء على ترخيص مربح لمالكهما التركي *آيدين دوغان*، الذي كان عدوا للرئيس التركي، لكنّه أصبح فيما بعد مؤيدا له. وبحسب مجلة "مذر جونز"، فإنّ منظمة *ترامپ*، التي لا يزال الرئيس يتربح منها، كسبت حوالي 17 مليون دولارا، رسوم ملكية "الاسم". في عام 2012 قامت *إيفانكا ترامپ*، ابنة الرئيس التي تعمل مستشارة كبيرة في البيت

الأبيض، بتوجيه شكر كبير *لأردوان*، على توتِر لحضوره افتتاح (ترامپ تاورز). [https://arabi21.com/story/1214599]

يفتتح *تشومسكي* الحوار الثالث ليخبرنا أنّه كان يتردد في مطلع شبابه على محلات بيع الكتب القديمة في مدينة نو يورك، وكيف أنّه مدين للأشخاص الذين التقى بهم هناك على بداية تشكيل وعيه السياسي. كان هؤلاء ممّن شاركوا في الحرب الأهلية الأسپانية في منتصف الثلاثينات ضدّ حكومة الجنرال *فرانكو* وطغمته العسكرية، التي حظيت بدعم الفاشية في إيطاليا والنازية في ألمانيا. أعلنت الحركة الإشتراكية في الولايات المتحدة عن تكوين سرية عسكرية تحمل اسم *إبراهام لِنكِن*، وهو الرئيس الأمريكي الشهير صاحب ملحمة النجاة في الحرب الأهلية الأمريكية. لقد انضم الكثيرون لهذه السرية، فوصل عددهم إلى 3000 مقاتلا، بعتاد تقليدي. وقد استمرت هذه المجموعة، بجوار سرية أخرى حملت اسم *جورج واشنطن*، في القتال إلى جانب الجمهوريين، حتى نهاية الحرب. وكانت النتيجة هي أنّ ثلث هاتين المجموعتين قد استشهِد في نهاية المطاف.

لم تستطع المراجع التاريخية أن تتوسع كثيرًا في قصص الأمريكيين داخل السيناريو الإسپاني، فالامتناع الرسمي من قبل الحكومة الأمريكية أخرجها من سيناريو المواجهة، وأوضح أنّ واشنطن قد رضخت لمطالب شعبها بالانعزال عن الأحداث الدولية. لذا فقد أصبحت الصورة الأمريكية حينها متركزة على مجموعة تنتمي لفصيل سياسي واحد، قررت المشاركة على غير رأي العامة، وانتهى دورها في سوح القتال دون أن يكون له [https://www.ida2at.com/spanish-civil-war-story-alliances-foreign-interventions/] ثمة أثر جلل أو واضح. جدير بالذكر أنّ الكاتب القدير *آرنِست هَمِنگوَي* كان أحد المتطوعين وشارك في تلك الحرب وألف عنها روايته الشهيرة "لِمن تُدَق الأجراس".

يرى *تشومسكي* أنّ الصراع الراهن في معسكر رأس المال المركزي ينحو نحو انتزاع الأرباح وتدويرها بمعدّلات تراكم عالية صوب تعاظم رأس المال الاحتكاري، وتوجهاته الحالية، بالاستحواذ على فرص الربح أو الفائض، ذلك بالسعي الحثيث لتكوين بيئة عمل واستهلاك ومعيشة مستقبلية لتحويل الفائض الرأسمالي في القطاعات المنتجة الأخرى. ويعتبر هذه السيرورة بمثابة قمع لفرص التراكم المادي في تلك القطاعات وتقييد فرص الربح فيها وامتصاصه كقوى تراكم تحويلية

باستمرار كي لا يصبّ في مصلحة جهة أخرى. ولا يهمّه أبدا إنْ كان ذلك يأتي على حساب تخريب البيئة وتدميرها.

كان المؤلف شاهدا على تصرفات عنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي منذ مراحل تأسيسه الأولى. أدرك ذلك حين كان *تشومسكي* وزوجته يعملان متطوعين في كيبوتز في صيف عام 1953. "كان يسكن معنا في الكيبوتز مجموعة من الصبيان اليهود من أصل مغربي. علمت فيما بعد أنّ الدولة فصلتهم، في الحقيقة اختطفتهم، من أسرهم لدى وصول تلك الأسر إلى إسرائيل قادمة من المغرب. تكفلت الدولة برعايتهم وتنشئتهم وسمحت لأسرهم بزيارتهم خلال مناسبات معينة خلال السنة. كان بعض هؤلاء يعيشون معنا. كانت مصادر الكيبوتز محدودة وأماكن اقامتنا مزدحمة. أتذكّر أنّ بعض الآخرين قد نبهوني بأن "أقفل باب غرفتي جيّدا وأن آخذ الحذر من أولئك الصبيان المغاربة، فهم ليسوا سوى حفنة من المجرمين". هذا رغما عن أولئك الصبيان كانوا في غاية اللطف". وفي مناسبة أخرى حدث شجار بين صبيان الكيبوتز، حين تعرض اليهود المغاربة إلى تنمّر الصبيان الآخرين من اولاد اليهود الأوروپيين. وبحسب الباحث والمحاضر في جامعة حيفا الدكتور *أرييه كيزل*، في كتابه "الرواية الشرقية الجديدة في إسرائيل" المنشور عام 2015، فإنّ النخب الأشكنازية من أصول أوروپية، نفذت خطوات تربوية ضمن سياسة "بوتقة الصهر"، وشملت إجراءات تفضيل وتمييز مكشوفة وخفية، وبينها إجراءات ضدّ اليهود الشرقيين (سفارديم) من أشكال العنصرية ما كشفته دراسة إسرائيلية أعدها الأستاذ *يوفال البشان*، عميد "الكلية الأكاديمية أونو"، ونُشرت في أغسطس 2018. أفادت بوجود فجوات ضخمة بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين في سوق العمل الإسرائيلية. [https://www.aljazeera.net/news/politics/2019/2/11/]

أوضحت تلك الدراسة، التي نشرت القناة الإسرائيلية الثانية جزء من نتائجها، أنّ 78% ممن يتخذون القرار بقبول الموظفين الجدد في الوظائف الحكومية هم من اليهود الغربيين، مقابل 22% من اليهود الشرقيين. ويتولى 60% من الأشكنازيين إدارة أقسام الموارد البشرية في المؤسسات الحكومية، مقابل 40% من الشرقيين. وفي مكاتب المحامين المرموقة تبلغ نسبة المحامين اليهود من أصول غربية 84%، مقابل 16% لليهود الشرقيين. وفي سوق مدققي الحسابات تبلغ نسبة اليهود الغربيين 73% مقابل 27% للشرقيين. وفي ما يخص الرواتب، بينت الدراسة أنّ 69% ممن

يحصلون على رواتب عالية في الشركات الكبرى هم من اليهود الغربيين، مقابل 31% من اليهود الشرقيين.

ثمّ يمضي المؤلف *تشومسكي* لعقد مقارنة بين نظام جنوب إفريقيا العنصري والنظام الإسرائيلي، فيقول، "إنّ البلد تحوّل إلى اليمين المتطرف. في الحقيقة، إنّ ما حدث في إسرائيل يشبه إلى حدّ كبير ما حدث في جنوب إفريقيا. باستطاعتك العودة إلى قراءة التاريخ، ولنقل منذ بداية ستينات القرن الماضي حتى وقتنا الحاضر ورفعت إسم جنوب إفريقيا ووضعت مكانه إسم إسرائيل لوجدت أنّ الأمر متشابه تماما،" أيْ صورة متماثلة لنظام الأپرتهايد في البلدين. ولكن ثمة فرقٌ يتعلق بالحوارات والاتفاقات السياسية العديدة المبرمة بين الجنوب إفريقيين من ذوي الأصول الأوروپية وزعماء حركة مناهضة الأبرتهايد والتي وضعت حدا لسياسات الفصل العنصري. أمّا في الحالة الفلسطينية، فإنّ النتيجة المتمخضة من الاتفاقات واضحة وهي الإمعان في الفصل وتشريد الفلسطينيين. والأخطر من ذلك، أنّ السلطة الفلسطينية أصبحت لاعبا مهما في نظام الأپرتهايد كما يتجلى في التنسيق "الأمني" الإسرائيلي الفلسطيني والتهديدات الأخيرة للرئيس *عباس* بأنّه سيسلم "مفاتيح" الضفة الغربية إلى إسرائيل. ورغم أنّ *عباس* قصدَ من ذلك إجبار إسرائيل على النهوض بمسؤولياتها كقوة احتلال، فإنّ ذلك يعني ضمنا أنّ السلطة الفلسطينية، في ظل غياب عملية حقيقية للاستقلال الوطني، تشغل منصبا إداريا مركزيا ضمن نظام الأپرتهايد الإسرائيلي.

وعلاوةً على ذلك، مارس المجتمع الدولي في حالة جنوب إفريقيا في نهاية المطاف ضغطا شديدا لإنهاء التمييز العنصري ضمن الدولة الواحدة. أمّا في حالة فلسطين، فإنّ المجتمع الدولي يبدو مستعدّا لدعم "قيام الدولة" دون التصدي جديّا للأپرتهايد الإسرائيلي. إنّ شعار "المشاركة البناءة" وحلّ الدولتين هما خرافتان تصرفان الانتباه عن القضية الأساسية وتسمحان باستمرار الاستعمار والتطهير العرقي في فلسطين. كما تسمحان أيضًا للولايات المتحدة والاتحاد الأوروپي وكندا بالتأكيد مرارا وتكرارا على دعمهم للأپرتهايد من خلال الخطاب السياسي والدعم العسكري والعقود واتفاقات التجارة المبرمة مع إسرائيل والتربّح على مستوى الشركات من الاستعمار والاحتلال. وبالإضافة إلى ذلك، أقيمت البانتوستانات، في ظل الأپرتهايد في جنوب إفريقيا كوسيلة لحصر الأفارقة في "مَواطِن". وبغض النظر عن أوجه التشابه المكاني، فإنّ الفلسطينيين اليوم محرومون

من موطنهم عن قصد، لذا فإنّ إقامة "مَواطِن" الكانتونات لهم سيتناقض وأيديولوجيات الصهيونية ويحبط التوسع الاستعماري الاستيطاني اليهودي.

خلاصة الأمر أنّ الأپرتهايد اليوم في إسرائيل يزدهر من خلال مؤسسات بيروقراطية وسوقية وعسكرية معقدةٍ تتفوق على نظيراتها الجنوب إفريقية إبان الفصل العنصري. وتحظى إسرائيل بدعمٍ غير مسبوق على هيئة دعم عسكري ومساعداتٍ إنسانيةٍ من الولايات المتحدة. ولسوء الفهم عواقب كبيرة، إذ قد يعوق محاولات تقييم الاستراتيجيات القائمة، كاستراتيجية المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات BDS. ونقدها على نحو مدروس، ويحول دون وضع استراتيجيات جديدة لنيل حرية الفلسطينيين وضمان عودتهم. ورغم المعرفة الواسعة بالأپرتهايد الإسرائيلي، فإنّ نظاما كهذا يظل عموما "صندوقا أسود" يُخفي الكثير وينطوي على كثير من سوء الفهم. [https://al-shabaka.org/briefs/%D9%85]

وكما متوقع، ترفض إسرائيل موقف اليسار الذي يتصدره *تشومسكي*، فكتب أحد انصارها قائلا، "لن يكون مستغربًا إذا ما تبين أيضًا بأنّ هناك تقاربًا أيديولوجيًا وسياسيًا بين قادة... المجموعة اليسارية المناهضة لإسرائيل وبعضها لاسامي ومؤيد لحركة BDS في الكونگرس الأمريكي، وكذا سياسيون سود من التيار المركزي الأمريكي، مثل *كوندَليزا رايس*، وزيرة الخارجية في إدارة جورج *بُش الابن* والرئيس *أوباما*، سبق أن شبّها في الماضي بين وضع الفلسطينيين ووضع سود أمريكا في حينه. ولكن أجندة الجهات المناهضة لإسرائيل في اليسار الأمريكي تدعي بأنّ كل المشروع الصهيوني ليس سوى مؤامرة استعمارية من اليهود بدعم من القوى العظمى لجني الأرباح الاقتصادية على ظهر السكان العرب، بالضبط مثل الكفاح الأمريكي للحرية والاستقلال. هكذا أيضًا الكفاح اليهودي للحرية والاستقلال ليس إلا غطاء مزعوما لاستغلال استعماري للعمالة العربية الرخيصة". ثمّ يمضي كاتب المقالة للقول، "الحقيقة أنّ أحد المبادئ الأكثر أساسية للمشروع الصهيوني هو (العامل العبري)، لكنّ هذا لا يمنع بالطبع الجهات آنفة الذكر من مواصلة نشر تاريخهم الزائف المناهض لإسرائيل". [https://www.alquds.co.uk/%d9%83%]

ينتقل *تشومسكي* في حواره الرابع ليناقش قضايا داعش والأكراد وتركيا. افتتح حواره هذا بالإشارة إلى مقابلة هامة اجريت مع "*گرام فُلَر*، وهو ضابط سابق في وكالة المخابرات المركزية

CIA. وهو واحد من ابرز المحللين فيها لقضايا الشرق الأوسط بشكل عام". عنوان المقابلة هو، "كيف خلقت الولايات المتحدة داعش". يُسرع *فُلَر* إلى الإشارة بأنّ الولايات المتحدة لم تخلق داعش بشكل مقصود ودفعها للوجود وتوفير التمويل الكافي لها. إنّ فكرة *فُلَر*، باعتقاد المؤلف فكرة صائبة، وهي "أنّ الولايات المتحدة قد هيأت الظروف لولادة داعش وتطوّرها".

لا يتسع المجال هنا كي نعيد الحقائق والتحليلات حول هذا الموضوع والتي تمّت مناقشتها في الإعلام العربي. لكنّ الأمر باختصار شديد هو انّ الحقائق تقول إنّ داعش وإلى حدّ كبير جدا صناعة أمريكية، والبغدادي وغيره من قادة التنظيم هم صنيعة أمريكا. التنظيم تمّ تشكيله وتمّ إعداد قياداته في سجن بوكا في البصرة، الذي كانت تديره قوات الاحتلال الأمريكي في اعقاب غزو العراق واحتلاله. لم تكن المخابرات الأمريكية في يوم من الأيام بعيدة عن مخططات التنظيم وعن مشروعه في المنطقة. وفي المحصلة النهائية كان التنظيم احد اكبر أدوات ستراتيجية الفوضى والتدمير للدول العربية. وهل ينسى العرب تصريحات وزيرة خارجية *بُش الأبن* ومثلها وزيرة خارجية *أوباما* حول الفوضى الخلاقة من أجل بناء الديمقراطية في العالم العربي!

ليس هذا بالأمر الجديد في الستراتيجية الأمريكية. إنْ لم نكن قد نسينا، فإنّ أمريكا هي التي صنعت وبالمعنى الحرفي المباشر، تنظيم القاعدة في أفغانستان، وهي التي موّلته وسلحته وكانت المخابرات الأمريكية هي التي صاغت الخطاب الديني والسياسي والإعلامي الذي روج للتنظيم كتنظيم مجاهد في مواجهة الاحتلال السوفيتي. المخابرات الأمريكية هي نفسها التي قدمت *أسامة بن لادن* للعالم في ذلك الوقت كمجاهد يحارب الاحتلال السوفيتي "الكافر". وبطبيعة الحال، انهال التمويل عليه من الجهات الغنية والأسر الثرية وما سموّه الجمعيات الخيرية. وحين أدى مهمته واستنفد تنظيم القاعدة أغراضه، قتلوا *أسامة* والقوا جثته في البحر. هو السيناريو نفسه الذي تكرر ويتكرر اليوم مع تنظيم داعش.

الأهم من كلّ هذا اليوم هو أنّ هذه الضجة الأمريكية حول النصر العظيم بقتل *البغدادي*، وهذا المهرجان من التصريحات التي تخرج من عواصم عدة تشيد بالإنجاز الأمريكي. كلّ هذا يجب الّا يُنسينا حقائق التاريخ ووقائعه. [http://www.akhbar-alkhaleej.com/news/article/1188482] وهو تاريخ عشناه وليس ببعيد. المعني هنا تحديدا هي حقائق التاريخ التي تتعلق بأسئلة مثل، من صاحب الفضل أصلا في نشأة تنظيم داعش

الإرهابي؟ وكيف حدث هذا؟ ما هي بالتحديد طبيعة الدور الذي لعبه التنظيم في المنطقة؟ وما هو موقع هذا الدور في خدمة الستراتيجية الأمريكية؟

هكذا كان الحال قبلهما مع *صدام* حسين حين استنفذ دوره. كان *صدام* حاكما اثيرا لدى القيادة الأمريكية في عهد الرئيسين *رَيگِن* و*بُش الأب*. وقفا إلى جانبه وزوّداه بالدعم والمساعدة خلال حربه الغاشمة ضدّ إيران، وأغمضا عيونهما عن جرائمه الوحشية ضد الشعب العراقي، بما فيها جريمة الحرب الكبرى بضرب مدينة حلبچة الكردية والقرى المجاورة بالأسلحة الكيمياوية. يذكر *تشومسكي* أنّه "بعد أن استكمل *صدام* سيطرته على محافظات الجنوب المنتفضة، استدار نحو الأكراد في الشمال العراقي. لكنّ الحكومة الأمريكية سارعت هذه المرة لحمايتهم من سطوته. وفجأة تغيّرت صيغة التقارير الواردة من شمال العراق بعد أن وصل الصحفيون الغربيون إلى تلك المنطقة. لربّما نتذكّر نقل تقارير التلفزيون، التي احدثت صدمة حين ظهر "الأطفال ذوو العيون الزرق والشعر الأشقر، الذين يشبهون إلى حدّ ما معالم اطفالنا في الغرب. لم نستطع تحمّل ذلك فانطلقت صرخات الشجب والاستنكار عالية. وفي النهاية قرّر *بُش الأب* فرض منطقة آمنة للأكراد، ومُنِع الطيران العراقي من الوصول إليها وحُرّم على الأرتال العسكرية أن تتجه نحوها، ففتحت صفحة جديدة في تاريخ علاقات الأكراد بأمريكا".

تعود علاقة الأكراد بالولايات المتحدة إلى عام 1920 عندما حصل الأكراد على وعد بالاستقلال وفقا لمعاهدة سيفر. كان الأكراد في ذلك الوقت أكبر مجموعة عرقية في العالم ليس لها دولة. نكثت بريطانيا وفرنسا، القوتان الكبيرتان في العالم في ذلك الوقت، عهدهما عام 1923 وجعلتا الأراضي الكردية ضمن حدود ما أصبح يطلق عليه الآن تركيا وإيران والعراق وسوريا. تمرد الأكراد ضدّ هذه الخيانة للعهد لكنهم قُمِعوا على يد البريطانيين والفرنسيين والإيرانيين والأتراك.

بعد عقود من الهدوء النسبي حاول الأكراد مجددا الحصول على الاستقلال بعد ثورة العراق عام 1958. بعد اندلاع الحرب في كردستان العراق في أيلول من عام 1961، تبنت الحكومة الأمريكية سياسة عدم التدخل. كان الهدف الأساسي للسياسة الأمريكية في ذلك الوقت هو الحفاظ على علاقات جيدة مع بغداد، وكان هناك دائما شكوك مزعجة من أنّ زعيم المتمردين الأكراد

مصطفى البارزاني كان عميلا شيوعيا، بالنظر إلى فترة نفيه التي دامت 11 عاما في الاتحاد السوفيتي من عام 1947 إلى عام 1958.

رغم ذلك فقد رأت إيران وإسرائيل، وهما حليفتان مهمتان للولايات المتحدة في المنطقة، أنّ الأكراد العراقيين يشكلون حليفا أيديولوجيا واستراتيجيا يمكن استغلاله لكبح النظام في بغداد وجيشه الكبير. بدء من منتصف عام 1962 أمر شاه إيران وكالة المخابرات الإيرانية (سافاك) بالمساعدة في تمويل التمرد الكردي في شمال العراق لتقويض استقرار النظام في بغداد. في عام 1964 انضم الإسرائيليون إلى هذا التدخل الذي قادته إيران، بعد أن اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي *دَيفِد بن گوريُن* بالأكراد حليفا استراتيجيا ضد النظام العربي في بغداد.

على مدى العقد التالي، كانت الستراتيجية الإيرانية والإسرائيلية بسيطة، وتتمثل في أنه طالما كان الأكراد يمثلون خطرا قائما وواضحا على بغداد، فإنّ الجيش العراقي لن يتمكن من الانتشار بقوة ضد إسرائيل في حالة نشوب حرب، كما لن يتمكن من تهديد الطموحات الإيرانية في الخليج العربي. ظهرت ثمرة هذه الستراتيجية في عام 1967، حيث لم يتمكن العراق من نشر قواته في الحرب ضد إسرائيل. في الحرب التالية عام 1973 حشد العراق فرقة مدرعة واحدة لأنّ 80% من جيشه كان في شمال العراق. غير أنّ الأمريكيين تأخروا في تقديم الدعم للأكراد، فمنذ منتصف الستينيات كان كلّ من الإيرانيين والإسرائيليين يسعون لإقناع البيت الأبيض بإعادة النظر في سياسة عدم التدخل. سعى أكراد عراقيون كانوا يلتقون بانتظام مع ضباط المخابرات الأمريكية إلى طلب الدعم من واشنطن، لكنّهم كانوا يقابلون دائما برفض مهذب وحازم. تعود جذور تخلي واشنطن عن الأكراد حديثا إلى سبعينات القرن العشرين، بحسب وثيقة سرية أعدّها وزير الخارجية الأمريكي الأسبق *هنري كِسِنجر*، الذي كان في ذلك الوقت يشغل منصب مستشار الأمن القومي للرئيس رِچَرد نِكسُن. [http://mubasher.aljazeera.net/news/%D8%A3%]

في 30 حزيران عام 1972 وصل شخصان كرديان هما، *إدريس البرزاني* و*محمود عثمان*، إلى مقر وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بولاية فرجينيا، حيث التقوا بمدير الوكالة في ذلك الوقت رِچرد *هِلمز*. ناقش *البرزاني* و*عثمان* حينها مع مدير الوكالة تحولا مذهلا في السياسة الأمريكية، حيث كان كِسِنجر قد خوّل *هِلمز* أن يعرب للرجلين الكرديين عن تعاطف الولايات المتحدة مع محنة الأكراد وطمأنتهم بـ"استعداده للنظر في طلباتهم للحصول على المساعدة". كان

الأكراد قد ظلوا على مدار أكثر من عقد يقاتلون ضد الحكومة العراقية، وناشدوا الأمريكيين كثيرا كي يساعدوهم. في هذا الاجتماع أبلغ *هِلمز* الأكراد أنّ الولايات المتحدة سوف تساعدهم، لكنّ ما لم يخبرهم به هو أنّ واشنطن ستغير رأيها سريعا. (وهذا ما حصل عام 1975 عقب اتفاق الجزائر بين الحكومتين العراقية والإيرانية، وطرد *الخميني* من العراق إلى فرنسا.)

كانت خطط الأمريكيين عام 2003 أن تنطلق قواتهم الغازية للعراق من قواعدها في تركيا، الّا أنّ الحكومة التركية رفضت السماح بتنفيذ تلك الخطط. يذكر *تشومسكي* أنّه ترتب على هذا الرفض أن، "إنتقد نائب وزير الدفاع الأمريكي *پَول وولفووِتز* الجيش التركي بمرارة لأنّه لم يُجبِر الحكومة التركية على قبول طلباتنا. وصل به الحدّ أن طلب من الجيش التركي أن يُقدّم اعتذارا للحكومة الأمريكية، ووعدا لا شائبة فيه بألّا تُقدِم الحكومة التركية على مثل هذه الجريمة ثانية".

لم تكن العلاقات التركية الأمريكية على هذا القدر من التذبذب على الدوام، إذ كانت تركيا هي الحليف الأقرب للولايات المتحدة الأمريكية في الخمسينات من القرن الماضي، وطوال فترة الحرب الباردة، والظهير العسكري الذي عمل بشكلٍ وثيق على مواجهة الاتحاد السوفيتي. كان هذا التحالف نتيجة طبيعية لفترة الحرب الباردة، وأدى إلى علاقات عسكرية عميقة بين الدولتين. كانت تركيا هي الدرع الاستراتيجي لخدمة المصالح الأمريكية وسياساتها في الشرق الأوسط طوال فترة التسعينات، ومن هنا تنبع أهميتها. إلا أنّ العلاقة بينهما قد دخلت طورا جديدا منذ أحداث 11 أيلول 2001، إذ شهد حزب التنمية والعدالة فترة صعود في الدولة التركية. تمكن الحزب من حصد أغلبية الأصوات في الانتخابات البرلمانية عام 2002، وهو أول حزب ذي مرجعية إسلامية برئاسة *رجب طيب إردوان* يصل إلى السلطة. وقد سعت تركيا حينها إلى تأطير العلاقات الأمريكية التركية بما يخدم مصالح البلدين، وليس كما كانت خلال فترة التسعينات. وهذا هو ما أدى إلى بروز بعض التصدعات في العلاقات السياسية بين البلدين، سواء خلال فترة إدارة الرئيس الأمريكي السابق *بَراك أوباما*، أو الرئيس الأسبق جورج *بُش الإبن*، وأخيرا في عهد إدارة الرئيس الحالي *دونَلد ترامپ*.

وكما أسلفنا، تأرجحت العلاقات حين رفض مجلس النواب التركي السماح للقوات الأمريكية إبان حرب العراق بالمرور عبر أراضيها عام 2003، وعبرت واشنطن عن استيائها حينذاك من الموقف التركي، وصولًا إلى تصويت اللجنة الخارجية لمجلس النواب الأمريكي عام 2007 على

مشروع قرار يؤيد أنّ ما حدث للأرمن إبان فترة الحكم العثماني عام 1915 هو "إبادة جماعية". اضطر هذا القرار تركيا لسحب سفيرها من واشنطن، والتهديد بوقف التعاون العسكري بين البلدين، إلا أنّ الإدارة الأمريكية قد سعت حينها للتنصل من هذا القرار، وعبر حينها الرئيس الأمريكي جورج *بُش الإبن* عن تنصله من القرار، لأنّه يضر بحليف سياسي أساسي للولايات المتحدة. وعلق على ذلك وزير الدفاع الأمريكي الأسبق *روبرت* گيتس بالقول، "إنّ 70% من الإمدادات الجوية الأمريكية، و30% من الوقود، و95% من الآليات المدرعة الجديدة المخصصة للعراق، [https://www.sasapost.com/turkey-us-relations-friends-or-enemies/] تمر إلى قواتنا عبر تركيا" هكذا هي أهمية تركيا لأمريكا، وانظروا إلى الدور، الذي ما زالت تلعبه في سوريا، والآن في ليبيا.

أبتدأ المؤلف حواره الخامس بالحديث عن انخفاض أسعار البترول بدرجة عالية، وعن آثار الدمار، الذي سيحلّ بالبيئة نتيجة زيادة استخدام الوقود الأحفوري بسبب اقبال الناس على قيادة سياراتهم برغبة أكبر. "إنّ اسعار النفط منخفضة للغاية، ويجب أن تزداد أكثر في اسواق الولايات المتحدة، لتكون على الأقل بمستوى الأسعار في أوروبا. ستكون تلك الزيادة محاولة للحدّ من تشجيع استهلاك الوقود الأحفوري، الذي يدمّر البيئة ويعيث فيها الخراب".

في ضوء حرب اسعار النفط الدائرة بين روسيا والسعودية، التي نسمع عنها في هذه الأيام، قدر الاقتصاديون حجم [https://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2020/4/27/] الخسارة في الميزانية الروسية في حال انخفض متوسط أسعار النفط السنوية إلى 30 دولارا، أو إلى 20 دولارا، أو 10 دولارات، أو حتى دولارا واحدا للبرميل. أُعِدّت دراسة عن ذلك من قبل المتخصصين في جامعة بليخانوف الروسية للاقتصاد. وتقول *كاتِرينا فينو گرادوفا* في تقريرها في صحيفة إيزفِستيا الروسية إنّه حسب هذه الدراسة، وعندما تكون الأسعار في حدود 30 دولارا ستكون الخسارة 2.5 تريليون روبلا (33.6 مليار دولارا)، وعند سعر 20 دولارا ستقدر الخسارة بما يقارب 3 تريليونات روبلا. وعندما تصل إلى 10 دولارات ستكون الخسارة في حدود 5 تريليونات روبلا (الدولار يعادل 74.40 روبلا).

وفي الجانب السعودي، أعلنت شركة النفط العملاقة أرامكو، عن انخفاض صافي أرباحها بنسبة 25% في الربع الأول من العام، متأثرة بتراجع أسعار النفط بسبب انخفاض الطلب عليه إثر

انتشار فيروس كورونا. قالت أكبر شركة مدرجة في العالم إنّها حققت صافي ربح قدره 62.5 مليار ريالا، أي 16.66 مليار دولارا، في الأشهر الثلاثة الأولى من العام المنتهية باواخر31 آذار، مقارنة بـ22.2 مليار دولارا في العام الماضي. كما أعلنت الشركة أيضًا عن توزيع أرباح بلغت قيمتها 18.75 مليار دولارا خلال الربع الأول من العام، فيما يُعدّ الأعلى لأيّة شركة مدرجة في العالم.

بعد الإجراءات التقشفية السعودية، توجه أرامكو بخفض إنتاج البترول في حزيران بمقدار مليون برميل [https://arabic.cnn.com/business/article/2020/05/12/aramco-profits-slide-coronavirus] يوميا. وقال الرئيس التنفيذي للشركة *أمين الناصر*، في تقرير نتائج أرباح أرامكو للربع الأول إنّه "ليس بالأمر المستغرب أن يتأثر أداءنا المالي في الأشهر الثلاث الأولى من العام 2020 بالتأثيرات المستمرة لوباء كوفيد 19 العالمي، بالإضافة إلى انخفاض أسعار النفط"، مضيفًا أنّ أزمة كوفيد 19 "لا تشبه أيّة أزمة شهدها العالم وعلينا جميعًا أن نتكيّف مع التطورات المعقدة والمتغيرة بشكل سريع".

من جهة أخرى، قال وزير الإعلام السعودي في بيان، "إنّ مجلس الوزراء أكّد سعي المملكة لدعم استقرار الأسواق البترولية العالمية". وأشار إلى "ما أعلنته المملكة من الالتزام باتفاق أوبك+ الأخير، بشأن تخفيض الإنتاج من البترول الخام، وإلى مبادرة المملكة تخفيض إنتاجها في شهر حزيران القادم، بكمية إضافية طوعية تبلغ مليون برميل يوميا، وكذلك سعيها بالتوافق مع العملاء لخفض إنتاجها في شهر مايس الجاري، عن المستوى المستهدف" [https://middle-east-online.com/%D8%A7%] وبين المجلس أنَ "السعودية تستهدف من هذه المبادرات حث الدول المشاركة في اتفاق أوبك+، والدول المنتجة الأخرى، على الالتزام بنسب الخفض المحددة لها، وتقديم المزيد من الخفض في الإنتاج، للإسهام في إعادة التوازن المنشود لأسواق البترول العالمية". هذا وانضمت دولة الإمارات العربية والكويت إلى السعودية وتعهدتا بتخفيضات جديدة في انتاجها في حزيران بحجم اجمالي 180 ألف برميلا يوميا.

ثمّ انتقل الحوار بعدها إلى الأعمال الإرهابية التي مارستها وكالة المخابرات المركزية لتقويض النظام في كوبا منذ إسقاط النظام الدكتاتوري لرئيس البلاد *باتِستا*. يجب عدم نسيان حقيقة أنّ *جون كندي* هو من أمر بشن هجوم إرهابي ضدّ كوبا. وضع المهمة على عاتق أخيه *روبرت كندي*، وكان من أولويات الأهداف "أن يلحقوا بكوبا خراب الأرض بأجمعه". لقد ورد ذكر هذه

العبارة على لسان *آرثر سلزنجر*، مستشار الرئيس لشؤون أمريكا اللاتينية، حين جاء على ذكر *روبرت كندي* في مذكّراته. يمضي المؤلف القدير للقول، "وفعلا جلبوا على كوبا كلّ خراب الأرض. فجّروا مصانع البتروكيمياويات وقاموا باعمال تخريبية لإغراق عدد من السفن في ميناء هَفانا، وسمّموا المحاصيل الزراعية والماشية في الجزيرة، وقصفوا الفنادق، التي فيها نزلاء من روسيا. استمرّت مثل هذه الأعمال لسنوات، وهي التي أدّت إلى قيام أزمة الصواريخ وكادت تتسبب في بدء حرب نووية. حين انتهت تلك الأزمة عادت النشاطات الإرهابية باشكال جديدة مختلفة واستمرت حتى فترة التسعينات. لم تُناقش أيّ من هذه القضايا علنا. في الحقيقة، إنّ أوّل شهادات موثقة على لسان الضحايا ظهرت عام 2010 نتيجة بحوث الكندي *كيث بولندر*، التي نشرها في بلاده ولم يُسمح بتوزيعها أو قرائتها في هذه البلاد".

وما دمنا في كوبا، أنتقل الحديث بعدها إلى قاعدة گوانتَنامو وكيف مارس العسكر الأمريكيون ومعهم منتسبو وكالة المخابرات الأمريكية جرائم حرب مقيتة في تعذيب السجناء. يبدو أنّ الغرض من نظام التعذيب، الذي اقرّه وتبنّاه الثنائي **چَيني - رامسفيلد** هو الحصول على اعترافات مهما كان نوعها، حقيقة أم تلفيقا. الأمر لا يهمّ، لأنّ الغرض هو تبرير الحرب ضدّ العراق. كانوا يريدون التوصّل إلى شيء من الأدلة، التي تربط ما بين *صدام حسين* وتنظيم القاعدة. وحين فشلوا في إيجاد أيّ دليل، طلبوا إنزال المزيد من التعذيب. واخيرا، ونظرا لأنّ الناس تحت التعذيب سيقولون ما تريدهم أن يقولوه، توّهم المسؤولون أنّهم توصّلوا إلى الأدلة التي يبتغونها. أختتم المؤلف حديثه عن هذه المسألة بالقول، "يبدو لي أنّ ذلك هو الهدف الرئيسي، الذي استطاعوا تحقيقه".

اختتم الحوار بتعريف مناقشة عنوانه عن "ذاكرتنا الحية". قال "إنّ عبارة "ذاكرتنا الحية" قد صيغت بعناية فائقة لتشمل ذكر كلّ ما يفعلونه ضدّنا، وتجاهل كلّ ما نفعله ضدّهم". وقد أتى على ذكر ذلك حين نوقش الهجومان الإرهابيان على مجلة شاغلي إبدو ومحل البقالة اليهودي في باريس في صيف عام 2015. في الحقيقة لا يقتصر الإرهاب على تلك العمليات الإرهابية التي تمارسها التنظيمات المختلفة كداعش والقاعدة والإخوان وغيرهم، وإنما يعُدّ هذا شكلا من أشكال الإرهاب التي تُصنّف وفق الجهة التي تمارسه. ولكن هناك أشكال أخرى مثل إرهاب الدولة الذي تمارسه دولة أو مجموعة دول ضد غيرها من الدول سواء بشكل عسكري مباشر، أو غير مباشر عن طريق

تنظيمات إرهابية تنفذ العمليات بالوكالة عن الدولة الممولة. وإذا كان الإرهاب في أبسط تعريفاته هو استخدام القوة أو التهديد باستخدامها من قبل جماعة أو منظمة أو دولة لتحقيق هدف أو أهداف سياسية، فإنّ ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ما هو إلا شكل من أشكال الإرهاب تمارسه تحت ذريعة مشروع الشرق الأوسط الجديد أو الكبير الذي تصفه الإدارات الأمريكية المتعاقبة بالمشروع الستراتيجي، بمعنى أنّه مشروع طويل المدى تستخدم لتحقيقه تكتيكات مرحلية مختلفة. [https://www.almarjie-paris.com/12458]

رسمت أمريكا خطتها الخارجية في التعامل مع التنظيمات الإرهابية وفق سياسة الاحتواء وليس المواجهة، وتَمَثَّلَ هذا الاحتواء في أشكال عديدة من بينها الدعم المالي والتسليح وتدريب العناصر على استخدام التكنولوجيا، في مقابل أن تنفذ هذه التنظيمات عملياتها في منطقة الشرق الأوسط بالشكل الذي يحقق الخطة الأمريكية، ولا تنقل مسرح عملياتها إلى أيّ من الولايات المتحدة. إنّ أكبر ما يقلق الدولة الأمريكية هو أن ينتقل الإرهاب الذي تدعمه للداخل الأمريكي، فيتحول لمعول هدم وتهديد لاستقرارها، بدلًا من كونه مصدر هدم وتهديد للدول الشرق أوسطية. ولذلك سعت لنشر ثقافة محاربة العدو القريب بدلًا من العدو البعيد، ورسختها في أذهان العناصر الإرهابية داخل السجون الأمريكية في العراق، مثل سجن أبو غريب وسجن بوكا الذي تخرج منه زعيم تنظيم داعش السابق، *أبو بكر البغدادي*.

تتلخص ثقافة العدو القريب على إقناع العناصر الإرهابية داخل السجون بأولوية قتال الحكام العرب، الذين يحكمون منطقة الشرق الأوسط، باعتبارهم وكلاء أمريكا في المنطقة، وأنّه بسقوطهم وسقوط أنظمتهم ستسقط أمريكا دون الدخول معها في معارك عسكرية. ولكي يمنحوا هذه النظرة العدائية شيئًا من الشرعية التي ربما تحرك هذه العناصر عقائديًا، أشاعوا أنّ العدو القريب "مرتد" عن الإسلام لتعاونه مع أمريكا، وبالتالي هو أحقّ بالقتال من العدو البعيد المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب باعتبارهم "كفارا أصليين". إنّ المرتد أولى بالقتال من الكافر الأصلي، وفق الاعتقادات التي ترسخت في أذهان الإرهابيين خلال السنوات الماضية. كانت نتائج هذه العقيدة التي نشرتها أمريكا داخل سجونها ودعمتها بنصوص تراثية لفتاوى *ابن تيمية* وتلميذه *ابن القيم*، أنْ قتل داعش ولا يزال الكثير والكثير من الأبرياء من أهل الإسلام في كلّ من العراق وسوريا وليبيا واليمن والصومال وغيرها، في الوقت الذي غضّ الطرف فيه عن الكيان الصهيوني

المحتل لأرض الإسلام، لأنّ الصهاينة في عقيدة داعش عدو بعيد لا يستحق أولويّة المواجهة. وهذا موقف أعرج وأعوج مهما تفلسف الجناة القتلة في تبريره.

بدأ المؤلف القدير فصله السادس الذي وضع له عنوانا "إشاعة الخوف والترويج له fearmongering، بتعليق محاوره على تصريح عضو في مجلس الشيوخ، ذكر فيه "بأنّنا يجب أن نخاف من إيران، لأنّهم سيطروا على طهران". ذكر *تشومسكي*، أنّه على علم باساليب هذا الشخص وقت كان مرشحا لمجلس الشيوخ ممثلا للحزب الجمهوري عن ولاية آركنسا. إتّهم صاحبنا هذا أنّ "عصابات المخدرات في المكسيك تتعاون مع داعش لإرسال الإرهابيين لقتل المواطنين في آركِنسا. وكلّ هذا بطبيعة الحال راجع إلى إدارة *أوباما*، التي تركت الحدود مفتوحة يسهل اختراقها".

يضيف *تشومسكي* قائلا، "لقد راينا مثل هذه النشاطات لنشر المخاوف والترويج لها في اماكن أخرى من العالم أيضا، وأفضل مثال على ذلك في إسرائيل، حيث حذّر *بِنيامين نَتنياهو* الناخبين من أنّ المواطنين العرب سيتراكضون إلى مراكز الاقتراع ليدلوا باصواتهم تأييدا لممثلي اليسار، بتشجيع من الحكومات الأجنبية. كلّ هذه الجهود ترمي إلى إضعاف سياسته في الدفاع عن إسرائيل وحمايتها من الإرهابيين. للأسف، إنّ مثل هذا المزيج من التخويف والعنصرية قد حققّا له الفوز في الانتخابات".

بِنيامين نتنياهو يعمل وفق مخطط يرتكز على أعمدة قديمة جديدة. فيه خليط من *هرتزل* و*بن گوريون* وكافة المتطرفين اليهود فكريا وسياسيا. *نتنياهو* يريد تأسيس إسرائيل التاريخية، وقد شرح ذلك بكلّ وضوح في كتابه "مكان تحت الشمس،" الذي أصدره باللغة العبرية سنة 1993. رفض مبدأ الأرض مقابل السلام، وقال السلام مقابل السلام، ولا تنازل عن الجولان والقدس الموحدة، ولا بُدّ من ضمّ الضفة الغربية، ويتحدث عن قيمتها التاريخية والدينية لليهود. فهي كما يدّعي قلب البلاد، فالخليل دُفِن فيها أجداد الأمة، وفي ألون مورية تلقى *إبراهيم* وعد الرب بالأرض، وبيت لحم تضم قبر *راحيل*، وأريحا عن طريقها دخل *يوشع* إلى البلاد، ونابلس حيث تليت التوراة على مسامع الشعب. لم يتردد في القول إنّ العرب أمة لا فائدة منها للحضارة الإنسانية، ولا يمكن أن تستقيم إلا بالقوة. [https://aawsat.com/home/article/2297646/]

نشأ *نتنياهو* وترعرع ودرس في مدينة فِلادلفيا، كما *تشومسكي*، ويتحدث الإنگليزية بلهجة أهلها. عمل في الولايات المتحدة، إذ تولى فيها مناصب سياسية ودبلوماسية. أتقن فنَّ المصارعة

السياسية، وسيطر على حزب الليكود، وسجل أطول مدة قضاها رئيس وزراء إسرائيلي على كرسي الحكم. وظَّف التطورات الدولية لمصلحته. أفريقيا، التي كانت تقاطع إسرائيل انفتحت له، وكذلك آسيا وأمريكا اللاتينية. شهدت إسرائيل تحت حكمه تطورا علميا وصناعيًا هائلا، اليوم تصدر السلاح للهند وبريطانيا. تمكن من إقامة علاقة نوعية مع أمريكا، وكسر محاولات *أوباما* لفرض سياسة السلام على إسرائيل بالاستعانة بالكونگرس، الذي دعاه ليلقي خطابا في قاعته ورحب به ووقف له 30 مرة استحسانا وتحديّا *لإوباما*. واخيرا، كان *دونلد ترمپ* هدية القدر له. أصدر قانون يهودية الدولة. رغم الاتهامات القضائية الخطيرة التي تلاحقه، أعاد الانتخابات البرلمانية ثلاث مرات، وعاد إلى الرئاسة. قفز فوق كلّ الحواجز السياسية والقانونية، وتجاوز الدعم الدولي لقيام الدولة الفلسطينية حتى صار أسطورة الأسباط الثالث عشر في العنقود اليهودي. من جهة أخرى، إخوتنا الفلسطينيون ينحدرون من انقسام إلى آخر، كأنّهم لم يقرأوا كتاب "مكان تحت الشمس".

إنتقل الحوار بعدها إلى مسألة الصعوبات الاقتصادية، وبالذات قضية الديون المستحقة على دول جنوب أوروپا والمتمثلة خاصّة باليونان وإيطاليا واسپانيا، وهي جميعا اعضاء في منظمة الإتحاد الأوروپي. كانت اليونان من أسوأها لحدّ بروز إشاعات حول إمكانية اقصاء اليونان من المنظمة. أزمة الدين الحكومي اليوناني هي أزمة مالية عصفت بالاقتصاد اليوناني في شهر أبريل من عام 2010 حينما طلبت الحكومة اليونانية من الإتحاد الأوروپي وصندوق النقد الدولي تفعيل خطة إنقاذ تتضمن قروضا لمساعدة البلد على تجنب خطر الإفلاس والتخلف عن السداد. كانت معدلات الفائدة على السندات اليونانية قد ارتفعت إلى معدلات عالية نتيجة مخاوف بين المستثمرين من عدم قدرة اليونان على الوفاء بديونها لا سيما مع ارتفاع معدل عجز الموازنة وتصاعد حجم الدين العام. هددت تلك الأزمة استقرار منطقة اليورو وطرحت فكرة خروج اليونان من المنطقة الاقتصادية. غير أنّ أوروپا قررت في نهاية المطاف تقديم المساعدة إلى اليونان مقابل تنفيذها لإصلاحات اقتصادية وإجراءات تقشف تهدف إلى خفض العجز بالموازنة العامة. جدير بالذكر أن ألمانيا كانت من أشد المتعنتين في هذه الأزمة، لأنّ الحكومة اليونانية التقدمية، قد رفعت اصابع الإتهام ضدّ المصارف الألمانية، التي ادّعت أنّها اختلقت تلك الأزمة للبلد.

حدث التغير في هذا الموقف المتعنت بتاريخ 2 مايس، حين وافقت جميع دول الاتحاد الأوروپي إضافة إلى صندوق النقد الدولي على منح اليونان سلسة من القروض المالية بمجموع 110 مليار يورو على مدى 3 سنوات خلال الفترة من مايس 2010 لغاية حزيران 2013. منها 80

مليار يورور مقدمة دول الاتحاد الأوروپي، فيما قدم صندوق النقد الدولي 30 مليار يورو. وتبلغ الفائدة على هذه القروض نحو 5.2% وفترة سداد 3 سنوات، لكنّ الفائدة خفضت في قمة بروكسل لقادة الاتحاد الأوروپي في آذار 2011. تقرر تخفيض الفائدة بنحو 1% لتصبح 4.2% فيما زيدت فترة السداد لتبلغ 7 سنوات ونصف. وقد اشترِط على اليونان للحصول على القروض القيام بإجراءات تقشف تهدف إلى خفض الانفاق، لكنّها خلقت مصاعب جمة للمواطنين من الطبقة المتوسطة والفقراء، خاصة بين المتقاعدين منهم، كما اضطرت الحكومة إلى خصخصة عدد من الخدمات العامة [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B2] وبعض خدمات الموانئ البحرية، اضافة لبعض الشروط التفصيلية الأخرى. فمثلا استهدفت الإجراءات الحكومية خفض إجمالي النفقات العامة على الأجور والرواتب من 1% إلى 5.5% عبر تجميد رواتب الموظفين الحكوميين وتقليص مكافأت العمل الإضافي وبدلات السفر. تضمن القانون أيضًا رفع الضرائب على القيمة المضافة وعلى السيارات المستوردة وعلى المحروقات وخفض رواتب القطاع العام والبدلات الممنوحة للموظفين الحكوميين. عمّت التظاهرات البلاد وتقدمتها نقابات العمال واعتبرها المواطنون انتقاصا من كرامتهم وسيادة وطنهم، واستقال وزير المالية المفاوض احتجاجا على إذعان الحكومة لتلك الشروط المجحفة، لأنّه كان يدعو إلى اسقاط تلك الديون، كما حدث لألمانيا نفسها في نهاية الحرب العالمية الثانية.

وعلى ذكر تلك التظاهرات، اختتم المؤلف حواره السادس بالحديث عن دور نقابات العمال في هذه البلاد واستعرض تاريخها في العشرينات حين سُحقت، وفي الثلاثينات حين تقدمت الصفوف فاعتمد عليها *روزفلت* في انجاز "ما سُمّي **تشريعات الصفقة الجديدة** New Deal Legislations. وهي التشريعات، التي انتفعت منها غالبية السكان، وكذلك اقتصاد البلد فأنقذته من الأزمة". كما أشاد بالدور الذي لعبته النقابات العمالية في ستينات القرن الماضي والذي لم يقلّ حماسا عن التنظيمات الأخرى في شجب حرب العسكر الأمريكيين في فيتنام والمطالبة بوقفها على الفور.

يدور الحوار السابع حول التحالفات والهيمنة، وافتتحه المحاور بالسؤال عن منطقة الشرق الأوسط. أصبحت المنطقة تحت الوصاية الفرنسية والبريطانية ما بين الحربين العالميتين. وبعد حرب السويس عام 1956 قرّرت بريطانيا سحب قواتها من شرق القناة، بما فيها شبه الجزيرة العربية والخليج، فزحف النفوذ الأمريكي للمنطقة وشكّل تحالفاته وفي طليعتها مع إسرائيل. ظهرت

كيانات جديدة وانقسم العالم العربي إلى معسكرين، معسكر الوطنية والعلمانية ومحوره مصر، والمعسكر الثاني القائم على حركة الإسلام السياسي. في الحقيقة رعت بريطانيا هذه الحركة وشرعت الولايات المتحدة بنفس النهج، فقابلته الحركة بالشكر والإمتنان والدولارات. وعمل الجانبان معا على تقويض نفوذ القاهرة، وجرّتاها إلى حرب طاحنة في اليمن.

حدثت الهزيمة كنتيجة للاستثمار في لحظة سياسية عسكرية فارقة، تكامل فيها العاملان الذاتي والموضوعي، حتى وصلا حدود التماهي، ولربما كان ذلك وحده ما يبرّر حجم الكارثة التي توضّحت أبعادها في غضون أيام قليلة. ومن المؤكد، اليوم، أنّ حياكة تلك الحبكة، كانت قد بدأت في أواخر شهر تشرين الثاني 1956، عندما تكشّفت المعادلات التي أفضى إليها العدوان الثلاثي على مصر، وهي من حيث النتيجة كانت قد أفضت إلى تكريس زعامة *جمال عبد الناصر*، الذي برز كقائد يحمل مشروعًا لا يقوم على ضرب مرتكزات الهيمنة الغربية في مصر فحسب، بل على امتداد المنطقة العربية برمّتها.

في الشرط الموضوعي، كانت هزيمة المشروع القومي العروبي النامي في الرحم الناصري، والمهدّد بالتمدد نحو أذرع أخرى فاعلة، ضرورة أمريكية ملحّة أوكلت مهمة القيام بها إلى مخفر الغرب المتقدم، الأمر الذي يمكن لمسه بوضوح في تصريح للرئيس الفرنسي الأسبق *جال ديگول*، الذي وصف حرب حزيران بأنّها تنفيذ إسرائيلي لحرب أمريكية. كان المطلوب، باختصار، التحطيم الذري لهيولى جنين النهوض العربي مرة [https://www.al-akhbar.com/Opinion/289633/] واحدة وإلى الأبد. هذا التلاقي الأمريكي الإسرائيلي كان يعتدّ بتلاقٍ آخر مع قوى إقليمية بارزة، كانت تنظر إلى الناصرية كخطر يتهدّد كيانها ووجودها، وليس زعامتها فحسب.

بعد أن أدت إسرائيل مهمة القضاء على الوطنية والعلمانية في حرب حزيران عام 1967 عن طريق تدمير الجيشين المصري والسوري معا، اصبحت الحليف المدلل ذا الهيمنة الواسعة التي لا منازع لها، ونال معسكر التدين والتعصّب النصر الذي يبتغيه. كان من السهل تحريك بعض الفئات لهذا الغرض، خصوصا بين صفوف المتديّنين. شكّل المسيحيون الإنجيليون في ذلك الوقت غالبية أو معظم قاعدة الحزب الجمهوري. وبالنسبة لهؤلاء، فإنّ الدفاع عن إسرائيل لصدّ هجمات

المسلمين، أصبح بمثابة عقيدة دينية، لأنّ الإنجيل يخبرهم بذلك، ولديهم علم الأمور بحياة الآخرة بكاملها حول هذا الموضوع، كي ينهلوا منه ما يشاؤون.

في رأي *تشومسكي*، ربّما يكون *أوباما* من أكبر من أيّد ويؤيد إسرائيل في تاريخ الرئاسة الأمريكية، رغم أنّه في نظر بعض المتطرفين ليس مؤيدا تمام التأييد. لقد كان هذا التأييد واضحا حتى قبل بدء جولة انتخابه الأولى، كما لاحظ *تشومسكي* ذلك عام 2008، من خلال ما ينشره على موقعه في شبكة الإنترنت. "له مواقف اعتبَرها انجازات حقيقية، حين كان عضوا في مجلس الشيوخ الأمريكي. وفي طليعتها الموقف المتعلق بغزو إسرائيل للبنان. لقد كان من ضمن المتقدمين لمشروع طلب من الحكومة الأمريكية ألا تقف حجر عثرة امام الهجوم على لبنان، واكثر من ذلك، معاقبة من يجرؤ من الدول على معارضة ذلك الهجوم". وهذا في رأي المؤلف "موقف متطرف لتأييد ذلك الغزو الوحشي". ثمّ اعطى أدلة أخرى على دعم إدارته لإسرائيل في المحافل الدولية وتقديم المعونة العسكرية والمالية وزيادتها سنويا، أكثر ممّا أعطاه أيّ رئيس سبقه إلى البيت الأبيض.

هذا وكان الرئيس الأميركي قد أكّد أنّ التحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل "أبدي" وشدد على أنّ "السلام يجب أن يأتي إلى الأراضي المقدسة". وقال *أوباما* بعيد وصوله لمطار بن گوريُن في أول زيارة له كرئيس للولايات المتحدة إلى الدولة العبرية في ولايته الثانية، "يجب أن يأتي السلام إلى الأراضي المقدسة. لن نفقد الأمل برؤية إسرائيل في سلام مع جيرانها". وأضاف خلال مراسم استقباله في مطار تل أبيب "أعتبر هذه الزيارة فرصة لإعادة تأكيد الصلة التي لا تنفصم بين دولتينا وإعادة تأكيد التزام أمريكا الذي لا يتزعزع بأمن إسرائيل والتحدث مباشرة إلى شعب إسرائيل وإلى جيرانكم" ومضى يقول "أنا واثق من قولي إنّ تحالفنا أبدي... إلى الأبد". [https://www.dw.com/ar/16685699]

وأوضح الرئيس الأمريكي قائلا "أحتفل معكم بمرور 65 على قيام دولة إسرائيل.. منذ ثلاثة آلاف عام واليهود يعيشون هنا". وأعرب عن افتخاره بكون الولايات المتحدة "أقوى حليف لإسرائيل"، وأكد أنّ اختيار إسرائيل لتكون المحطة الأولى لأول زيارة خارجية في فترته الثانية أمر له مغزى. وأضاف أنّ سبب متانة العلاقات بين الجانبين هو، "أننا نتشارك قيم الحرية والديمقراطية.. نعمل لأن نكون دائما في المقدمة... الولايات المتحدة تقف إلى جانب إسرائيل لأنّ تلك واحدة من مصالحنا الوطنية".

لم يشفع له هذا التمسح باذيال الصهاينة والمتدينين الإسرائيليين والأمريكيين في شيء. من جهة، دعا الكونگرس استخفافا به رئيس وزراء إسرائيل ليلقي خطابا قوبل بالتصفيق ووقف الأعضاء استحسانا له 33 مرة. وهذا استحسان لم يُقابل به أيّ رئيس أمريكي وقف على تلك المنصة، ولم يحظ به *نتنياهو* نفسه من قبل، [https://www.timesofisrael.com/israelis-overwhelmingly-prefer-trump-to-obama-poll] حتى في الكنيست. من جهة أخرى، أشار استطلاع أجرته صحيفة ها آرتس أنّ 19% فقط من الإسرائيليين استحسنوا مواقف *أوباما* مقابل 46% ممّن اعترضوا على سياساته.

ومع ذلك ودّع صاحبنا البيت الأبيض بأكبر حزمة مساعدات مالية وعسكرية لإسرائيل. إذ أكدت مصادر في البيت الأبيض والكونگرس لمراسل محطة تلفزيون سي أن أن، بأنّ واشنطن تستعد لتقديم حزمة من المساعدات العسكرية إلى إسرائيل هي الأكبر من نوعها في تاريخ العلاقة بين البلدين، إذ ستحصل إسرائيل على 38 مليار دولارا من الدعم العسكري على مدار عشر سنوات، وذلك بارتفاع ملحوظ عن الحزمة السابقة التي بلغت 30 مليار دولارا. ومن المقرر بحسب المصادر التي تحدثت شرط عدم ذكر اسمها، أن يبدأ تطبيق الحزمة الجديدة عام 2018، وسط ترقب لإمكانية توقيع مذكرة تفاهم بين البلدين وذلك بعد أشهر من المفاوضات السرية التي جرت في أجواء لم تكن مثالية بين البلدين، بسبب التوتر [https://arabic.cnn.com/middleeast/2016/09/14/israel-usa-package-aid] بين البيت الأبيض ورئيس الوزراء الإسرائيلي، *بنيامين نتنياهو*.

ووفق المصدر السابق، علق *دَيفِد ماكوفسكي*، مدير برنامج عملية السلام في الشرق الأوسط لدى "معهد دراسات سياسات الشرق الأدنى" بالقول إنّ الاتفاق سيكون "رسالة مهمة للجميع بعدم إساءة تفسير الاختلافات بين البلدين حول قضايا مثل العلاقة مع إيران والملف الفلسطيني. في العمق، مازالت أمريكا ملتزمة جدا بأمن إسرائيل على الأمد البعيد".

اشارت تقارير أولية إلى أنّ *نتنياهو* كان قد طلب من واشنطن مساعدات عسكرية بقيمة 45 مليار دولارا، قبل أن تستقر الأمور بعد التفاوض على 38 مليار دولارا. وذكر محللون أنّ الحزمة العسكرية ستتيح للرئيس *بَراك أوباما* مغادرة البيت الأبيض وفي جعبته ما يؤكد أنّ إدارته قدمت ما

لم تقدمه أيّة إدارة أخرى لإسرائيل. وهو أمر ازدادت أهميته في سنة الانتخابات الرئاسية، إذ كان الإعتقاد أنّ المرشحة الديمقراطية، *هِلاري كلِنتُن*، ستستفيد منه سياسيا أيضا.

"تحمل الحزمة الجديدة العديد من المتغيرات مقارنة بسابقاتها، إذ فيها تعديلات على طرق صرف الأموال ونوعية المواد التي يمكن شراؤها، إلى جانب تقديم الدعم لعقد كامل من الزمن لبرامج إسرائيل الدفاعية الصاروخية، على أن تلتزم إسرائيل بعدم ممارسة أيّ ضغط داخل الكونگرس للحصول على أموال إضافية". والجملة الأخيرة اعتراف صريح بالإبتزاز والإذعان له طوعيّا والهيمنة التي تتمتع بها الدولة الحليفة.

أثير موضوع الهيمنة ثانية عند الحديث عن رسالة البابا حول المحافظة على البيئة وقدرة الأمم المتحدة على ممارسة أيّ ضغط بهذا الخصوص. ردّ المؤلف قائلا، "لا، لا تستطيع الأمم المتحدة أن تتجاوز ما تسمح به الدول الكبرى، فهي كما تعرف ليست منظمة مستقلة. وعليه، حين تسأل "هل تستطيع الأمم المتحدة أن تفعل شيئا؟" إنّنا في الحقيقة نسأل، "هل تسمح الولايات المتحدة القيام بأيّ شيء في هذا الخصوص؟" هذا وكان البابا قد لفت إلى أنّ تجاوب الإنسان مع العطية الألهية كان مطبوعًا بالخطيئة، والانغلاق ضمن استقلاليته وجشع التملك والاستغلال. وبهذه الطريقة تعرضت للخطر البيئة نفسها، فصارت شيئًا يستغله الإنسان وحسب". وذكّر *فرنسيس* بأنّ هذا التدهور البيئي راح يتفاقم خلال العقود القليلة الماضية بسبب استمرار [https://www.vaticannews.va/ar/pope/news/2019-09/pope-francis-message-word-day-prayer-care-for-creation.html] التلوث والاستخدام المتواصل للمحروقات والاستغلال الزراعي العشوائي، فضلا عن القضاء على الغابات. ولفت إلى أنّ الإنسان خلق اليوم أزمة بيئية طارئة، تهدد الطبيعة والحياة، بما في ذلك حياتنا نحن.

أختتِم الحوار بإثارة قضية *برني ساندرز* وفرصه في الترشيح، فأشار *تشومسكي* مرّة أخرى إلى الهيمنة والتحالفات، التي ستقف في وجهه. قال، "يمكن للمرء أن يُثير عددا من الأسئلة حول سياساته، لكنّني اعتقد أنّه يدفع إلى الواجهة قضايا هامة تحظى بانتباه جزء كبير من الرأي العام. إنّه يضغط على التيار العام في الحزب الديمقراطي ويدفعه قليلا نحو القضايا التقدمية... غير أنّ آفاقه محدودة في نظام كنظامنا الحالي. إنّه نظام يقوم على شراء الأصوات الانتخابية، ويكون في النهاية نظاما پلوتوقراطيا Plutocracy. أمام

ساندرز **فرص قليلة لكسر هذا النظام والنفاذ من خلاله. وحتى لو افترضنا جدلا أنّه تمكّن من ذلك، فليس لديه الكثير ممّا يستطيع فعله. إنّه لا يقود منظمة سياسيّة وليس لديه ممثلون في الكونـگرِس ويفتقر إلى الجهاز البيروقراطي. ليس لديه حكّام ولايات ولا مشرّعون، إلى غير ذلك. كافة الأمور التي تساهم في صياغة السياسة لا تتوفر له".**

كان *ساندرز* قد وجّه، ضربة محبطة لحزبه الذي يسعى للعودة للبيت الأبيض، بعد تصريحات وصِفت بـ"الخطيرة" امتدح فيها النظام الكوبي بزعامة الراحل *فيدِل كاسترو*. تعرض السّنتُر لانتقادات شديدة من [https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/american-elections-2016/2020/02/25] الديمقراطيين، بعد أن صرّح في مقابلة صحافية أنّه "من الظلم أن نقول ببساطة إنّ كل شيء كان سيئًا" في ظل حكم *فيدِل كاسترو* لكوبا. دافع عن تعليقات سابقة له قال فيها، إنّ الكوبيين لم يساعدوا الولايات المتحدة في مسعاها للإطاحة بحكم *كاسترو* لأنّه "قام بتعليم أطفالهم ومنحهم الرعاية الصحية وحوّل المجتمع تماما". أضاف *ساندرز* مخاطبا صحافيا قابله من شبكة سي بي إس، "نحن نعارض جدا الطبيعة الاستبدادية لكوبا، لكنّك تعلم أنّه من الظلم أن نقول ببساطة إنَ كل شيء سيء. أتعلم، ماذا فعل *كاسترو* عندما تولى منصبه؟ كان لديه برنامج واسع لمحو الأمية. هل هذا شيء سيء؟"

تناول الحوار الثامن جذور الصراعات فأعادها *تشومسكي* إلى "العامل الرئيسي وهو الدور التقليدي القوى الكبرى، التي تحبّ دائما أن تتوسّع. لكلّ من فرنسا وإنگلترا والولايات المتحدة تاريخ طويل لبسط الهيمنة الاستعمارية. وعليه، فإنّهم يفعلون ما هو متوقع منهم. يعتمدون على قدراتهم النسبية، التي لا تشمل الدبلوماسية أو التطوير والتنمية أو الحرية، أو أيّ شيء من هذا القبيل. هذه امور يتحدثون عنها فقط. الشيء الذي يبرعون فيه بشكل متميّز هو استخدام القوة العسكرية المفرطة. وهذا هو السبب لوجود القيادة المشتركة للعمليات الخاصّة JSOC والقوات الخاصّة والطائرات المسيّرة والوحدات العسكرية، التي باستطاعتها الذهاب إلى أيّ مكان في العالم وهدّه وتدميره".

استشهد *تشومسكي* أيضًا بما كتبه المحلل العسكري *أندرو ﮔوكبُرن*، الذي أشار إلى أنّه، "في كلّ مرة تقتل قائدا تعتقد أنّك حققت نصرا كبيرا. ولكن حقيقة ما تفعله هي أنّك، وبشكل لا مناص منه، تعمل على استبداله بقائد أصغر سنّا وأكثر كفاءة وأشدّ عنفا. لقد حدث هذا المرّة تلو المرة".

عقّب تشومسكي بالقول، "في الحقيقة أنّنا نسدي معروفا للجهاديين وداعش والقاعدة، الذين يقولون، تعالوا من فضلكم وهاجمونا. إبعثوا لنا الجيوش الصليبية لتقاتلنا. إنّها أداتنا لجلب المزيد من المتطوعين إلى صفوفنا. وخلال وقت قصير ستكونون في حالة حرب مستعرة مع العالم الإسلامي برمته. هذا هو ما يريدونه".

تناول أحد المعلقين العرب طبيعة جذور الصراعات في منطقة الشرق الأوسط بالقول، إنّ الكثيرين يفضلون توصيف الأحداث الدائرة في المنطقة على أنّها صراع سني - شيعي، تقود فيه إيران المحور الشيعي والمملكة العربية السعودية المحور السني، في صراع يمتد على رقعة جغرافية واسعة تضم العراق وسوريا ولبنان واليمن ودول الخليج. وهي مقاربة قد تبدو منطقية وواقعية ولها ما يبررها، بالنظر إلى النفوذ الإيراني المتمدد في المنطقة في السنوات القليلة الأخيرة تحديدا، وفي ظل الإعلام السعودي، الذي يصب في هذا الاتجاه. "بيد أنّ العودة لتطورات الأحداث في المنطقة ومجرياتها وتقييم واقعها الحالي لا تدعم هذه المقاربة، وإنما تقدم تفسيرا مختلفا للصراع الدائر في المنطقة، على الأقل في السنوات الست الأخيرة".

ثمّ مضى المعلق للقول، إنّه في نهايات 2010، كان ثمة عالم عربي يعاني من أزمات متفاقمة ومستفحلة، أنظمة شمولية استبدادية ومظالم وفساد وفقر وأزمات اقتصادية واجتماعية وارتهان للخارج، وصل مثلا إلى درجة إعلان *ليفني* الحرب على قطاع غزة عام 2008 من القاهرة، عاصمة العمل العربي الرسمي المشترك. انطلقت الثورات العربية حالمة ومطالِبة بالكرامة والعدالة وحكم الشعب، وخلال فترة بسيطة نسبيا بعثرت المحورين القائمين في العالم العربي حينها، "معسكر الممانعة" و"معسكر الاعتدال".

لم تأت هذه الثورات على هوى معظم الأنظمة العربية والإقليمية، فقررت مواجهتها وإفشالها لئلا تمتد ارتداداتها إليها أو تمسّ مصالحها، فبرزت ثورة مضادة في كلّ من مصر واليمن وتونس وبدرجة أقلّ في ليبيا، بينما قادت طهران الثورة المضادة في سوريا تحديدا. "وبنظرة لمجريات الأحداث يبدو الطرفان قد نجحا إلى حدّ بعيد، فقد أوقفت الاستدامة المتعمدة للثورة السورية تأثير الدومينو وموجة الثورات، بينما قصم الانقلاب في مصر ظهر الثورات والعالم العربي برمته. وما زال لهذين الحدثين الأثر الأبرز والأعمق في مختلف الأحداث والتطورات التي حصلت وتحصل

حتى اليوم في مختلف البلاد، بما في ذلك الانقلاب الفاشل في تركيا وحصار قطر والمصالحة الفلسطينية". [https://eipss-eg.org/%d8%a8%d9]

من وجهة نظر أخرى، فإنّ الصراعات كانت دائما، سواء في نشأتها، أو تطورها، أو محاولات معالجتها، أو التعامل معها، محصلة لتفاعل عوامل محلية، وأخرى إقليمية، وثالثة دولية، وإنّ تفاوت وزن كلّ من هذه المستويات، أو العوامل التي شملها كلّ مستوى من حالة كلّ صراع إلى الآخر. ونوضح أنّنا عندما نتحدث هنا عن العامل الإقليمي، لا نقصر ذلك التوصيف على الدول العربية وحدها، بل نشمل بالتأكيد الأطراف الإقليمية الرئيسية الأخرى، مثل إيران، وتركيا، وأفغانستان، وكذلك إسرائيل. وأخرى دولية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ومعها جميعا روسيا. [https://samstudies.com/2016/05/07/%D8%AC]

لم تعد صراعات المنطقة مقصورة فقط على صراعات حول أراض، أو على تصفية الاستعمار، كما تجسده بشكل أساسي حالة القضية الفلسطينية، بالإضافة إلى قضايا أخرى فرعية أقلّ أهمية تتصل بأراض متنازع عليها بين دول. كما أنّ هذه الصراعات بدورها ليست مقصورة على صراعات على موارد، سواء كانت مصادر مياه عذبة وطبيعية، بأنواعها المختلفة، أو كانت مصادر طاقة تقليدية أو متجددة، أو أراضي زراعية، أو قابلة للاستزراع أو الاستصلاح.

كما أنّها لا تقتصر أيضًا علي نزاعات تتعلق بالاستحواذ علي أسلحة دمار شامل، وفي مقدمتها السلاح النووي، أو للتخلص من وجود هذه الأسلحة كلية من المنطقة. بل أنّ صراعات المنطقة شهدت أبعادا يمكن وصفها، بدرجة أو أخرى من الدقة، بالأيديولوجية في عقدي الخمسينات والستينات من القرن المنصرم، في ظل أجواء الحرب الباردة من جهة، والتنافس علي زعامة المنطقة من جهة ثانية، والتباين التقدمي - المحافظ، أو شبه العلماني - الديني فيما بين دول المنطقة.

كشف المؤلف في نهاية الحوار الثامن تقريبا سرّا لا يعرفه الكثير. قبل أن يضع خروچُف صواريخه في كوبا بفترة حوالي 6 أشهر، كان كَنِدي قد أمر بوضع عدد من الصواريخ العابرة للقارات في عام 1962 في قاعدة أوكيناوا، في اليابان وكانت موجهة نحو الصين. ووضع عددا آخر منها في تركيا موجهة نحو الإتحاد السوفيتي. بعد أن اكتشف الأمريكان وجود الصواريخ السوفيتية في كوبا جُنّ جنونهم، بفعل تلك الخطوة الجريئة، فكان العالم على وشك قيام حرب عالمية ثالثة.

حين انتهت الأزمة بمفاوضات لسحب الصواريخ السوفيتية مباشرة من الجزيرة، سحب الأمريكيون صواريخهم من تركيا في مدة لم تتجاز 6 أشهر.

ركّز تشومسكي الإنتباه إلى أنّ للولايات المتحدة 7 قواعد عسكرية جوية وبحرية في اليابان. وهذه حقا جزء يسير من القائمة الطويلة جدا للقواعد الأمريكية حول العالم، [https://ar.wikipedia.org/wiki] كما يَتّضح من التالي بأسماء البلدان، التي توجد فيها قواعد العسكر الأمريكيين في كافة ارجاء المعمورة:

أفغانستان - معسكر دواير؛ القاعدة العسكرية المتقدمة في دلهي؛ القاعدة التشغيلية المتقدمة في جيرونيمو؛ Firebase Fiddler’s Green، أستراليا - پاين گاپ، البحرين - القاعدة البحرية الأمريكية البحرين؛ قاعدة الشيخ عيسى الجوية، بلجيكا - قاعدة چفريس الجوية؛ قاعدة كِلِن بروكِل الجوية، البرازيل - مفرزة الدعم البحري الأمريكية في ساو پاولو، إقليم المحيط الهندي البريطاني - (UK) وحدة الدعم البحري في دياگو گارسيا، بلغاريا Aitos Logistics Center -؛ قاعدة بيزمير الجوية؛ قاعدة گراف إگناتيفو الجوية؛ Novo Selo Range، كوبا - قاعدة گوانتانامو، جيبوتي - معسكر ليمونييه، ألمانيا US Army installations in Germany -؛ Panzer Kaserne؛ قاعدة رامشتين الجوية؛ Spangdahlem Air Base، اليونان Naval Support Activity Souda Bay، گرينلاند - الدنمارك - قاعدة ثول الجوية، هندوراس - قاعدة سوتو كانو الجوية، إسرائيل - ميناء حيفا - أسطول الولايات المتحدة السادس Dimona Radar Facility، إيطاليا - Caserma Del Din؛ Caserma Ederle؛ Darby Military Community؛ القاعدة البحرية الجوية في سيگونيلا؛ Naval Support Activity Naples؛ قاعدة أفيانو الجوية، اليابان 7 قواعد أكبرها أوكيناوا و6 قواعد أخرى، كوسوفو - معسكر بوندستيل، الكويت - قاعدة علي السالم الجوية؛ معسكر عريفجان؛ معسكر بيوري؛ قاعدة الكويت البحرية، هولندا Volkel Air Base، النرويج 426 Air Base Squadron at Sola Air Station، سلطنة عمان - RAFO Masirah؛ RAFO ولاية ثمريت (SouOman)، البرتغال - قاعدة لا كِس فيلد، قطر - قاعدة العديد الجوية، سنغافورة Paya Lebar Air Base، كوريا الجنوبية United States Forces Korea، إسبانيا Morón Air Base؛ Naval Station Rota، تركيا - قاعدة إنجرليك الجوية؛ قاعدة إزمير الجوية، الإمارات العربية المتحدة - قاعدة الظفرة الجوية؛ ميناء جبل علي؛ قاعدة الفجيرة البحرية، المملكة المتحدة RAF Alconbury؛ RAF Croughton؛ RAF Fairford؛ RAF Lakenheath؛ سلاح الجو الملكي مِنويث هِل.

افتتح تشومسكي حواره التاسع قائلا، "جرت خلال السنوات الخمسة عشر الأخيرة، محاولات في عدد من البلدان ومنها البرازيل وفنزويلا وبوليفيا والإكوادور وأرِگوَي والأرجنتين،

التي اطلق عليها اسم **الموجة الوردية**، وحقق بعضها نجاحات متفاوتة. هناك ميل شديد، خاصّة حين تحصل على قدر من القوة، أن تمدّ يدك في الكيس وتبدأ العيش كما النخبة. وهذا هو السبب وراء تقويض الحكومات اليسارية وسقوطها، الواحدة تلو الأخرى. إنّ فنزويلا مثال على ذلك، والبرازيل مثل آخر". قام *شافَز* و*لولا* ببعض المحاولات الاقتصادية الإصلاحية، التي كان مصيرها لفشل بشكل عام، وانتهت بموت *شافز* المبكر بمرض سرطان الدم ومجيء *مَدورو* للحكم بعده. أمّا البرازيل فقد حدث فيها انقلاب عسكري يميني أطاح بالحكومة الوطنية والقى *لولا* بالسجن متهما إياه بجرائم فساد. ذكر المؤلف ثلاثة أسباب رئيسية لفشل تلكما التجربتين.

كما تناول ظاهرة لم تكن لها سابقة في تاريخ أمريكا الجنوبية. "في عام 2006، أنتُخِب *إيفو مورالِس* كأوّل رئيس لبوليفيا، ينحدر من سكان البلاد الأصليين، وأوّل رئيس من نوعه في عموم أمريكا اللاتينية. في عام 2016، فشلت محاولته لتمديد فترة رئاسته للمرة الرابعة". فمن هم هولاء السكان الأصليون؟

يُعتقد أنَ أوّل من سكن الأمريكتين اقوام عبرت جسر برينگيا اليابس، الذي يعرف الآن باسم مضيق برينِگ وجاءوا من شمال شرق آسيا إلى منطقة ألاسكا قبل أكثر من 10,000 سنة مضت. أقدم استيطان معروف، تمّ تحديده عند ماونت فيردي، بالقرب من پويرتو ماونت جنوب ما يُعرف الآن چِلي، وزمن احتلالها تقريبا منذ 14,000 سنة. هناك بعض الأدلة مختلف عليها بأنّ الاحتلال جرى في وقت أسبق. وعلى مدى آلاف السنين انتشر القادمون من شرق آسيا في جميع أنحاء القارتين. وبحلول الألفية الأولى بعد الميلاد/قبل الميلاد، كانت غابات أمريكا الجنوبية المطيرة الشاسعة، وجبالها وسهولها وسواحلها أماكن لسكن عشرات الملايين من الناس. أقدم المستوطنات في الأمريكتين هي حضارة لاس فيگس منذ حوالي 8,000 إلى 4,600 سنة قبل الميلاد. وهي مجموعة استوطنت ساحل الإكوادور، وأسلافها هم المعروفون بحضارة فالديفيا من العصر نفسه. شكلت بعض الجماعات المزيد من المستوطنات الدائمة مثل الشيبشا أو "مويزكاس" أو "مايزكاس" ومجموعات التايرونا. وتقع هذه المجموعات في الدائرة المحيطة بالكاريبي، وتعتبر من الشِبشا من كولومبيا والكوچوا وأيمارا من بوليفيا والپَرّو [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%85]، على التوالي. المجموعات

الأربع للشعوب الأصلية التي استقرت تقريبا بشكل دائم، هي المايا Maya والإنكا Inca والأزتِك Aztec والأولمِك Olmec وأسست حضارات متقدمة.

يذكر المصدر أعلاه أنّ العصر الذهبي للمايا بدأ تقريبا عام 250 م، مع آخر حضارتين كبيرتين، الآزتِك والإنكا، اللتين بدأتا تظهران فيما بعد في مطلع القرن الرابع عشر ومنتصف القرن الخامس عشر، على التوالي. كانت إمبراطورية الآزتِك في نهاية المطاف أقوى حضارة عرفت في جميع أنحاء الأمريكيتين، حتى سقوطها نتيجة للغزو الأسپاني. اكتشفتْ الحضارات الأمريكية القديمة وطورت الأدوات الثقافية والتقاويم المتقدمة المفيدة للجنس البشري، كما طورت النظم المعقدة كالتعديل بالجينات التي ساعدت إنتاج الذرة إلى 75% من الغذاء. وكذلك التفنن في أعمال الحَجَر وأنظمة إدارة البيئة للمناطق الجغرافية الواسعة وإنشاء أنظمة ري متقدمة وأنظمة جديدة في الكتابة والأنظمة السياسية والاجتماعية الجديدة والتعدين المتطور وإنتاج المنسوجات،..الخ. كما أوجدت بعض الحضارات العجلة، لكنّها لم تكن ذات فائدة بسبب وجود الجبال والغابات، واستخدمت لصنع الألعاب. وصلت حضارات أخرى لما قبل *كولومبوس* إلى درجة عالية من التطور في بناء المعابد والآثار الدينية.

غزت الإمبراطوريات الإسپانية والبرتغالية والبريطانية والفرنسية وهولندا واستعمرت بعض المناطق وأستعبدت السكان الذين عاشوا في القارة. مع وصول الأوروپيين، فقد النخبة من السكان الأصليين، للأنكا والأزتِك، القدرة بسبب الغزو الأوروپي الكبير. سيطرت قوات *هيرناندو كورتيس* على نخبة الازتِك بمساعدة جماعات محلية كانت تعارض تلك النخبة، وتخلص *فرانسيسكو بيسارو* من حكم الإنكا في غرب أمريكا الجنوبية. وبالتالي استعمرت القوى الأوروپية من الأسپان والبرتغال تلك المنطقة، والتي لم تستعمَر من قبل، وقسمت إلى مناطق تحت الحكم الإسپاني والبرتغالي تفصلها حدود رسمت عام 1493، استولت إسپانيا على جميع المناطق الواقعة في الغرب، والبرتغال على جميع المناطق الواقعة في الشرق. الأراضي البرتغالية في أمريكا الجنوبية أصبحت فيما بعد البرازيل. بحلول نهاية القرن 16 انضمت فرنسا إلى إسپانيا والبرتغال، باحتلالها مناطق واسعة في شمال أمريكا ووسطها وجنوبها، تمتد من ألاسكا إلى الجنوب من پَتگونيا. أدخلت الثقافة والعادات الأوروپية وكذلك الحكومة، ومع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أصبحت قوة اقتصادية وسياسية عظمى لتزيل كافة الطرق التقليدية في المنطقة، لتصبح في نهاية المطاف الدين

الرسمي الوحيد للأمريكتين خلال تلك الفترة. [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%85]

أبيد جزء كبير من السكان الأصليين بسبب الأوبئة والأمراض التي جاء بها الأوروپيون كالجدري والحصبة. لم يستطع المؤرخون تحديد عدد السكان الذين لقوا حتفهم بسبب هذه الأمراض، ولكن بعض الأرقام تقول إنّ النسبة وصلت إلى 85% وكحد أدنى إلى 25%، ولم تكن الأرقام دقيقة لعدم وجود سجلات مكتوبة. أجبِر الكثير من الناجين للعمل في المزارع والمناجم الأورو پية. وكان تمازج الأجناس بين السكان الأصليين والمستعمرين الأورو پيين شائعا جدا، بحيث تشكلت الأغلبية من الناس ذوي الأصول المختلطة "مستيزو" في عدة مستعمرات بحلول نهاية ***الفترة*** الاستعمارية.

في خمسينات القرن الماضي، انتقلت الحرب الباردة في أمريكا اللاتينية لتقترب من الولايات المتحدة. وقد واجه سكان دول أمريكا اللاتينية العديد من المشاكل الخطيرة، كانتشار الفقر وسوء الرعاية الصحية. وخشيت الولايات المتحدة ان تكون السياسة الاشتراكية والشيوعية جذابة بشكل خاص لدول أمريكا اللاتينية. وفي الوقت نفسه، زاد قلق العديد من مواطني الولايات المتحدة حول التهديد لأمنهم وأعمالهم التجارية في أمريكا اللاتينية. لقد دفع هذا الولايات المتحدة أن تعمل وفق ستراتيجية عسكرية عدوانية جدا للاحتواء. وخلال الحرب الباردة، أزالت الولايات المتحدة العديد من القادة المنتخبين ديمقراطيا من دول أمريكا اللاتينية عن طريق عمليات سرية لوكالة المخابرات المركزية واستبدالهم بقادة أكثر ودية لمصالح الولايات المتحدة. يمكن القول، إنّه قد خلق هذا التدخل مع النظام الديمقراطي في هذه البلدان رد فعل سلبي لأنّ العديد من اللاتينيين رفضوا مشاركة الولايات المتحدة. وقد أصبح العديد من القادة الذين وضعتهم الولايات المتحدة في مواقع السلطة طغاة وظالمين.

في السبعينات، اكتسب اليساريون نفوذا سياسيا كبيرا دفع اليمينيين والمسؤلين في الكنسية وجزء كبيرا من الطبقة العليا في كلّ بلد لدعم الانقلابات العسكرية لتجنب ما ينظر إليه على أنّه خطر شيوعي. وزاد ذلك من التدخل الكوبي والولايات المتحدة مما أدى إلى الاستقطاب السياسي. دول عديدة من أمريكا اللاتينية كانت جزء من الحرب الباردة التي تحكمها الدكتاتورية. وفي بداية الثمانينات وأوائل التسعينات استعادت جميع هذه الدول الديمقراطية. غير أنّ العديد من الأنظمة اليمينية تمّ دعمها من الولايات المتحدة عن طريق معاهدة الدول الأمريكية للمساعدة المتبادلة في

إطار الحرب الباردة. وخلال السبعينات، تعاونت هذه الأنظمة في عملية كوندور لقتل العديد من المنشقين اليساريين وبعض عصابات المدن.

ينحو الحوار بعدها منحى آخر، بإثارة سؤال حول التعاون العسكري بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وبين الهند من جهة أخرى. هل هو التطرف الهندوسي الصهيوني الأمريكي ضدّ كلّ ما هو مسلم أو إسلامي والمتمثل في سياسات هذه الحكومات؟ يقول تشومسكي، "السبب الرئيسي لهذا التحوّل في السياسة (يقصد سياسة الهند) يعود إلى المشاعر المضادة للمسلمين في هذه البلدان الثلاث. في إسرائيل العداء ليس واضحا ضدّ المسلمين بل أيضًا ضدّ كلّ عربي ترى فيه تهديدا لوجودها (يوجد داخل حدود إسرائيل حوالي 1.89 مليون عربيا/فلسطينيا يمثلون 21% من مجموع سكان البلاد. أمّا في الضفة الغربية، فيوجد ما يقرب من 2.16 مليون عربيا/فلسطينيا.) في الهند توجد أقلية مسلمة يبلغ عددها حوالي 182 مليون مواطنا. في الولايات المتحدة يوجد 3.45 مليون مواطنا يعانون من مشاعر الكره للإسلام والمسلمين بين عامة الناس، نتيجة ما يُسمّى الحرب ضدّ الإرهاب. وهي حقيقة حرب موجّهة ضد المسلمين".

في ختام هذا الحوار، يعالج المؤلف قضية تحقيق المجتمع الأفضل، فيقول "في ذهني، هو المجتمع الذي تكون فيه القرارات بيد الناس الواعين المهتمين بشؤون عامة الشعب. وهذا شرط مطلوب لكي تكون الخيارات معقولة ومنطقيّة. أمّا بالنسبة للمؤسسات، فإنها تعني أنّ العمال هم من يمتلكون وسائل الإنتاج ويديروها. تكون القيادة من بين صفوف المجتمع والمؤسسات الأخرى خاضعة للرقابة العامة وتحت محاسبتها. التبادل بين إتحادات المتطوعين سيقود إلى عملية اتخاذ القرارات الموسعة من قبل كافة الممثلين، الذين يخضعون للرقابة المباشرة من قبل القاعدة الشعبية ومسؤولين أمامها بشكل دائم.

كما أنّ ذلك يجب أن يكون مصحوبا بتخفيف القيود والإجراءات بشأن الحدود. وهذا أمر قابل للتنفيذ بسهولة، كما لاحظنا في مسألة الإتحاد الأوروبي. وبشكل عام، فإنّ الأمر يعني نظاما عالميا يقوم على التبادل المشترك والتعاون المتقابل والإنتاج لأغراض الحاجة والاستعمال بدلا من تكديس الأرباح، والاهتمام بقضية بقاء الكائنات وحمايتها. "باعتقادي الراسخ، فإنّ، كافة هذه هي مؤشرات نحو المجتمع الأفضل، وهي جميعا قابلة للتحقيق".

افتتح المؤلف حواره العاشر بالحديث عن شخصية *ترامپ* غير المستقرة. قال، "إنّ 4 سنوات من حكم *ترامپ* قد تضعنا في نقطة تحوّل، قدر تعلق الأمر بقضية تغيّر المناخ، وستفرض الإمتناع عن إثارة أيّة أسئلة بشأنها. قد يبدو الأمر مشوّشا، ولكن لو القيت نظرة على التطورات في هذه الأيام وسياسات *ترامپ*، على افتراض أنّه سيطبقها جميعا، فإنّ المزج بين صفات هذا الإنسان وسياساته مسألة خطيرة للغاية". وجاء دعم مباشر لمثل هذا التوصيف على لسان مسؤول متمرّس يُعتبر من صقور الحزب الجمهوري وعمل في البيت الأبيض.

ذكر جون بَولتُن [https://www.annahar.com/article/1216253] مستشار الامن القومي الأمريكي السابق، إنّه يعتقد بانّ الزعيم الكوري الشمالي كِم جونگ أون "يهزأ" من مفهوم الرئيس الأمريكي دونَلد ترامپ لعلاقة الصداقة بينهما. تحدث بَولتُن إلى شبكة "أي بي سي نيوز" في أول مقابلة قبل نشر كتابه، الذي يتضمن انتقادات حادة للرئيس ترامپ. حين سألته الصحافية مارثا رادَتز إنْ كان ترامپ "يعتقد فعليا أنّ كِم جونگ أون يكنّ له الودّ،" رد بَولتُن أن ليس هناك أيّ تفسير آخر. ثمّ اضاف، "أعتقد أنّ كِم جونگ أون يهزأ من كلّ هذا الأمر". وتابع، "إنّ الرسائل التي عرضها الرئيس على الصحافة، كتبها موظف رسمي في مكتب الدعاية التابع لحزب العمال الكوري الشمالي".

استمر يقول، "رغم ذلك، عرضها الرئيس كدليل على عمق صداقتهما" مشيرا إلى أنّ الصداقة لا ترقى إلى مستوى الدبلوماسية الدولية. وأكد *بَولتُن* أيضًا أنّه لا يعتبر أنّ *ترامپ* مؤهل للرئاسة معربا عن أمله في عدم توليه ولاية ثانية. ثمّ قال معقبا، "آمل أن يذكره (التاريخ) كرئيس شغل ولاية واحدة ولم يغرق البلاد بشكل لا عودة عنه في دوامة انحدار لا يمكننا النهوض منها. يمكننا تجاوز تداعيات ولاية واحدة فقط".

ووفق أقوال *بَولتُن*، حاول الرئيس الأمريكي الحصول على مساعدة الرئيس الصيني، *شي جِن بِنگ*، لتأمين إعادة انتخابه، بحسب ما جاء في تفاصيل من الكتاب الجديد، نشرتها وسائل إعلام أمريكية. ذكر *بَولتُن* أنّ *ترامپ* أراد من الصين شراء منتجات من مزارعين أمريكيين، لمساعدته في كسب اصوات هؤلاء وتأمين فوزه بالانتخابات لولاية ثانية. تتعلق المزاعم باجتماع بين الرئيس الأمريكي ونظيره الصيني في قمة العشرين في أوساكا في اليابان، في حزيران العام الماضي. تبدو الرواية التي يقدمها جون *بَولتُن* مألوفة إلى حدّ ما. هذه ليست المرة الأولى التي يقدم فيها مستشار

سابق أو مساعد حالي مجهول *لترامپ* حكايات عن رئيس يبدو أنّه غير مهتم بتفاصيل الحكم وغير مطّلع على القضايا الأساسية للسياسة الخارجية، منها أنّه لا يعرف إن كانت بريطانيا تمتلك قوة نوويّة وإنّ كانت فنلندا جزء من روسيا! وخلال ثلاث سنوات ونصف تقريبا، خرجت قصص عديدة من البيت الأبيض عن الغدر والصراعات الداخلية على السلطة.

يذهب *بَولتُن* في كتابه لأبعد من هذه الأرضية المعقدة للغاية، حيث يرسم صورة لرئيس يرغب في تطويع السياسة الخارجية لتعزيز أجندته المحلية والشخصية. وهذا ما كان في صلب قضية محاولة عزله من قبل الديمقراطيين في كانون الثاني من عام 2020. يؤكد *بَولتُن* مزاعم الديمقراطيين بأنّ الرئيس أراد حجب المساعدات العسكرية للضغط على أوكرانيا لتقديم معلومات ضارة عن منافسه الديمقراطي جو *بايدن*. ويضيف أنّ *ترامپ* كان يتعامل مع الصين وعينه على إعادة انتخابه، وأنه تدخل مرارا لمساعدة حكام مستبدين أصدقاء [https://www.bbc.com/arabic/world-53087659] حول العالم، كالرئيس التركي. كما وصف *دونَلد ترامپ* بأنّه "ساذج"، كاشفا أنّ الرئيس الروسي "*فلادِمِر پوتِن* لا يرى في نظيره الأمريكي خصما وإنّما يستطيع تحريكه كما يعزف الكمان".

أثار المحاور في النهاية مسألة احتمال قيام ثورة في أمريكا، فردّ *تشومسكي* ناصحا، "ليست الولايات المتحدة في موقف ناضج من أجل قيام ثورة، بأيّ شكل من الأشكال. وإذا كنت تريد الوصول لتلك الغاية، فيجب أن تبني لها قاعدة شعبية". وإذا أخذت كلمة "ثورة" بشكل جدّي، "وكنت تريد مثلا أن تتخلص من النظام الرأسمالي برمته، فيجب أن تركّز على الخيارات ضمن النظام والاستفادة منها لأقصى حدّ ممكن. إذا اتفق الرأي العام على أنّه يريد الذهاب إلى هدف أبعد، وكانت مقاومة النظام شرسة وعنيفة للغاية، فإنّ الثورة ستحدث. ولكن ليس قبل ذلك، وليس من قبل فئة صغيرة تهتف، دعونا نذهب لنكسر زجاج شبابيك المصارف".

أمّا المعلقون العرب فيعتقدون أنّ أمريكا في عام 2020 على ابواب ثورة ضدّ العنصرية، وأنّ هذه الثورة تمتد إلى أوروپا، وبالذات إلى قلب عواصم الإمبراطوريات الغابرة. فمثلا يرى عبد *الباري عطوان* في صحيفة "رأي اليوم" اللندنية، أنّ "أمريكا على أبواب ثورة ضد العنصرية المتصاعدة". ويقول، "هذه الجريمة البشعة التي وثّقها أحد المارة بكامِرا هاتفه المحمول أعادت فتح ملف الاضطهاد الذي يتعرض له المواطنون السود على أيدي الشرطة، وبعض مؤسسات الدولة،

رغم مرور 200 عام أو أكثر على إلغاء قوانين التمييز العنصري، فالفوارِق ما زالت موجودة". يوجه *عطوان* الاتهام لإدارة *دونَلد ترامپ*، مشيرا إلى أنّ وصوله "إلى البيت الأبيض كان عبر أصوات العنصريين البِيض، وبسبب تبنيه لأجنداتهم، وتهجمه على الرئيس *بَراك أوباما* ومطالبته له بالعودة إلى كينيا، مسقط رأس والده، والتشكيك في شهادة ميلاده، أضف [https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52860377] لذلك حملاته ضد المهاجرين والمسلمين منهم خاصة. كلّ هذه أسباب أدت إلى تفاقم ممارسات التمييز العنصري في دولة تدعي أنّها زعيمة المساواة والحرية في العالم".

تصدرت الاحتجاجات عناوين عدة صحف، بينها "الأهرام" المصرية التي صدرت تقول، "بعد ليلة شغب.. أمريكا تنشر 500 جندي من الحرس الوطني في مينيابولِس"، و"الدستور" الأردنية التي صدرت بعنوان، "مظاهرات تجتاح عدة مدن أمريكية احتجاجا على حادثة مينيابولِس". من جهتها، أبرزت صحيفة "النهار" اللبنانية تعدد حوادث العنصرية الموثقة في الولايات المتحدة، وقالت، "من وفاة رجل أسود في مينيابولِس إلى حادث عنصري في سنترال بارك، تُستخدم كامِرات الهواتف بشكل متزايد كسلاح ضد العنصرية، حتى لو لم تواكبها الأنظمة القضائية دوما".

في موقع "العمق المغربي"، تساءل *صلاح الدين ناصر*، "أمريكا والسود.. متى المصالحة؟" وقال، "لم يكن للسود من ثمرات ثورة القرن العشرين أيّ نصيب. فرغم التقدم الفكري والتقني استمرت معاناة السود خاصة في الولايات الجنوبية، وشاركوا في حروب العشرين خادمين الأراضي الأمريكية بكل تفان وإخلاص، وحتى في زمن الهجرة العظمى إلى بلاد العم السام لم يسلم 'الملونون من التفرقة". وتابع، "كانت ردة فعل المجتمع الأمريكي قاسية وعنيفة فكسروا سيارات الشرطة، هاجموا بعض عناصرها، وعمت فوضى عارمة في العالمين الواقعي والافتراضي، حيث تزعم المشاهير، على رأسهم لاعب كرة السلة *لِبرون جَيمس*، حملات إعلامية لمنع تغلغل العنف في صفوف 'حماة الأمة' والدفاع عن المجتمع الافرو - أمريكي تحت شعار [https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52860377] "لا أستطيع التنفس". وهي آخر كلمات نطقها جورج *فلويد* قبيل موته مخنوقا بركبة شرطي ابيض".

أشار *مصطفى قطبي* في صحيفة "المستقبل" المصرية إلى أنّ "أمريكا بلد الحريات غارقة في العنصرية". وقال، "هذه الاحتجاجات تؤكد على السلوك العدائي للأمريكيين أصحاب البشرة البيضاء، تجاه مواطنيهم من السود، وتجدد مرات ومرات على أنّ الكلام المنمق الذي تستخدمه الإدارات الأمريكية المتعاقبة للحديث عن بعض وجوه المساواة والعدالة المتحققة في المجتمع الأمريكي، ليس حقيقة في المجمل، وإنّما في جزء منه فقط. وهو يخفي خلفه صورة قبيحة لهذه الدولة، التي لا يمكن قبولها في القرن الحادي والعشرين. ويدلل في الوقت ذاته على أنّ الاضطهاد والعنصرية متأصلان في الولايات المتحدة، رغم أنّ الدعاية الأمريكية منذ زمن طويل تحاول أن تصوّر هذه البلاد وشعبها بأنّهم يعيشون في مدينة فاضلة أشبه بمدينة أفلاطون".

وفي موقع "الميزان" المصري، كتبت *نيرفانا سامي*، "أعتقد أنّه إذا قرّر أحد كتابة تاريخ المجتمع الأمريكي وكيف تطورت صفاته وسلوكه الاجتماعي، سوف يقرّ بأنّ الرجل الأبيض عرف العنصرية ضد أصحاب البشرة السوداء من الأصول الأفريقية قبل معرفته بالإنسانية. ورغم أنّه من الكوميديا السوداء أن يكون قد مرّ ما يقرب من 200 عام منذ أن حرّر *إبرَهام لِنكُن* العبيد في أمريكا، مازال أصحاب البشرة السوداء يعانون من كافة أشكال العنصرية في العديد من الولايات الأمريكية. إنّ موت جورج *فلويد* هو صرخة جديدة في وجه عنصرية الرجل الأبيض الأمريكي". [https://www.bbc.com/arabic/inthepress-52860377]

أضافت الكاتبة قائلة، "مقتل جورج *فلويد* لم يكن حادثا غريبا على المجتمع الأمريكي، الذي يتفنن في إظهار العنصرية والكراهية ضدّ المواطنين الأمريكيين من أصول إفريقية. فكلّ عام يسقط عشرات الأشخاص ضحايا الحوادث العنصرية التي تطال كلّ الفئات المجتمعية والثقافية. ولكنّ الشيء الذي يمثل كوميديا سوداء حقيقية فيما يخص عنصرية المواطنين الأمريكيين، هو أنّ أمريكا في الأساس بلد مهاجرين. فحتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نفسه أصوله ليست أمريكية!"

يفرّق *تشومسكي* بين نوعين من المهاجرين/اللاجئين، وهما المهاجرون لأسباب سياسية أو بسبب الحروب، واللاجئون لأسباب بيئية بفعل تغيّرات المناخ. يتطرق الحوار الحادي عشر في مطلعه إلى مسؤولية أمريكا في احترار المناخ، ويعلق المؤلف بالقول، "السؤال، الذي تردد على السنة المندوبين في مؤتمر مراكش للمناخ، هو أنّه الآن وكما يبدو فإنّ أكثر البلدان أهمية في العالم بصدد هذا الموضوع، من المحتمل أن ينسحب. فهل أنّ لمشروع انقاذ العالم من مشكلة الاحترار

المناخي أيّة فرصة للاستمرار؟ انتهى المؤتمر، ولم يتوصّل إلى تحقيق أيّ شيء، باستثناء بعض الالتزامات اللفظية... إلى من تنظر هذه الدول؟ الصين. الصين هي القائد الذي يتوقعون منه أن ينقذ البشرية من التدمير، الذي تلحقه بنفسها. وفي الجهة المقابلة، يوجد بلد واحد يخشاه المؤتمرون بأنّه سيدمّر كلّ شيء. هو البلد المفترض فيه قيادة العالم الحرّ، واقوى بلد في تاريخ البشرية. كان مشهدا مثيرا".

لا تعترف القوانين المحلية أو الدولية بحالة ما يسمى بلاجئي المناخ، لكنّ أعداد هؤلاء اللاجئين تزداد باستمرار. هناك عنصر يجعل تأثير التغير المناخي العالمي على الناس واضحا للغاية، وهو الماء، في حال ندرته وفي حال زيادته عن الحاجة. يعيش ثلث سكان العالم قرب السواحل، ومع ارتفاع منسوب مياه البحر سيفقد حوالي 700 مليون شخصا أماكن عيشهم. في الفِلِپين يقول 85% من السكان إنّهم شعروا بالفعل بتأثيرات تغير المناخ، في صورة فيضانات وزيادة الأعاصير القوية، ومثلها حدث ويحدث في بَنگلادَش والهند والنيپال وميانمار وفيتنام. في المقابل يعاني المزارعون في مرتفعات گواتِمالا من جفاف شديد. أدّى هذا كله إلى هجرة جماعية، أغلقت الدول الغنية مثل الولايات المتحدة الأبواب في وجهها. يعتبر نمط الحياة في الدول الصناعية سببا رئيسيا لتغير المناخ. سبع دول من بينها الولايات المتحدة والصين وروسيا والهند وألمانيا مسؤولة عن أكثر من 60% من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في العالم.

من المفارقات أنّه في البلد الذي يتسبب في أعلى انبعاثات ثاني أكسيد الكربون، يعيش أغلب الذين ينكرون التغير المناخي، في الولايات المتحدة. يأتي في مقدمتهم الرئيس *دونَلد ترامپ* نفسه. لقد انسحب من اتفاقية پاريس للمناخ واستأنف استخراج الوقود الأحفوري ويبني جدارا لإيقاف المهاجرين. هذا في الوقت الذي يكافح فيه نشطاء المناخ من أجل إجراء تغييرات جذرية لوقف الكارثة المناخية. يرفض أغلب الناس تغيير نمط حياتهم، [https://www.dw.com/ar/%D9%86%D] في ذات الوقت يغادر الآلاف والآلاف مواطنهم لأنّ وجودهم أصبح مهدّدًا.

يشير المصدر اعلاه إلى أنّه بمعدل كلّ ثانيتين يُجبَر إنسان على ترك موطنه. وهناك أكثر من 70 مليون إنسانا نازحا حول العالم. "سلسلة نازحون" الوثائقية من إعداد وكالة دويچه فيله الألمانية، تبحث في أسباب النزوح، وتربط بين أسلوب العيش في الدول الصناعية الغربية وبين

موجات الهجرة الكبيرة من المناطق الجنوبية في العالم. هذا وكان وزير التنمية الألماني گيرد *مولر* قد انتقد الخطوة الأمريكية في الإنسحاب من اتفاق پاريس للمناخ، معتبرا ذلك انتكاسة. قال، "إنّ الدول الصناعية، التي تتسبب بصورة رئيسية في تغير المناخ، تقع عليها مسؤولية خاصّة، ويتعين عليها أن تقوم بدور نموذجي". وجدير بالذكر، أنّ رئيسة البلاد *ميركِل* قد ضمّت صوتها إلى صوت وزيرها، وأكّدت أنّ الدول الصناعية مسؤولة عن مكافحة التغيير المناخي. [https://www.dw.com/ar/%D8%A8%D8%B1]

قالت *ميركِل* أمام الأمم المتحدة إنّ التحدي العالمي يكمن في حصر ارتفاع درجة حرارة الأرض بنحو 1.5 درجة فقط. وأوضحت أنّ الدول الصناعية هي التي تسبب ارتفاع حرارة الأرض، فيما تكون الدول النامية هي المتضررة بشكل أساسي. وتابعت ولهذا السبب يكون من واجب الدول الصناعية توفير التكنولوجيا والمال لوقف ارتفاع درجة حرارة الأرض. وأعلنت *ميركِل* أنّ ألمانيا ستضاعف مساهمتها المالية في الجهود الدولية لمكافحة التغيير المناخي مقارنة بالتزامات عام 2014، حيث كانت ألمانيا قد خصصت مبلغ [https://www.dw.com/ar/%D9%85%D9%8A%D8%B1%D9] ملياري يورو ليرتفع حاليا إلى أربعة مليارات يورو. وأشارت إلى أنّ نحو 1.5 مليار يورور من هذه المساهمة ستدخل في "صندوق المناخ الأخضر" التابع للأمم المتحدة. في نفس الوقت، وجهت المستشارة *ميركِل* نداء عاجلا لإنقاذ الغابات المطيرة ليس في الأمازون وحدها بل في أفريقيا في الكونگو. وفي لقاء عقدته مع جماعة "تحالف من أجل الأمازون" على هامش قمة الأمم المتحدة للمناخ، قالت المستشارة في نو يورك، "هناك مثل في ألمانيا يقول ليس هناك شيء جيد إلا ما يتمّ فعله".

ثمّ تطرّق الحوار إلى مسألة انتخابات الرئاسة، فتحدّث *تشومسكي* شارحا أسباب اعطاء الطبقة العاملة من البيض صوتها للجمهوري *ترامپ*. "إنّ عددا كبيرا من هؤلاء كانوا قد صوّتوا لصالح *أوباما* عام 2008. لقد صوتوا له لسبب واحد فقط. كان شعار حملته (الأمل والتغيير) وكانوا يتعطشون للتغيير ويحلمون بالأمل لأسباب مشروعة وجادة. في عام 2007، أي قبل عام من الكساد الاقتصادي، الذي ضرب البلد، كان العمال يتلقون أجورا منخفضة، تقلّ في الواقع عمّا كانوا يتلقونه عام 1979. وعليه فإنّ الدعوة للتغيير أوقدت في نفوسهم شعلة الأمل باحداث التغيير المرجو. غير أنّ آمالهم تلاشت ولم تأتِ لهم إدارة *أوباما* بالتغيير، الذي وعدت به وكانوا يتوقعونه. ولذلك فإنّهم في

عام 2016 صوتوا لصالح رجل وعدهم أن يحقق لهم ما يريدون ويعوّض عن خيبتهم بالإدارة السابقة. وهذا يعني فرصا لتوفير برامج واقعية وعملية تحقق الآمال فعلا وتحدث التغيير المرجو".

لعل العار، الذي سيلحق بالرئيس الرابع والأربعين، حسب رأيي، أنّه اصبح ووزير عدله، *أرِك هولدَر*، من أقوى حلفاء المصارف ومؤسسات سوق الأموال في نو يورك بهدف الحصول على التبرعات السخية للحملات الانتخابية، وهما يعرفان جيّدا أنّ هؤلاء من أشدّ لصوص المال في هذه البلاد. فعلى ماذا احتوت قائمة إخفاقاته، إضافة إلى عدم الأيفاء بوعوده للطبقة العاملة؟

صحيح أنّه وقع قانون الاتفاق على الميزانية الأمريكية، تحاشيا لسقوط الاقتصاد الأمريكي في "الهاوية المالية"، ومعتبرًا أنّه حقق أحد وعوده خلال حملته الانتخابية بتغيير النظام الضريبي. قال في بيان له، "إنّه بفضل تصويت الديمقراطيين والجمهوريين في الكونگرس فإنه سيوقع على قانون يرفع الضرائب على الأكثر ثراء والذين يشكلون 2% من الأمريكيين، فيما تتفادى الطبقة الوسطى ارتفاع الضرائب، ما كان سيعيد الاقتصاد الأمريكي إلى حالة الركود ويؤثر بشدة على العائلات في كافة أنحاء البلد". غير أنّه خلال السنوات [https://www.akhbaralaan.net/business/2013/01/02/obama-signs-agreement-avoid-financial-abyss] الثماني في الحكم، فشل *أوباما* في تحقيق أحد وعوده الانتخابية، وهو إغلاق معتقل گوانتَنامو، الذي يرمز إلى تشديد تدابير الولايات المتحدة للتصدي للإرهاب بعد اعتداءات أيلول 2011. ورغم المحاولات المتكررة، لم يتمكن *أوباما* من تخطي عقبة الكونگرس. ففي بداية 2016، قدم خطة تحدّد 12 موقعا على الأراضي الأمريكية من شأنها استقبال المعتقلين، لكنّ جهوده ذهبت أدراج الرياح.

في عهد *أوباما*، شهدت الولايات المتحدة أحد أكبر حوادث إطلاق النار في تاريخها يوم 14 كانون الأوّل 2012، حين هوجمت مدرسة ابتدائية في مدينة نوتاون بولاية كنَتِكت فقتل منفذ الاعتداء 27 شخصا بينهم 20 طفلا، ثم انتحر. يومها قال *أوباما* "إنه أسوأ يوم في رئاستي"، ورغم ذلك لم ينجح في مراجعة قانون امتلاك الأسلحة النارية. لقد تتالت حوادث إطلاق النار خلال فترة حكمه، وبينها هجوم أورلاندو ودالَس، ولم يكن الرئيس قادرا سوى على التعبير عن استيائه فأكد "هذا هراء" معربا عن أسفه من تكرار هذه المآسي التي أصبحت شبه "روتينية" في المجتمع الأمريكي.

خيّب أوّل رئيس أسود في تاريخ الولايات المتحدة، والذي انتخب بفضل دعم كبير من الأقليات، الآمال حيال مسألة اللامساواة العرقية. وحرص *أوباما* على ألّا يبدو رئيسا لأقلية معينة فاتسمت مواقفه بحذر شديد إزاء تعاقب الأحداث عن مقتل سود برصاص الشرطة، رأى فيه العديد تخاذلا سياسيا تجاه معضلة العنصرية. من جهة أخرى أصدر *أوباما* قرارا رئاسيا يتيح لأبناء المهاجرين البقاء في الولايات المتحدة لكنّه لم يترجم هذا الموقف بسن قوانين مناسبة، فأكد المحللون أنّ بإمكان خلفه أن يلغي ويبطل هذا القرار بسهولة فهو بذلك لا يضمن أية حقوق للبقاء في البلاد لهؤلاء المهاجرين.

من فشل قمة كوبنهَيگِن في 2009، استخلص *أوباما* عبرة أساسية، مفادها أنّ المفاوضات الدولية حول المناخ لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة دون اتفاق بين الولايات المتحدة والصين، أبرز مسببين للتلوث في العالم. وكان بعد ذلك أحد أبرز مهندسي الاتفاق العالمي حول المناخ الذي عقد في باريس أواخر 2015. لكنّ حصيلته في هذا الملف تمكن *ترامپ* أن يبددها بالإنسحاب من اتفاقية پاريس.

بعد أن وعد *أوباما* خلال حملته الانتخابية بالانسحاب الكامل من أفغانستان عام 2016، وبعد أن بدأ في سحب القوات تدريجيا، انتهت ولايته تاركا فيها 8400 جنديا أمريكيا. ولكن يرى قسم من مراقبي الشأن الأمريكي أنّ قرار *أوباما* الإبقاء على هؤلاء قرار رصين أمام فشل قوات الأمن الأفغانية في التصدي للهجمات الإرهابية والسيطرة على الوضع الأمني بشكل كامل. كما أرسلت الولايات المتحدة التي كانت تقود حربا على تنظيم الدولة الإسلامية قوات عسكرية إلى العراق مجددا لدعم القوات العراقية حتى تتمكن من استعادة السيطرة على المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم المتطرف. أجج ذلك مخاوف شديدة بعد أن خرجت الولايات المتحدة من "المستنقع العراقي" عام 2011. [https://www.france24.com/ar/20170111] وحتى إنْ كان *أسامة بن لادن* قد قتل في غارة أمريكية جريئة، والكلّ يتذكر كيف كان *أوباما* يتابع العملية مباشرة في "غرفة العمليات"في البيت الأبيض، فإنّ الحرب على الإرهاب لم تنتهِ.

كرّس *تشومسكي* الحوار الثاني عشر، الذي دار بينه وبين زميله *بارسَميان*، عن طريق البريد الإلكتروني بتاريخ 20 حزيران من عام 2017، للحديث عن رئاسة *ترامپ*. كان هذا قد دخل البيت الأبيض قبل ستة شهور. قال، "الآن والإنتباه منصبّ على آخر شطحات *ترامپ* الجنونية، فإنّ

رايَن والزمرة المحيطة به ضمن السلطة التنفيذية العليا، يعبثون بالتشريعات القانونية لإضعاف ما يتعلق منها بحقوق العمال وحماية المستهلكين والحاق الأذى بالمجتمعات الريفية والبيئة. إنّهم يسعون لتدمير البرامج الصحية والغاء الضرائب المفروضة على ذوي الدخول العالية، بقصد إثراء اصحابهم أكثر فأكثر، وبالتالي نزع الشرعية عن ***قانون دَود ـ فرانك***، الذي فرض وضع قيود على الأنظمة والمؤسسات المالية المتغوّلة، والتي كانت في حالة تخمة متناهية نتيجة جني الأموال والأرباح خلال فترة سيطرة افكار اللِبرالية الجديدة".

إنّ *ترامپ* في رأي *تشومسكي* ليس سوى واجهة مضحكة، مهرّج تحركّه من خلف الستار زمرة من اقصى اليمين في الحزب الجمهوري لتحقيق غاياتها واهدافها في السيطرة على النظام القضائي وحشوه بانصارهم، وصولا إلى المحكمة العليا. وفي رأيه أيضا، "إطلاق آلات التدمير، التي حرّكها الحزب الجمهوري ووفّر لها القوّة. في الحقيقة، لم يعد هذا الحزب حزبا سياسيّا وفق المفهوم التقليدي". ثم يمضي للاستشهاد بالمحللين السياسيّين المحافظين، *تومَس مان ونورمَن أورنستين*، اللذين وصفا الحالة بشكل دقيق بأنّها "تمرّد راديكالي Radical Insurgency، تخلى عن السياسات البرلمانية الإعتيادية وتجاوزها".

يتابع *تشومسكي* نشاطات الزمرة اليمينية فيفضح عمّا اعلنته صراحة بشأن، "الإنسحاب من اتفاقية باريس حول المناخ، وعزلوا بذلك الولايات المتحدة عن بقية انحاء العالم وجعلوها دولة منبوذة ترفض الإشتراك في الجهود العالمية لمواجهة أزمة تغيّر المناخ، التي تلوح في الأفق وتهدّد بخلق كوارث بيئية مدمّرة للغاية. وأسوأ من ذلك، فإنّهم يحاولون زيادة أقصى حدّ ممكن لاستخراج الوقود الأحفوري وتوفيره لأغراض توليد الطاقة، والغاء كافة اللوائح المتعلقة بحماية البيئة، وقطع تمويل البحوث وتطوير بدائل مصادر الطاقة، التي ستكون خلال وقت قصير من مستلزمات العيش الكريم".

يتنبأ *تشومسكي* بأن، "ادّعاءات (يطلقها *ترامپ* باستمرار) من هذا القبيل قد تقود إلى تفكك النظام السياسي الأمريكي الراسخ من خلال سيادة حزب واحد يتنافس فيه على السلطة جناحان له، بحيث تنحاز الكتل الانتخابية لهذا الجناح أو ذاك من حملة انتخابية إلى حملة أخرى. لربّما سيسمح التنافس بين هذين الجناحين بايجاد فرصة لبروز حزب شعبي. حزب يحظى بتأييد الكتل الانتخابية الفعلية وتكون له قيم تستدعي الاحترام وتستحقه".

في الأشهر القليلة الماضية ومع تزايد الإجراءات لمواجهة تفشي فيروس كورونا المستجد، التي تضمّنت حظر العديد من البلدان حول العالم السفر إليها ومنها، بدت أزمة الجائحة بمثابة "اختبار هائل" للعولمة والفلسفات التي سادت العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية مثل "السوق الحرة" ومبدأ "عدم تدخل الدولة في الاقتصاد،" بينما تعيش المجتمعات التي اجتاحها كورونا حالة من الصدمة والخوف بأن يقضي الفيروس على شعوبها. في أحدث حوار له مع موقع تروث أوت الأمريكي غير الربحي، ناقش المفكر وعالم اللسانيات نُعوم تشومسكي أستاذ علم اللغة في معهد ماسَچوسِت للتكنولوجيا، ومؤلف العديد من الكتب والمقالات، كيف أنّ "الرأسمالية النيولِبرالية نفسها تقف وراء التعامل الفاشل للولايات المتحدة مع جائحة كورونا". قال تشومسكي إنّ الوباء كان متوقعا قبل ظهور جائحة كورونا بوقت طويل، لكنّ الإجراءات الاستباقية اللازمة للتعامل مع مثل هذه الأزمة منعتها الضرورات القاسية لنظام اقتصادي لا يهمه منع وقوع كارثة مستقبلية لأنّ ذلك غير مربح اقتصاديا.

أوضح المفكر الأمريكي، المعروف بنقده الحاد لما يسميه "اللِبرالية المتوحّشة" وللسياسة الخارجية لحكومات بلاده، أنّ الولايات المتحدة لديها أسوأ سجل في الاستجابة للأزمة، مبينا أنّ العلماء حذروا من الجائحة لسنوات، خاصة منذ وباء سارس عام 2003. كان الوقت مناسبا منذ ذلك الحين للبدء في تطبيق أنظمة الاستجابة السريعة استعدادا لتفشي المرض، وتخصيص الطاقة الاحتياطية اللازمة، وكان من الممكن أيضًا اتخاذ مبادرات لتطوير دفاعات وأنماط علاجية للفيروسات ذات الصلة.

استدرك تشومسكي قائلا، لكنّ الفهم العلمي ليس كافيا، "يجب أن يكون هناك شخص ما يلتقط الكرة ويركض بها"، لكنّ هذا الخيار ألغي بسبب أمراض النظام الاجتماعي والاقتصادي المعاصر. وتابع "كانت إشارات السوق واضحة، ليس هناك ربح في منع وقوع كارثة مستقبلية. كان يمكن أن تتدخل الحكومة، ولكن هذا ممنوع بسبب عقيدة "الحكومة هي المشكلة" الرأسمالية الحاكمة، مما يعني أنه يجب تسليم عملية صنع القرار بشكل كامل إلى عالم الأعمال. وهو عالم مكرّس للقطاع والربح الخاصّ، وليس فيه أولئك الذين قد يهتمون بالصالح العام". وأضاف "لقد أعطت السنوات التي تلت ذلك جرعة من الوحشية النيولِبرالية للنظام الرأسمالي غير المقيد وأنتجت أشكالا ملتوية من الأسواق،" بحسب تعبيره.

تمّ الكشف عن عمق هذه الأمراض الرأسمالية وحالات الفشل الدراماتيكية، بالنظر للافتقار لأجهزة التنفس الاصطناعي التي تعدّ أساسية لمواجهة الوباء. وقال *تشومسكي*، إنّ وزارة الصحة الأمريكية تنبأت بالمشكلة قبل وقوع الجائحة، وتعاقدت مع شركة صغيرة لإنتاج أجهزة تنفس اصطناعي غير مكلفة وسهلة الاستخدام. ولكن بعد ذلك تدخل المنطق الرأسمالي، يتابع *تشومسكي*، فقد اشترت شركة كبرى (كوفيديان) تلك الشركة، وقامت بتهميش المشروع. و"في عام 2014، مع عدم تسليم أجهزة التنفس الاصطناعي المطلوبة إلى الحكومة، أخبر المسؤولون التنفيذيون في شركة كوفيديان المسؤولين في وكالة الأبحاث الطبية الفدرالية الأمريكية أنّهم يريدون فسخ العقد، وفقا لثلاثة مسؤولين اتحاديين سابقين. واشتكى المسؤولون التنفيذيون من أنّه غير مربح بما يكفي للشركة". [https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/4/6/]

سلطت هذه الأزمة، بحسب رأي *تشومسكي*، الضوء على المخاطر الصحية التي تتسبب فيها الاستعانة بالشركات الخاصة، التي تركز بدورها على جني الأرباح بطريقة لا تتفق دائما مع أهداف الحكومة في الاستعداد لأزمة مستقبلية. وقال المفكر الأمريكي إنّه وفقا للعقيدة النيولِبرالية، كما نظّر المفكر الاقتصادي الحائز على جائزة نوبل *مِلتُن فريدمَن*، فإنّ مهمة مديري الشركات هي مضاعفة الأرباح. وأيّ انحراف عن هذا "الالتزام الأخلاقي" من شأنه أن يحطم أسس "الحياة المتحضرة".

تابع *تشومسكي* بأنّ أزمة جائحة كورونا، ستكون تكلفتها شديدة وربما مروعة، لا سيما بالنسبة للفقراء والفئات الأكثر ضعفا، ويرى أنّ الإدارة الأمريكية الحالية، التي تلقت تحذيرا مسبقا من احتمال حدوث جائحة، تعاملت بطريقة تجارية مع الأزمة مما قد يجعلها أكبر جريمة في التاريخ، إذا نظرنا للعواقب. وقال *تشومسكي* إنّه يسهل إلقاء اللوم على *ترامپ* في الاستجابة الكارثية للأزمة، "ولكن إذا كنّا نأمل في تجنب الكوارث في المستقبل فيجب أن ننظر وراء ذلك، لقد جاء *ترامپ* إلى منصبه في مجتمع مريض، يعاني من 40 عاما من النيولِبرالية"، وتابع المفكر الأمريكي "كانت النسخة النيولِبرالية للرأسمالية سارية المفعول منذ فترة *رَيگِن* و*مارگَرَت ثاچَر*"، معتبرا أنّ كرم *رَيگِن* تجاه الأثرياء له صلة مباشرة بما يجري اليوم، وأدّى ذلك لتغيرات سياسية لها عواقب وخيمة، وتمّ تصميم السياسة لتكون لصالح أقلية صغيرة بينما يتخبط الباقون. أضاف *تشومسكي* [https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/4/6/] في تعليق لافت أنّ أولئك المهتمين بإعادة بناء مجتمع قابل للحياة من بين الحطام الذي ستتركه الأزمة الحالية، من

الأفضل أن يستجيبوا لدعوة المؤرخ *فيجَي برَساد*، الذي قال، "لن تعود الأمور إلى طبيعتها، لأنّ الوضع الطبيعي كان هو المشكلة".

حالفني الحظ طوال وجودي في الولايات المتحدة لأكثر من 40 عاما أن احظى بمطالعة الكثير ممّا كتب الفيلسوف الكبير *تشومسكي* وما تحدث به وما ساهم فيه من الندوات، التي حضرتها شخصيا كطالب دراسات عليا ومن بعد كأستاذ في اعرق الجامعات والكليات. كان يحضر ويحاضر برفقة المفكرين الكبار، *هَورد زِنّ وإدور* سعيد *وإقبال أحمد* و*مايكِل كلَير ونِك تورس*، وأحيانا منفردا. تأخذك متعة ساحرة تغرق فيها حين تتابع كلامه الهادئ وافكاره العميقة وتحليلاته المنطقية واسلوبه المتميز وجمله المقتضبة. ترجمت له من قبل كتابين هما "وداعا للحلم الأمريكي" Requiem for the American Dream عام 2017 و"عن الإرهاب الغربي" On Western Terrorism عام 2018. وهذه ترجمتي لكتاب آخر له وهو في سن 92 عاما. إنّه فكر نادر يتوجب على القارئ العربي أن يغرف منه قدر المستطاع. سيكون ما اطلعت عليه أخيرا من كتبه، What? kind of Creatures Are We "أيّ صنف من المخلوقات نحن؟" مشروعا قادما.

تساعدنا افكاره أن نستوعب ونفهم هذا الكوكب شديد الازدحام، والملوّث بالقسوة والغطرسة وشبق التوحش. أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية، جهارا نهارا أنّ مصالحها هي الأبدى، وأنّ هيمنتها هي الأبقى وما على العالم، بدوله وشعوبه وخيراته، إلّا أن يكون في خدمة هذا اليانكي المتغطرس. أشعلوا الحروب بمختلف أنواعها، والحصار والعقوبات والنهب والبلطجة... لم تردعم رادعة أو توقفهم حدود. جاروا واستبدّوا، صنعوا الإرهاب على شاكلتهم وموّلوه ونشروه كوباء ابتُيلت به البشرية. وها هم اليوم يبتزّون، وبالأخص حلفائهم، من أجل كسب مال إضافي كانوا قد نهبوا جلّه آنفا. على تلك الأرضية، تصبح آلية المواجهة واضحة، كسر الإمبريالية الأمريكية وسلطتها على العالم هو فعل أملٍ لكلّ الشعوب. ومنع الهيمنة والسيطرة والتدخّل ولجم السرقة الموصوفة، باسم اخضاع اقتصادات العالم للتعامل بالدولار، كي يسهل التحكم. أصبح هذا بدوره ممرّا إلزاميا لوقف القهر والثورة عليه. إنّ فتح أفق آخر أمام البشرية مساراته تناقض ما هو سائد وتتعارض معه، أضحى ضرورة موضوعية تستوجبها حالة العالم المثقل بتداعيات أمراض الرأسمالية وآفاتها.

يتوجب التذكير بأنّ أمريكا تلجأ إلى التقيّة، عبر خبراء وإعلاميّي الإمبراطوريّة. يندرج كافة مراسلي ومراسلات إعلام الغرب في بلادنا العربية ضمن خانة إعلام الإمبراطوريّة الذي لا يشذّ عنه إلا قلّة قليلة، مثل الراحل *أنتوني شْديد*. هؤلاء، مثلًا، يحجبون حقيقة السيطرة الأمريكيّة، عبر نسب السيطرة في بلد ما إلى أعداء أمريكا، فتصبح إيران هي النافذة في العراق، فيما قوّات الاحتلال الأمريكي تتحرّك وتقصف وتقتل، من دون أيّة مشاورة مع حكومة البلد المُضيف. وها قد نصّبت أمريكا في العراق، رجلًا كان قد وقّع على رسالة شكرٍ لكلّ من *بُش الإبن* و*بلير*، لغزوهما العراق واحتلاله. تتلمذ *مصطفى الكاظمي* على يد *كنعان مكيّة*، الابن المدلّل للمحافظين الجدد والحاصل على دكتوراه فخريّة من جامعة إسرائيليّة. ولكن لا تجد كلامًا في الصحافة عن الهيمنة الأمريكيّة في العراق، ولا ترى ثوّارا يعترضون على التدخّلات الأمريكيّة وعلى صفاقتها، ورئيس الجمهوريّة العراقيّة صنيعة أخرى للاحتلال الأمريكي.

إنّ الناس، بعد تأثر اقتصاد الدول الأفريقية بسبب الاضطرابات وتزايد معدلات العنف وانعدام الأمن الغذائي، بدأوا يتحركون من جديد. وقد دقّ جرس الإنذار بالفعل في الاتحاد الأوروبي الذي بذل جهودا كبيرة منذ عام 2015 من أجل إبقاء هؤلاء الوافدين بعيدا، بينما حاول أكثر من مليون شخص، فرّ معظمهم من مناطق الحروب في الشرق الأوسط، العبور إلى أوروبا بحثا عن الأمان. وهناك على امتداد الساحة العربية، سعت واشنطن، خلال العقد الأخير، إلى تحطيم الأعداء العرب واستنزافهم قدر المستطاع وسحق الدول المعاندة وإنهاء القضية الفلسطينية، وتمكين أنظمة الاستبداد الموالية وشحن الغرائز والصراعات، بما يضمن إسرائيل آمنة ورادعة، وخليجًا مستقرا، ومصر مستَتبعة ساكنة، ومشرقا مشتعلا ومنقسما ومحاصَرا من لبنان وصولا إلى إيران.

انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة ستجري في شهر تشرين الثاني القادم، وكوابيس الجهل والغباء والتهريج ما زالت تبسط بظلالها على أجواء هذه البلاد. ولا مناص من أن يبرز في الذهن سؤال مبرّر في ضوء الأعداد الهائلة لضحايا وباء الكورونا من المواطنين الأمريكيين. في الوقت الذي اقترب فيه فيروس كورونا من إصابة 12 مليون شخصا حول العالم، تخطت أعداد المصابين بالوباء حاجز المليون الثالث في الولايات المتحدة الأمريكية، وسط تبادل للاتهامات بين ترامپ ومسؤولي الصحة بإدارته حول أسباب ارتفاع الإصابات القياسي، وما قد تؤول إليه الأمور في الأسابيع المتبقية على موعد الانتخابات الرئاسية الأشرس على الإطلاق. "التقارير بشأن أعداد

الوفيات التي قد تتسبب فيها الجائحة في الولايات المتحدة، أظهرت أنّ 200 ألف أمريكيا ربما يفقدون حياتهم بحلول تشرين الثاني المقبل. وهذا يعني أنّ أكثر من 70 ألفًا قد يموتون خلال الأشهر الأربعة المتبقية على الانتخابات الرئاسية".
[https://arabicpost.net/%d8%aa%d8%ad%d9%84] هل ستستمر هذه الكوابيس؟
الجواب عندي نعم. في اعتقادي وفي ضوء ادراكي لمشاعر العنصرية المتجذرة في بعض من المجتمع الأمريكي، هناك احتمال ممكن بأنّ الناخبين سيعطون هذا السوقي المخبول الجاهل المصاب بجنون العظمة مدة أربع سنوات أخرى. سيستمرّ في تهريجه وبعث رسائله اليومية، التي تفتقر إلى الصدق والذوق وتُكتب دائما بلغة الشوارع ووفق مستلزمات العهر السياسي، وكرئيس استفزازي بلا غطاء لا يتورع هو والزمرة المحيطة به عن التفنن بخلق المزيد من المشاكل. آخرها الإنسحاب من منظمة الصحة العالمية وفي هذه الظروف بالذات، وبالأمس أوامره بترحيل الطلبة الأجانب إذا لم تفتح الجامعات ابوابها وتستأنف الدراسة كالمعتاد!

مَن يدري؟

د. محمد جياد الأزرقي
أستاذ متمرس، كلية ماونت هوليوك
قرية مونِگيو، ماسَچوست، الولايات المتحدة
mjiyad@mtholyoke.edu
2020 /7 /12

الحوار الأوّل
تجسّس الدولة والديمقراطية

كَيمبرِج، ماسَچوسِت 20 حزيران 2013

الكشوفات الواسعة، التي أماط عنها *إدوَر سنَودِن* اللثام، بصدد اتصالات الهاتف والشبكة الإلكترونية، قد تسبّبا في شيء من الذعر في الولايات المتحدة وحول العالم. هل فوجئت على الإطلاق بشبكة التجسس الإلكترونية الحكومية؟

بعض الشيء، ولكن ليس كثيرا. باعتقادي أنّه يجب أن تكون على يقين من أنّه إذا كانت التكنولوجيا وغيرها من وسائل السيطرة والتسلط متوفرة، فإنّ انظمة القوة لن تتردد في استخدامها. لنأخذ مثلا على ذلك، الكشوفات الحديثة عن علاقة وكالة الأمن القومي NSA مع وادي السِلِكون. وادي السِلِكون مرادف للاستخدامات التجارية لأنظمة المراقبة. لا شكّ أنّ الوكالة المذكورة ستذهب إلى وادي السِلِكون طلبا للمساعدة في هذا الشأن، لأنّ الشركات التجارية قد دأبت على هذا التعاون على نطاق واسع ولديهم الخبرة التكنولوجية المطلوبة. وعليه من الواضح أنّ ضابط الأمن الخاص قد جيء به إلى وكالة الأمن القومي ليساعد في تطوير الأساليب التكنولوجية للمراقبة والسيطرة بعد أن تمّ تدريبه عليها من قبل الشركات المعنيّة.[1]

وكما أشرت، التكنولوجيا متوفّرة ويمكن استخدامها لجلب المزيد من الأموال، بهدف السيطرة على سلوكيات الناس بعد معرفة مواقفهم وآرائهم، لتوجيههم نحو ما تريده الحكومة منهم أن يفعلوه. وهذا ما يحصل.

في الحقيقة، إن كلّ من يعير انتباها للتاريخ، يجب ألّا يتفاجئ على الأقل بذلك. لو عدنا لفترة قرن أثناء حرب الولايات المتحدة في الفِلِبين، لوجدنا أنّها قد غزت البلد وقتلت مئات الآلاف من

المواطنين وأخمدت في النهاية المعارضة الوطنية. كان عليهم بعد ذلك تهدئة السكان population pacification، وهناك دراسات قيّمة عن هذا الموضوع بالذات، خاصّة تلك التي اجراها *أل مككَوي*، المتخصّص بتاريخ الفِلِپين. لقد أظهر كيف أنّ الولايات المتحدة قد حققت نجاحا باهرا في تهدئة السكان، باستخدام السبل المتقدمة في جمع المعلومات المخابراتية وطرق المراقبة المستمرة المتوفرة في حينها، ليس التكنولوجيا التي نعرفها في ايامنا الحاضرة، ولكن ما كان موجودا منها قبل قرن، لزرع بذور عدم الثقة والإرتباك والفتنة وخلق العداوات بين المواطنين، وغيرها من سبل مكافحة التمرد counterinsurgency. كما أشار *أل مّكّكوي* الى أنّ تلك الأساليب قد طُبّقت بعد سنوات قليلة فقط داخل الولايات المتحدة ذاتها. لجأت إليها إدارة *وودرو وِلسُن* لمقاومة **الفزع الأحمر** Red Scare، وكان ذلك هو ميدان تطبيق استخدامها.[2]

وكما هو حال الطائرات المُسيّرة في أيامنا هذه، فلقد تمّ الإعتراف حديثا، ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا إطلاقا، أنّ مكتب التحقيقات الفدرالي FBI ما زال يستعمل هذه الطائرات للمراقبة منذ بعض الوقت. إنّهم يستخدمونها ضدّ من يصنفونهم كأعداء، وسرعان ما تعوّد الناس على استخدامها ضدّهم. وهناك المزيد من القادم الجديد. فلعدة سنوات والعسكر وانظمة الأمن بشكل عام يحاولون تطوير جهاز مسيّر بحجم الذبابة، باستطاعته أن يدخل غرف بيتك العديدة ويُسجّل بالصوت والصورة كلّ ما يدور في كلّ ركن من اركانه. مختبرات تصنع مثل هذه الآلات المتحركة بانواعها المختلفة، تعمل ليل نهار وهي على وشك أن تحقق ذلك.

لو القيت نظرة على ما يجري في الخارج، لوجدت أنّ الطائرات المسيّرة قد استعمِلت مبدأيّا لأغراض المراقبة، ثمّ طوّرَت لتقوم بعمليات الإغتيال. ومن الممكن أن نتوقع أنّها ستُستعمل في داخل البلاد لنفس الغرض يوما ما. لو وُجِد شخص مشكوك فيه لأيّ سبب من الأسباب، مثل *فرَد هامپتُن*، فليس هناك حاجة لإرسال رجال شرطة شيكاگو لقتله. يمكن تنفيذ المهمة باستعمال طائرة مُسيّرة. يجب أن نتوقع ذلك.

فرَد هامپتُن **ناشط في منظمة الفهود السود في شيكاگو، قتَلَته الشرطة عام 1959 مع عضو آخر في نفس المنظمة إسمه *مارك كلارك*.**

كانت تلك عملية ترقى إلى أساليب الگستابو النازي، وظلت طي الكتمان لفترة طويلة.

إذا كانت التكنولوجيا متوفرة فلا شكّ أنّ نظام القوة سيعمل على توظيفها لصالحه. ستجد ذلك حين تراجع التاريخ. وعليه، إذا بدت عليك الدهشة، فمعناه أنّ لديك إيمانا أعمى بأنظمة القوة، وبأنّها بطريقة أو بأخرى لن تستعمل ما يتوفر لديها من أجل السيطرة والتحكّم وتلقين المواطنين. ولكن من الطبيعي، سواء كان الأمر يعود للشركات التجارية أو الدولة، فإنّه لا يوجد تردّد في استخدام التكنولوجيا. نعم، قد تكون التفاصيل الدقيقة مثار الدهشة. فمثلا أنا لم أعرف أنّ لديهم جهاز PRISM، وهو أداة سريّة تسمح لمسؤولي وكالة الأمن القومي جمع المعلومات عن تاريخ المواطن وبريده الإلكتروني وتسجيل ما يجري في غرف الدردشة، التي يشارك فيها على شبكة الإنترنت، وغيرها من المعلومات التي يحصلون عليها بالتعاون مع شركتي گوگِل وفَيسبُك.[3] لكنّ الفرد لا يُصاب حقا بالدهشة ازاء هذه الظاهرة العامة.

لنأخذ مثالا آخر وهو **مجلة مراجعة التكنولوجيا**، التي يصدرها **معهد ماسَچوسِت للتكنولوجيا** MIT. تحتوي هذه المجلة على اخبار توضّح كيف أنّ الشركات الاحتكارية قد اصبحت حذرة ازاء استخدام الكومپيوترات المصنوعة في الصين، لأنّه من الممكن من الناحية الفنية تصميم اجهزة بإمكانها أن تراقب ما يجري من العمليات باستخدام تلك الكومپيوترات.[4] ومن الطبيعي لا يضيفون نقطة أخرى، وهي أنّه إذا كان بإمكان الصينيين فعل ذلك، فإنّ الأمريكيين يمكن أن يفعلوا نفس الشيء بطريقة افضل، لدى صنع أجهزة الكومپيوتر في الولايات المتحدة. والسؤال إذن، ما هي ضمانات الأمن حين تُصنَع هذه الأجهزة داخل أمريكا؟ وفي المستقبل القريب، ستجد أنّه كلما فتحت جهازك ووضعت اصابعك على لوحة مفاتيح الطباعة، فإنّ إشارة بذلك ستُرسل إلى قاعدة البيانات الرئيسية في ولاية يوتا.

أشرت إلى وجود فرق في الاستجابة بين الأعمار بصدد ما كُشِف عن نشاطات وكالة الأمن القومي.

لم اطلع على دراسة بشأن هذا الأمر، ولكنّ ذلك هو حسّي على الأقل من خلال مناقشاتي وما قرأت، إنّ جيل الشباب غير آبه أو أقلّ انزعاجا من هذه الممارسات مقارنة بالأجيال الأكبر سنّا. أشكّ إنّ ذلك يعود إلى حصول نوع من التحوّل الثقافي، الذي بدأ يأخذ مجراه بين صفوف الشباب خاصّة بفعل نوع من ثقافة التباهي أو الاستعراض exhibitionist culture. تضع كلّ شيء على

صفحتك في الفيسبُك، ماذا تفعل وماذا تلبس وبماذا تفكّر، كلّ شيء مكشوف. وإذا كان الأمر كذلك، فمن يهتمّ إنْ كانت أجهزة الحكومة تتابع ذلك وتشاهده أم لا؟

هل ترى هذا الميل نحو ما تقوم به دولة المراقبة كجزء من التحول نحو الدولة الشمولية Totalitarianism؟ أم أنّ هذا اصطلاح قويّ للغاية؟

إنّها حركة بذلك الإتجاه. ولكن هناك فرق هامّ بين جمع المعلومات وإيجاد طريقة لاستعمالها. من أحد الجوانب الأكثر إيجابيّة هو أن تضعها في ذلك الإطار، وهو أنّ السلطات ربّما ليس لديها القدرة أو الكفاءة كي تستعمل المعلومات، التي تجمعها اجهزتها السرية المختلفة. قد يتمكنون من استخدامها لأغراض خاصّة فقط. وإذا كانت تتوفر بيانات هائلة في مركز التجميع في يوتا، الذي ستتوفر فيه معلومات حول كلّ مواطن عاجلا أم آجلا، فإنّه إذا كان هناك من يريدون ملاحقته، لنقل مثل *فرَد هامپتُن*، فإنّ باستطاعتهم أن يجمعوا عنه معلومات كثيرة قد تساعدهم في السيطرة عليه أو قتلِه، إنْ شاءوا. باستثناء ذلك، فليس من الواضح بَعدُ ماذا يمكنهم أن يفعلوا أكثر باللجوء إلى تلك المعلومات.

لقد رأينا ذلك في الماضي. استخدم مكتب التحقيقات الفدرالي وسائل بدائية أكثر وتوفرت لدية أطنان من المعلومات عن كلّ فرد. نعرف منذ الستينات حتى يومنا هذا أنّ كلّ منظمة ناشطة قد تمّ اختراقها من قبل جواسيس الحكومة. في الحقيقة عرف المواطنون بسرعة أنّه إذا اردت أن تفعل شيئا حساسا، فمن الأفضل أن تشرك معك الأشخاص، الذين تشعر نحوهم بالمودة، وليس بالضرورة مع رفاق من التنظيم، لأنّ احدهم قد يكون مندسّا عميلا للشرطة. ولكن بطرق عديدة لم تفلح الحكومة في توظيف المعلومات، التي جمعتها. كان باستطاعتهم عمل شيء معين، مثل إيقاع الأذى بشخص ما. لكن لو أمعنت النظر، لنقل محاكمات المقاومين لحرب فيتنام، لشعرت بالدهشة من عجز مكتب التحقيقات الفدرالي في تحقيق أهدافه.

تابعتُ بعناية ما جرى.[5] ومن أكبرتلك المحاكمات ما سُمّيت **محاكمة سپوك ـ كوفِن.**

تلك التي جرت للدكتور *بنجامِن سپوك* والقس *وِلیَم سلوَن كوفِن*، اللذين اتهِما بالتأمر لتشجيع الشباب على مقاومة الخدمة العسكرية الإلزامية.

كنت وقتها متآمرا غير مُدان وحضرت جلسات المحاكمة بكاملها. بعد أن فرغ الإدعاء العام من تقديم مرافعته، اجتمع محامو الدفاع. كانت الفكرة أساسا أنّ القضية واضحة وعليه يجب على الجميع أن يقرّوا بالذنب، فلا مجال للإنكار. في الحقيقة كان يجب أن يكون ذلك الإعتراف مدعاة للفخر. يجب وضع دفاع قائم على مبادئ سياسية. غير أنّ محامي الدفاع لم ترق لهم الفكرة أن نحوّل القضية إلى محاكمة سياسيّة. في النهاية، قرّروا ألا يقدّموا دفاعا على الإطلاق، لأنّ قضية الإتهام ضعيفة بحدّ بذاتها. وقف المواطنون في قاعة المحكمة في نو يورك وهتفوا، "نعم تآمرنا لتقويض نظام الخدمة الإنتقائية". لكنّ الحكومة لم تعر الموضوع انتباها، وبدلا من ذلك امضوا جلّ وقتهم وهم يحاولون معرفة إنْ كنا نحصل على التعليمات من حكومة المجر أم حكومة كوريا الشمالية؟ ماذا كنّا نفعل حقيقة؟ لا يمكن أن يقتصر الأمر على ما قيل علنا. ولذلك فقد فاتهم كلّ شيء.

جرى نفس الشيء فيما يتعلق بموضوع **أوراق البِنتَگون**. حين كان *دان إلزبَرگ* متخفيا لم يُكشف النقاب عن هويته، كان عدد من الأفراد يوزّعون نسخ تلك الأوراق على الصحف والمجلات والمنظمات، وكنت واحدا من بين هؤلاء. لكنّ الإعلام كان يلاحقني دائما. كان ممثلو الصحف في الولايات المتحدة وفي الخارج يتصلون بي بغية الإطلاع على قسم من تلك الأوراق، التي في حوزتي. وحين طلع *دان* على العالم وكشف عن هويته ومسؤوليته عن تسريب تلك الأوراق من البِنتَگون، جاء وكلاء مكتب التحقيقات الفدرالي إلى بيتي يستفسرون عن الموضوع. بدا واضحا أنّهم لم يستطيعوا التوصّل إلى ما توصلت إليه الصحافة بهذا الشأن.

وهناك قضايا أخرى مشابهة. كانت عقليتهم تقودهم إلى أنّه لا بُدّ من وجود نوع من نشاطات التآمر، بالرغم من أنّ كافة نشاطات المعارضة معروفة وفي العلن بشكل مقصود. أنت تريد أن تتوصّل إلى الآخرين وتوضّح لهم ماذا تقوم به. لم يكن ذلك نشاطا سريّا. ربّما كان من بين الأمور التي جرت بهدوء، هو ترتيب المساعدة لهروب بعض الناشطين إلى خارج البلاد. ولكن حين تدعو إلى "رفض دفع الضرائب" أو "محاولة إسقاط بعض التشريعات القانونية، التي تتسبب في وقوع الفظائع والجرائم،" فهذه نشاطات ليست سريّة.

حين تمّ انتخاب *أوباما* لأوّل مرة، لم تكن ضمن جوقة المصفقين لذلك. ما هي الأمور، التي وجدت فيها استمرارا لسباسة جورج *دبليو بُش* خلال فترة رئاسة *بَراك أوباما*؟ هل توجد بعض السياسات المتشابهة؟

نعم، بالتأكيد هناك استمرارية بين فترتي الرئاستين. في الحقيقة، توسّع *أوباما* في بعض الأمور الأكثر ضررا، وأعني الجوانب الإجرامية في برامج *بُش*.

يعود إلى *أوباما* الفضل في سحب القوات الأمريكية من العراق وأفغانستان، لكنّ تلك الإنسحابات قد بدأت فعلا قبل وصوله إلى البيت الأبيض. في العراق، بات الأمر واضحا أنّ القوات الأمريكية قد لحقت بها الهزيمة أساسا. لم تحقق الحرب اهدافها، وكانت إدارة *بُش* قد بدأت عملية الإنسحاب. أمّا في أفغانستان، فإنّ *أوباما* قد وسّع رقعة الحرب على أمل تحقيق نوع من النصر العسكري. لكنّ ذلك النصر لم يأتِ، وكانت القوات في طريقها إلى الإنسحاب. وعليه لم تحظَ عمليات الإنسحاب بأيّ قدر من الاهتمام.

أضف إلى ذلك أنّ *أوباما* قد توسع على الفور بشأن بعض البرامج، مثل برنامج الطائرات المُسيّرة drones، كما يجب أن نتذكّر إنّ هذا البرنامج بطبيعته حملة إرهابية عالمية. في الحقيقة، أكبر حملة إرهابية عالمية. لو كنت تسكن في قرية في اليمن أو في شمال وزيرستان في أفغانستان ولا تعرف أنّ الإنفجار المفاجئ، الذي وقع في ساحة القرية قبل 5 دقائق وبعثر اشلاء بعض القرويين المتواجدين هناك، ستشعر أنّه لربّما سيصيبك الإنفجار التالي. ستحسّ بخوف رهيب يلازمك وتظل تعيش في هذا الفزع طوال الوقت. هذا هو الإرهاب بعينه وفي أدقّ صوره، ويحدث على مجال واسع.

هناك تركيز على استعمال طائرات درَون لضرب مواقع بذاتها، دون أن نعرف كمواطنين حقيقة، من هو الشخص المُستهدَف. إنّنا نقتل الناس بسبب اعمارهم ومناطق تواجدهم ونماذج سلوكهم، المفترض أنّها تماثل النشاطات الإرهابية. وهذا أمر واضح الرداءة. في الحقيقة إنّ فكرة القصف باستعمال طائرات درَون مسألة شنيعة، إنّها محض إرهاب على مقياس لم تحلم به حتى **منظمة القاعدة**.

والأكثر من ذلك، إنّ ضربات درَون هذه تدفع الشباب والكبار للالتحاق بصفوف الإرهابيين. حذر بعض المسؤلين الكبار والمعلقين بأنّ هجمات من هذا النوع تجنّد إرهابيين مُحتملين، والسبب واضح للغاية. بعد مرور يومين فقط على التفجير الإرهابي لسباق المرَثَون في مدينة بوسطن، حدث هجوم بطائرة درَون على قرية في اليمن. في العادة لا نعرف الكثير عن هذه الهجمات، ولكن هذه الضربة نعرف عنها الكثير لأنّ أحد الشباب، في القرية سبق وأن أدلى بشهادته أمام إحدى لجان

مجلس الشيوخ الأمريكي. ذكر أنّ الجهاديين في اليمن، وعلى مدى عدة سنوات كانوا يستميلون سكان القرية كي يكونوا ضدّ أمريكا. غير أنّ تلك الجهود لم تفلح لأنّ القرويين لا يعرفون شيئا عن الولايات المتحدة، باستثناء ما كان ينقل إليهم ذلك الشاب، وكانت معلوماته ملائمة. ولكن بعد ضربة الدرون تلكّ، انقلب القرويون كرها لأمريكا، حسب ما ورد في شهادته.[6]

وحين يكره الناس أمريكا، فإنّهم سيحاولون عمل شيء للتعبير عن ذلك الكره والمقت. وعليه، أصبحت هجمات طائرات درَون من الأمور المشجّعة على الإنتماء للحركات الجهادية الإرهابية. لقد ألقى ذلك الهجوم الضوء على المناقشات، التي تدور حول مجلس الأمن القومي. من تبريرات الحكومة للقيام بنشاطات المراقبة أنّه يجب التضحية بقدر من الخصوصيّة لأغراض المراقبة. إنّنا نتحدّث هنا عن حكومة تعمل عمدا على تقويض الأمن القومي، وتخلق تهديدات إرهابية تفوق ما يتواجد منها حاليا. كيف يمكننا أن نتجنب الإنهيار سخرية، حين يخبروننا أنّ تلك المراقبة تعزز الأمن؟

في الحقيقة، إنّ اعطاء الحكومة الأولوية لمسألة الأمن القومي لا تتعدى كونها أسطورة من نسج الخيال. لا بُدّ أنّكم عرفتم عنها في دروس العلاقات الدولية. ولكن راجعوا التاريخ والقوا نظرة عليه، ستجدون أنّ الأمر خدعة لا تمتّ إلى الحقيقة بشيء.

ما الذي يدفع *أوباما* للهجوم على الحريات المدنية والملاحقة القضائية، لكلّ من يُبلغ عن المخالفات الحكومية whistle-blowers؟

هذا سؤال جيد، وكما ذكرت فإنّني لم أتوقع الكثير من *أوباما*. لقد كتبت عنه نقدا قبيل انتخابات الترشيح الأولية، حين راجعت موقعه على شبكة الإنترنت واطلعت على ما كان يكتبه ويُصرّح به. في الحقيقة، إنّ حملته كانت دخانا ينعكس في المرايا، تراه ولا تشمّه. لكنّني لم افهم غرضه من هجومه المتنامي على الحريات المدنية.

لقد تمّ في عهده ملاحقة المبلغين عن المخالفات الحكومية ومعاقبتهم whistle-blowers، أكثر من كافة الرؤساء في تاريخ البلاد مجتمعين. كما توجد أيضًا بعض القضايا، التي احالتها إدارة أوباما *إلى* المحاكم، وتتضمن هجوما على الحريات المدنية. من أسوأها قضية مشروع **هولدر ضد القانون الإنساني**. وهو قانون يخصّ مجموعة من المحامين، الذين كانوا يقدّمون المشورة القانونية

لحزب العمال الكردستاني PKK. وهو حزب وضعته وزارة الخارجية الأمريكية على قائمة المنظمات الإرهابية. وعليه فإنّ تقديم المشورة لهذا الحزب أمر لا تحبّذه إدارة أوباما ووزير العدل في حكومته، *هولدر*. سعت الإدارة المذكورة إلى توسيع مفهوم "الدعم المادي للإرهاب،" ليشمل تقديم المشورة القانونية. في الحقيقة، أنّ الدعم المادي يعني إمداد الحزب بالسلاح، لكنّ الدعم الآن يشمل ما تقوله للشخص المتهم، "هذه حقوقك المشروعة".

لو تفحّصت النقاشات، التي دارت في المحكمة لوجدت واضحا أنّ الإدارة تفسّر الدعم المادي بأنّه أيّ تواصل مع المنظمات، التي يسمّونها جماعات إرهابية.[7] فإذا قابلتُ مثلا حسن *نصر الله*، وهو رئيس حزب الله، لأنّني أريد معرفة ماذا يفعل، وهو شخص جدير بالاهتمام، فإنّ تلك المقابلة تُعتبر دعما ماديّا للإرهاب. وهذا هجوم وقح على الحريات المدنية.

بالمناسبة، هذا أمر يختلف عن إعداد وزارة الخارجية الأمريكية لقائمة الإرهاب واسباغ الشرعية عليها، وتُعتبر لسوء الحظ مسألة لا جدال حولها بنظر الخارجية الأمريكية. السؤال هو، لماذا اسبغوا على القائمة صفة الشرعية أصلا؟ لماذا حقّ للدولة أن تطلق على *نِلسُن مَندَيلا*، صفة إرهابي؟ وهو الأمر الذي أصرّت عليه الوزارة المذكورة حتى فترة قريبة؟[8] هل يمكن أن ننظر إلى ما يفعلون نظرة جديّة؟ إذا وضعوا أحدا على قائمة الإرهاب، فلا مخرج له منها، حتى وإنْ صاح بأعلى صوته، "يا جماعة، لستُ إرهابيّا!"

ليس مطلوبا من الحكومة أن تقدّم أيّ دليل على هذا الاتهام، وليست هناك إمكانية أن يُعاد النظر في الأمر قانونيّا أمام المحاكم. القائمة هي تفويض من سلطات عليا لارتكاب جرائم القتل باستهداف أيّ شخص وتصفيته بتهمة كونه إرهابيا. يجب ألّا نقبل هذا أصلا. ويجب ألّا نقبل مفهوم أنّ الدعم المادي يشمل ما تقوله لأحد ما بأنّ الأمر يتعلق بحقوقه القانونية. وحتّى لا يمكنك مناقشة الموضوع معه، لأنّ ذلك يُعتبر دعما للإرهاب.

لو اخذنا بنظر الإعتبار التقييدات الخاصّة بالأمن القومي، هل باستطاعة الرئيس أصلا أن يُغيّر سياسة الولايات المتحدة الخارجية؟

بالتأكيد. يستطيع الرئيس أن يقول، "حسنا، أريد أن أغيّر سياسة البلاد الخارجية". وبطبيعة الحال، يتوفر له المزيد من السلطة لكي يصل إلى المواطنين. لقد استعملها من قبل *فرانكلِن دِلانو*

روزفلت، كما استعملها *لِندِن جونسُن*. باعتقادي أنّ الرأي العام يمكن أن ينقلب بسرعة ضدّ دولة الأمن القومي. لو ألقيت نظرة على استبيانات الرأي العام لوجدت أنّ الكثير من الناس لا يحبّذون ذلك ويعترضون على إجراءات المراقبة الحكومية. الذين يؤيدون فرض المراقبة أشخاص مخدوعون مثل *تومَس فريدمَن وبِل كِلَر* من صحيفة نو يورك تايمز، اللذين يعتقدان بفرض الرقابة من أجل المحافظة على الأمن الداخلي. لقد غاب عن ذِهنيهما أنّ الإدارة التي تعمل على فرض المزيد من الرقابة للحماية من العمليات الإرهابية، إنّها حقيقة تزيد من الإرهاب وتهديداته ضدّنا أضعافا مضاعفة. هذه أمور يسهُل على الرئيس أن يتخلص منها.

باستطاعة الرئيس القول، "يا جماعة، العمليات التي نقوم بتنفيذها تدفع المزيد من المتطوعين للإنضمام إلى صفوف الإرهابيين، وأنّ الطريقة للمحافظة على أمننا من الأرهابيين، هي وقف هذه العمليات". باعتقادي أنّه لو فعل ذلك لحظي بتأييد واسع. ولن يكون ذلك بخطاب واحد فقط، بل من خلال سلسلة خطب عديدة واضحة يستعمل فيها كافة المصادر المتوفرة لديه. أفترضُ أنّ الرئيس لو قال ذلك، فحتى *تومَس فريدمَن* سيكرّرها من بعده. في النهاية، ذلك هو واجبه بأنْ يُكرر ما يقوله الرئيس، الذي يُدعمه. إنّ سبب اختياري لهذا الصحفي هو كونه من الأشد فظاعة بين مؤيدي دولة المراقبة surveillance state.

الشيء الذي يظهر بين فترة وأخرى ويُسبب لي الإحباط، هو ما اشعر به ازاء الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري. الناس يستكشفون احزابا بديلة. ما هي مزالق السير في مثل هذا الإتجاه؟

الشيء الأوّل المطلوب منّا هو أن نكون واقعيين بصدد نظام الأحزاب في بلادنا. كان يُقال منذ سنوات بشكل ساخر أنّه يوجد في الولايات المتحدة حزب واحد فقط، وهو حزب الأعمال Business Party بشقّيه الجمهوري والديمقراطي. لم يعد هذا صحيحا. نعم لا يزال هناك حزب واحد، حزب الأعمال كما قلت، لكنّ هذا الحزب فيه فصيل واحد فقط. وهذا الفصيل فيه بعض المعتدلين وهم الجمهوريون. ويُطلق عليهم الآن اسم الديمقراطيين. ولكن هؤلاء كانوا حقيقة جمهوريين معتدلين، وهم الذين لا يهمّهم اطلاقا حتى أن يتظاهروا بأنّهم حزب برلماني اعتيادي. هم الآن في خدمة اصحاب الثروة وانصار السلطة. لا بُد أن يحصلوا على من يؤيدهم في الانتخابات. ولذلك حرّكوا اجزاء من مجموع السكان ممّن توقعوا أن يكونوا غير عقلانيين ومتطرّفين.

النتيجة هي سكان مرتبكون للغاية ومعنوياتهم منخفضة، بحيث لا يستطيعون تمييز ماذا يواجهون. ما يشدّ الأنتباه أكثر بشان هذه القضية هو نظام الضرائب. جرى استطلاع للرأي العام قبل 35 عاما، على ما اعتقد، ولا تزال نتائجه قائمة إلى يومنا هذا. تفضّل الغالبية العظمى زيادة الضرائب على الأثرياء وشركات الاحتكار، وهو موقف الديمقراطيين.[9] ولكن حين سُئِل المواطنون عن الحزب الذي يساند فرض الضرائب، ردّت الأغلبية بأنّ ذلك هو الحزب الجمهوري. وحدث نفس الشيء حين سُئلوا عن قضايا الأمن والصحة العامة وبعض المواضيع الأخرى. يصدق هذا حقيقة على ما يُسمّى ناخبي الجناح اليميني. يؤيد غالبيتهم السياسات الديمقراطية الاجتماعية مثل زيادة ميزانية الصرف في ميداني الصحة والتعليم، وهذا ما تفعله الحكومة. لكنّهم لا يساندون "الحكومة".

يتناسب هذا الإرتباك مع زيادة الإزدراء للمؤسسات، كافة المؤسسات. فالكونگرِس يحظى بنسبة تأييد لا تتعدّى 9%، ومعه المصارف والشركات الاحتكارية والمؤسسات العلمية، وكلّ شيء. إنّهم جميعا ضدّنا. بعض هذه المواقف محيّر حقيقة. من بين الأشخاص، الذين يسمّون انفسهم جمهوريين، أعتقد أنّ نصفهم تقريبا يقولون إنّ *أوباما* ينوي تطبيق الشريعة الإسلامية وقوانينها، ليس على أمريكا فقط، بل على كافة انحاء العالم. ويعتقد حوالي ربع هؤلاء أنّ *أوباما* عدوّ للمسيح Antichrist.[10]

يغذّي السياسيون هذه النزعات غير العقلانية، التي تفوق حدود الوصف لحدّ أنّ البعض يعتقد أنّه يجب تسليح انفسنا لكي نرد على تجاوزات الحكومة المركزيّة على حقوقنا. لنأخذ مثلا، عضو مجلس الشيوخ *راند پول*، الذي حاول أخيرا أن ينظّم معارضة لقرار الأمم المتحدة بشأن المعاهدة الخاصّة بالأسلحة الصغيرة.[11] "الأسلحة الصغيرة" تعني هنا أيّ شيء أصغر من الطائرة النفاثة. إنّ معارضته لتلك المعاهدة قائمة على كونها، حسب اعتقاده، خطة تقوم بها الأمم المتحدة ومعها الإشتراكيون و*أوباما* و*هِلَري كلِنتُن* للاستيلاء على اسلحتنا لكي لا نستطيع الدفاع عن انفسنا وقت تحاول الأمم المتحدة سلب سيادتنا. هذا شخص قد يرشح نفسه لمنصب رئيس هذه البلاد. يبدو وكأنّه شخص يعيش في كوكب خارج عالمنا.

هذا ما تجده في بلد سكانه مُحبطون ومرتبكون طغت الدعاية على تفكيرهم من خلال الإعلانات التجارية ومجريات السياسة الوطنية. وحين يكون الشعب مشتتا على هذا الشاكلة، فهو لا

يستطيع أن يستقرّ على رأي ولا يتفاعل مع بعضه البعض بطرق سياسية هامة وذات معنى.

نحتاج إذن إلى التضامن.

نعم نحتاج إلى التضامن. لا أريد أن أبالغ، ولكن يوجد الكثير من الناس، بما فيهم الشباب المؤمنين بفكرة التضامن ومساعدة البعض للبعض الآخر ووحدة النضال ضدّ المخاطر التي تواجهنا.

لا أودّ أن اسمي الاحتلال occupy حركة. ولكن دعنا نستعمل هذا المفهوم. لقد تراجعت حركة الاحتلال هذه. برأيك لماذا حدث هذا؟

صراحة، لا اعتقد أنّ التراجع الذي تشير إليه قد حدث. في الحقيقة، لا أعتقد أنّ الأمر واضح. لقد تراجعت تكتيكات حركة الاحتلال، لكنّ هذا كان واضحا منذ اليوم الأوّل.

ماذا عن نصب الخيم وإقامة مخيّمات الاحتجاج في الحدائق والساحات العامة؟

لا تستطيع أن تحافظ على ذلك لفترة طويلة. بإمكانك أن تقوم بهذا النشاط لفترة قصيرة، لكنّ هذا التكتيك لا يمكنه الاستمرار طويلا. في الحقيقة، إنّ كافة هذه الخطوات لها حياة قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر. ولكن ليس في ذهني شكّ أنّ **حركة الاحتلال** قد اشعلت الفتيل. في وقت معين، كان يوجد المئات وربّما الآلاف من هذه الحركات في طول البلاد وعرضها وحتى في أماكن متعددة حول العالم. كان يوجد فيما بينها نوع من الترابط والتناسق في الجهود. أعتقد أنّ ذلك مستمرّ حتى يومنا هذا. في مطلع شهر حزيران من عام 2013 وخلال انعقاد **منتدى اليسار** Left Forum في نو يورك، كانت هناك تظاهرة متزامنة معه في حديقة زوكوني للإعراب عن التضامن، إضافة إلى تظاهرات جرت في اليونان واسپانيا وساحة تقسيم في اسطنبول. هذا هو التضامن. إنّه يتزايد حول العالم ويقوم على التفاعل المتبادل والمساندة. قامت حركة الاحتلال بنشاطات التجمّع لوقف عمليات الحجز على البيوت المرهونة ودعم التنظيمات المحلية للجيران والإعتراض على الممارسات الوحشية من قبل رجال الشرطة ضدّ المواطنين، خاصة السود، والمطالبة بإصلاح أوضاع المدارس، في المناطق الفقيرة خصوصا.

كذلك وقفت حركة الاحتلال إلى جانب ضحايا عاصفة ساندي في نو يورك.

صحيح، وهذا ما غطّته الصحف. كان منظمو الحركة في طليعة من قاموا بذلك النشاط. نريد للحركة أن تقوم بنشاط على نطاق أوسع. وعليه فإنّها لم تنتهِ بعد. إنّهم وغيرهم يمثلون أمل المستقبل.

للشاعر والمغني الكندي، *لَنَرد كَوِن* اغنية بعنوان "الديمقراطية" تقول كلماتها إنّها "قادمة للولايات المتحدة". ماذا يتطلب الأمر لذلك كي يتحقق؟

نفس الشيء الذي حدث طوال مئات من السنين. إنْ عدت إلى بداية الثورات الديمقراطية المبكّرة في الفترة الحديثة، واعني القرن السابع عشر في إنكلترا، لوجدت أنّه كانت هناك حرب أهلية طوال فترة اربعينات ذلك القرن. كان البرلمان ضدّ الملك. كانت الطباعة متوفرة في حينها، ونُشِرت كتيّبات راديكالية وكان هناك دعاة كنسيون متجوّلون وحركات راديكالية مثل ***لَفلرز*** وغيرها. كانوا جميعا ينشرون دعاياتهم وافكارهم على نطاق واسع. افراد الطبقة الراقية، الذين كانوا يُطلقون على انفسهم لقب "الرجال الذين يمتلكون أرقى الصفات،" فقد كانوا مصدومين من تلك النشاطات. كانوا مصدومين بما تقوله تلك الكتيّبات، لأنّها كانت تردد شعارات "لا نريد أن يحكمنا الملك ولا البرلمان. لا نريد أن يتحكّم بنا الفرسان والسادة، الذي يضطهدوننا. نريد أن يحكمنا رجال من بين صفوفنا، ممّن يعرفون آلام الناس ومعاناتهم ومآسيهم". توجّب على افراد الطبقة الراقية القضاء على الديمقراطية، التي تشكّل تهديدا دائما.

بعد مضي قرن، قامت الثورة الأمريكية ودارت المناقشات حول وضع دستور للبلاد. تحدّث جَيمس *مادِسُن* وغيره عن كيفية وضع نظام دستوري. كان المبدأ الرئيسي، الذي عبّر عنه رئيس البرلمان الدستوري *جَون جَي*، الذي اصبح فيما بعد أوّل رئيس للمحكمة العليا، يقول،" إنّ أولئك الذين يمتلكون البلد يجب أن يتولوا حكمه".[12] بعبارة أخرى، أراد *مادسُن* أن تكون السلطة بيد الأثرياء من مواطني البلد، لأنّهم الأكثر مسؤولية في التعاطف مع المالكين، ويعرفون أنّه "يجب حماية الأقلية الغنية من الأكثرية (الفقيرة)"[13] يجب تطويع بقية السكان للتأكّد من أنّهم لا يتجاوزون حدودهم. تلك كانت حقا هي الطريقة التي أرسوا فيها أسس هذا النظام الدستوري، دون مشاركة العبيد وعدم فسح المجال أمام النسوة للمشاركة.

حدثت منذ ذلك الحين صراعات حول الديمقراطية، وأمكن تحقيق بعض التقدّم. ولكن كلّ خطوة نحو الحريّة قوبلت بجهود لايقافها من قبل "الرجال ذوي الصفات الفائقة". لم يتنازلوا عن

امتيازاتهم بطيب خاطر. كانوا يجدون دائما طرقا جديدة للإلتفاف والسيطرة والتحكّم. في القرنين العشرين والحادي والعشرين، تحوّلت الستراتيجية للسيطرة على الآراء والمواقف. تولت مسؤولية ذلك مؤسسات كبرى مثل مؤسسات العلاقات العامة، وغيرها.

إنّه من الملفت للنظر كيف أنّ إقرارا بسيطا يواجه بحقائق واضحة عن دور مؤسسات العلاقات العامة. لعبت هذه دورا هاما في أن تكون هي مركز الإعلانات التجارية. ما هي طبيعة هذه الإعلانات؟ من المُفترض أن تقوم الأسواق على مساهمة مستهلكين واعين كي يتخذوا قرارات عقلانية. وهذا هو آخر ما تريده مؤسسات الأعمال. أنظر إلى إعلانات التلفزيون، ستجد أنّ غرضها خلق المستهلك غير الواعي ليكون شخصا يُقدم على اختيارات غير منطقية. إشترِ سيارة فورد لأنّ لاعبا مشهورا في كرة القدم يقف إلى جانبها! الغرض الأساسي هو تقويض اساسيات السوق.

تقوم مؤسسات العلاقات العامة بإدارة الحملات الانتخابية الآن مستعملة نفس الأساليب والوسائل، التي يسمّونها خلاقة لتقويض الديمقراطية، وللتأكّد من خلق ناخبين ينقصهم الوعي فيُقدمون على خيارات غير عقلانية وفي أحسن الأحوال مرتبكة. هذه هي الطريقة التي يُجرون فيها أيضًا عمليات استطلاع الرأي العام، كي يضمنوا التوصّل إلى تحقيق نتائجهم المرغوبة، كما ذكرت.

حين تقارن المواقف والآراء مع السياسة ستجد بونا شاسعا. لكن الأكثر إثارة للإنتباه هو وجود أسس طبقية للإختلافات. يُشكّل ذوو الدخل الواطئ 70% من مجموع السكان، وليس لهؤلاء أيّ تأثير على القرارات السياسية، لأنّهم محرومون من المشاركة. القادة السياسيّون لا يعيرونهم انتباها. ولكن حين نأخذ الأعلى دخلا، سنجد أنّ تأثيرهم متزايد، وحين نصل إلى القمة، التي تمثل 1% فقط سنجد أنّهم أصلا يخططون السياسة ويحصلون على ما يبتغون. لا يمكن أن نسمّي مثل هذا النظام نظاما ديمقراطيا. إنّه يُشابه ما يسمّيه جِم *هايتور* "الكليبتوقراطية الأصولية" radical kleptocracy. وهذا افضل توصيف لها. لا يحتاج 70% من مجموع السكان أن يطلعوا على الدراسات الأكاديمية ليدركوا كنه ذلك. إنّهم في الحقيقة لا تعنيهم المسمّيات في شيء ويعرفون جيدا، "أنّ الطبقة الحاكمة لا تعيرنا اهتماما". لقد أدركوا ذلك وتوصلوا إلى قناعاتهم، وهم على صواب.

كتبت عن عجز الديمقراطية democracy deficit.

كلمة "العجز" لا تفي بالغرض. لقد أجرت إيران انتخابات قبل مدة قصيرة وانتقدها الكثيرون. كانوا على حقّ، لأنّك لا تستطيع أن تترشح للانتخابات ما لم يُزكّيك الملالي المتسلطون على الأمور في ذلك البلد. وبطبيعة الحال، هذا شيء فظيع، ولكن ماذا يحدث هنا؟ لا يُمكنك أن تترشح ما لم تحظَ بإسناد ودعم المؤسسات الرأسمالية الخاصّة. إذا لم تستطع جمع ملايين الدولارات لتمويل حملتك الانتخابية، فلا مجال لك في المشاركة. هل هذا نظام أفضل؟

الحوار الثاني
جولة في الشرق الأوسط

كَيمبرِج، ماسَچوسِت 20 حزيران 2013

كنت في لبنان منذ عهد قريب، وتعرف أنّ مخاطر اندلاع حرب واسعة في الشرق الأوسط تزداد بمرور الوقت. تنوي الولايات المتحدة بشكل علني تسليح ما يُسمى الثوار المعارضون لنظام *بشار الأسد*. ماذا تعلمت من خلال جولتك هذه؟

لبنان بلد مثير للاهتمام إلى حدّ بعيد. ويبدو أنّ المواطنين هناك قد تحصّنوا بمناعة دفاعية نفسيّة. ولذلك فهم ماضون في حياتهم الهادئة للغاية، وكأنّهم في مبعدة عن الحرائق، التي ستأتي عليهم. إنّهم هناك. لبنان بلد صغير سكانه حوالي 4 ملايين مواطنا، لجأ إليه من سوريا حوالي نصف مليون شخصا. هذا اضافة إلى اللاجئين الفلسطينيين، الذين نزحوا إليه منذ وقت طويل، ولحق بهم العراقيون منذ الاحتلال الأمريكي لبلدهم. يتعرّض البلد بشكل مستمر إلى التهديدات الإسرائيلية، التي تنوي تنفيذها لتدمير كافة الصواريخ الموجودة في لبنان. تدّعي إسرائيل أنّه يوجد في البلد 60 ألف صاروخا موزّعة على كافة مناطق لبنان. ما يدّعونه أيضًا أنّهم تعلموا الدرس من غزوهم الأخير، وأنّهم لن يقاتلوا على الأرض. المقاومة بالغة الصمود.

كان آخر غزو إسرائيلي للبنان عام 2006.

نعم. يقولون الآن إنّهم سيكملون مهمّتهم خلال يومين فقط. وهذا يعني تدمير البلد كليّا وتحويله إلى خراب. ولكنّ الناس ماضون في حياتهم، وكأن شيئا لم يكن. هناك مناسبات سعيدة ومناقشات عديدة.

بالنسبة إلى سوريا، لا اعتقد أنّ حكومتنا تنوي فعلا تسليح الثوار بطريقة جادّة. إذا كانت الولايات المتحدة وإسرائيل راغبتين في دعم الثوار، فهناك طرق اسهل لإنجاز ذلك ولا تتطلب ارسال اسلحة. ببساطة، يمكن تحريك القوات الإسرائيلية في هضبة الجولان، وهي حقيقية أرض سوريّة، في حين أنّ الولايات المتحدة واجهزة إعلامها تعتبرها جزء من إسرائيل، رغم بعدها عن دمشق حوالي 40 ميلا. تستطيع اكتساح المنطقة في يوم واحد، وتقع ضمن مدى المدفعيّة.

سيضطر *الأسد* إلى ارسال قواته جنوبا، كما فعل في السابق، حين تحرّكت القوات الإسرائيلية، وسيتكرّر الآن نفس الشيء. سيؤدي هذا إلى رفع الضغط عن الثوار دون الحاجة لإرسال مسدس واحد عبر الحدود. هل سمعت شيئا عن هذا الموضوع؟ الموضوع غير مطروح للنقاش، ولا حتى إيجاد بديل. لا يعني هذا أنّهم لم يفكّروا به. بإمكانهم أن يجدوا حلا أسهل ممّا أجده أنا، ولكنّني أعتقد أنّ ذلك يعني أنّهم لا يريدون لنظام *الأسد* أن ينهار.

الولايات المتحدة وإسرائيل سعيدتان للغاية وهما يراقبان العرب يذبحون بعضهم بعضا. إنّهما بطبيعة الحال يعمّقان الإنقسامات الشيعية - السّنيّة، التي تمزّق المنطقة بكاملها. وهو موقف يمثل إحدى النتائج، التي ترتّبت على غزو العراق واحتلاله، وهو الجريمة الكبرى. دَع العرب يقتلون بعضهم البعض. دعهم يقوّضون انظمة حكم بعضهم البعض. وفي نفس الوقت، فإنّنا موجودون لنجني الغنائم. نظام الأسد حقيقة، لم يُشكّل خطورة على مصالحنا. في الحقيقة تعاون معنا في تبادل المعلومات المخابراتية (إثر جريمة أيلول 11) وحافظ على هدوء الجبهة السورية الإسرائيلية. ربّما لا يُحبّذ الأمريكيون ولا الإسرائيليون هذا الموقف السائد، لكنّني لا اعتقد إنّهما يفضّلان بديلا آخر، ربّما يكون حكومة يسيطر عليها الجهاديون.

بالمناسبة، أمضيت بعض الوقت مع الناشطين من **جماعة سوريا الديمقراطية**. وهم ناس لطيفون للغاية، تركوا لديّ انطباعات حسنة، لكنّهم مُحبَطون من حقيقة أنّهم لم يتلقوا على الإطلاق مساندة من **الغرب**، بما فيه **اليسار الغربي**، الذي لا يساعدهم مثلما يساعد الآخرين في المنطقة.

لماذا هذا الموقف؟

هنالك عدة اسباب. الأول، أعتقد أنّ هؤلاء الناشطين مخدوعون بصدد الموقف في سوريا. كثير من اتباع اليسار هنا يعتقدون أنّ الثوار يحاولون إسقاط حكومة شرعية مُنتخَبة، رغم أنّها ليست

الحكومة الأفضل في العالم. إنّها حكومة شرعية. لماذا علينا أن نساعدهم؟ إنّه واقع يُشبه مساعدة الكونتراز Contras ضدّ حكومة الساندِنِستاس Sandinistas في نِكَراگوا، أو شيء من قبيل ذلك. وهذا اعتقاد سائد. يُمكنك أن تناقش كونه موقفا صائبا أو مخطئا، ولكن بالتأكيد ليس بدون مُبرّرات. لكنّ الثوار ليسوا كالناشطين، الذي التقيت بهم. يعتقد الناشطون أنّ رأيهم كذلك، لكنّ الأمر ليس كما يعتقدون.

بالتأكيد بدأت القضية وكان الجميع في صفّ واحد خلال الأشهر الأولى من الإنتفاضة في سوريا. كانت الحركة شعبيّة شريفة ومثيرة للإعجاب لأنّها كانت تدعو للشروع بالإصلاحات. كان يجب أن تتلقى الدعم في ذلك الحين، لكنّ الدعم لم يصل. وبسرعة تحوّل الموقف إلى مجابهة عسكرية. وهو موقف استدعى ديناميكية معيّنة بدأت تنمو وتتطور فتحول إلى بروز الوحشية المتطرفة، التي اصبحت سيدة الموقف. إنّهم المقاتلون الذين يجيدون التقتيل، واثبتوا أنّهم خبراء في ذلك. احتلوا الواجهة والصفوف الأمامية، فكانت النتيجة مزيدا من المجازر الوحشية.

لو عدنا إلى فيتنام كمثل. ما كانت جبهة التحرير الوطني تضمّ قديسين، لكنّهم بنظري ما كانوا قتلة، بل كانوا من أكثر العناصر تقدمية وإثارة للأمل. وبسرعة دُفِع بهم جانبا ولم تعد لهم في النهاية أيّة قوة. كتبت في حينها مقالة ذكرتُ فيها بأنّه كان من الواضح أنّ الحرب ستحوّل منطقة الهند الصينية إلى خراب، أو أن تؤول إلى تولي الفئات المتوحشة مقاليد الأمور في الهند الصينية.[14] وكان ذلك هو ما حدث.

غير أنّ هذا هو ما نتوقعه من الصراع العسكري، واعتقد أنّ مثل هذا الصراع يزحف نحو سوريا، وهو جزء من سبب غياب مساندة اليسار. إنّ ذلك ليس تبريرا، لكنّه السبب بحدّ ذاته. الناشطون السوريون الشباب، على الأقلّ الذين التقيت بهم، كانوا يفضّلون أن تقدّم الولايات المتحدة السلاح للثوار. قالوا إنّ ذلك سيؤمّن نوعا من التوازن العسكري وسيدفع *الأ*سد إلى التفاوض، الذي سيكون مقدمة لتوليهم السلطة. لكنّني اعتقد أنّ ذلك محض وَهم. أوّلا، إنّ المساعدة العسكرية المطلوبة لن تؤدي إلى التوازن العسكري في القوة. حين تبعث مساعدة من هذا القبيل فستقابلها مساعدات عسكرية متقدمة تُرسَل إلى النظام من قبل إيران وروسيا. في الحقيقة، بعد يومين من حديثي مع أولئك الشباب، صدر بيان رسمي فحواه أنّ إيران قد بعثت 4 آلاف من افراد الحرس

الثوري وقوات أخرى لمساندة نظام *الأسد*.[15] وعليه، فإنّني اعتقد أنّ تزويد الثوار بالسلاح يعني زيادة حدّة الصراع، ولا يحقق أيّ توازن في القوة العسكرية.

الأمل الوحيد الضعيف، الذي يمكنني أن أراه، شيء يشبه مفاوضات جنيف، بحيث يمكن التوصل إلى اتفاق بين روسيا والولايات المتحدة للسماح بقيام حكومة انتقالية يُشارك فيها نظام *الأسد* ويتمتع بالسلطة على أن أمل أن يُرخي انصار *الأسد* قبضتهم على السلطة السياسية والتحوّل نحو نظام أكثر انفتاحا على الأخرين. إنّ احتمال حدوث مثل هذا الأمر ليس عاليا حقيقة، ولكن إذا كان هناك بديل أفضل، فإنّي لا أراه في الوقت الحالي. وبحسب علمي، فإنّ كافة المعلقين المتعاطفين مع اهداف الناشطين الديمقراطيين يردّدون مثل هذا الرأي، سواء كان *باترِك* كوكبُرن أم *روبَرت فِسك* أم جو*نَثَن ستيل* أم *چالز* گ*لاس*، وآخرين غيرهم. لا أستطيع أن أرى إمكانية أخرى. لكنّ القضية لا تتحرّك إطلاقا لأنّه ولسبب واحد فقط، هو أنّ الثوار يقولون إنّهم لن يشاركوا في مثل هذه المفاوضات.

ماذا عن إسرائيل؟ لو أخذنا بنظر الأعتبار القضية على المدى البعيد، فإنّ الاحتلال سيكون بمثابة تدمير للذات. حتى رئيس الوزراء السابق *إيهود أولمرت* وقادة الشِن بُيت يعترفون أساسا بهذه الخطورة. لماذا تصرّ إسرائيل إذن على المضي بنفس السياسة؟

بودي أن أشير إلى كلمة "يعترفون". الطريقة، التي يقدّمون فيها هذا الموقف، وأعني *أولمرت* والآخرين، هو إمّا نقبل بحلّ الدولتين أو أننا سنكون أقلية في دولتنا. إنّ اعداد الفلسطينيين ستفوق اعداد اليهود داخل الدولة اليهودية! وعليه، يقولون، إمّا أن نتحوّل إلى دولة للفصل العنصري Apartheid وإمّا نختفي من الوجود. هذان هما الإختياران اللذان يطرحونهما.

المشكلة هي أنّ هذين الخيارين ليسا كما يبدوان ولا يتعدّيان كونهما وهما delusion، وأنا اعرف جيّدا أنّهم يدركون تلك الحقيقة. البديل هو إمّا دولتان تتعين حدودهما وفق الإتفاقات الدولية، وإمّا أن تستمرّ إسرائيل ومعها الولايات المتحدة على ما تعملانه بالضبط، وهو ما يجري الآن.

بإمكانك أن تشاهد ذلك واضحا جليّا. السياسة مكشوفة ويجري تطبيقها أمام أنظارنا. أولا، فُصلت غزة عن باقي مناطق الضفة الغربية، الأمر الذي يخالف **إتفاقيات أوسلو**. ولكن من يعير هذا الأمر انتباها؟ هذه خطوة مهمة، لأنّها تعني أنّ أيّة حكومة مستقلة في الضفة الغربية، مهما كانت

محدودة، ستكون مقطوعة عن العالم، وتبقى غزة تحت الحصار المفروض عليها. أمّا بالنسبة للضفة الغربية، فإنّ إسرائيل ستستولي على حوض نهر الأردن، وهو حقيقة ما تفعله الآن. وخطوة فخطوة وكلّ يومين يُطرد سكان القرى الفلسطينية وتُحفر آبار جديدة، وهكذا. يُنفذون ذلك بكلّ هدوء حتى لا يلاحظ غير اليهود goyim ذلك، أو على الأقل يتظاهرون بأنّهم لا يلاحظونه.

ستستولي إسرائيل على ما يقرب من 40% من المنطقة المتروكة. وهي المناطق، التي تقع داخل ما سموه **الجدار الفاصل**، وهو حقيقة جدار لضمّ المناطق داخله. القدس الكبرى هي منطقة توسعت بشكل هائل حول مدينة القدس بحدودها الأصلية (حتى عام 1967). كما تمّ تخصيص بعض المناطق كممرّات تمتد عبر المناطق المحتلة، واحد منها في شرق القدس الكبرى لربط مستوطنة معال أدوميم. وفي الواقع يقطع هذا الممر الضفة الغربية بكاملها. كما يوجد ممرّ آخر إلى الشمال يؤدي إلى مستوطنة أرييل ويقطع بقية الضفة الغربية. يتم في نفس الوقت ولأغراض الأمن إجلاء الفلسطينيين من قراهم في المناطق المحيطة بتلك الممرّات، تدريجيّا وقرية إثر قرية، دون ضجة إعلامية أو دعاية دولية.

وحين يتمّ ربط تلك المناطق لتصبح اجزاء من إسرائيل، فسوف لن تكون هناك "مشكلة ديموغرافية". سيُترك عدد قليل من العرب في المناطق التي تُدمج في نهاية المطاف. لن يكون هناك صراع من أجل الحقوق المدنية، ولن يكون هناك صراع ضدّ الفصل العنصري. وسيُترك للفلسطينيين أن يعيشوا في كانتونات صغيرة متفرقة، يعمل سكانها في توزيع صحف الصباح أو جمع الضرائب لخزينة الدولة.

جرت الأمور على هذه الشاكلة مدة تقارب 100 عاما، "اختلاق الحقائق على أرض الواقع بهدوء" وعدم ذِكرِ أيّ شيء عنها. هذه هي الطريقة التقليدية، التي لجأت إليها حركة الاستيطان الصهيونية. الفلسطينيون، الذين يتبقون في تلك المناطق المستوطنة، سيكونون داخل طوق، وليس لديهم منفذ حتى للإتصال بالأردن، وهي الدولة الصديقة للولايات المتحدة.

هناك طبعا بعض الاستثناءات. في فترة انظمة ما بعد الحركة الاستعمارية، تمّت معاملة النخبة المحلية بطريقة مختلفة وسُمحت لها بعض الإمتيازات. لو ذهبت إلى افقر بلدان العالم الثالث وأشدّها تعرّضا للكبت، لوجدت أنّ النخبة بين ابنائها يعيشون في بحبوحة مُذهلة. هذا ما يجري اليوم

في رام الله، التي تشابه لندن أو باريس! تتمتع النخبة هناك بحياة الترف. وعليه، دع الأمور على حالها، فتلك الطريقة تضمن سكوتهم، واترك بقية الناس تعيش وسط الظروف المتعفنة.

تلك هي السياسة، التي دأبوا على تنفيذها، وهي البديل لحلّ الدولتين. لا يوجد حلّ متمثل في دولة واحدة. هذا ليس بديلا أو أحد الخيارات.

ومهما صرّح *أولمَرت*، وهو ذكي بما فيه الكفاية، ليعرف أنّ إسرائيل لن تكون دولة واحدة تضمّ الفلسطينيين واليهود، بالضبط لنفس الأسباب التي أوردها. وهذا ليس أمرا قسرا، لأنّ بإمكانهم أن يستمرّوا في اتباع السياسة الحالية. وعليه، فإنّني أكره أن أقول، بأنّ اولئك الذين يصرّحون بمثل ما صرّح به *أولمرَت*، لا يساعدون القضية الفلسطينية في الدعوة إلى قيام دولة واحدة. إنّهم في الحقيقة يدعمون استمرار السياسة القائمة، التي قد تقود إلى نوع من الاستقلال الفلسطيني، ولكن على شكل كانتونات مشتتة، ليس لها حقيقة أيّ معنى.

تلك هي البدائل، وهذا ما يجب عليك مواجهته، إذا كنت تودّ العيش في هذا العالم، وليس عالما قائما على التجريد كما في حلقات المناقشات الفلسفية.

لماذا تصرّ الولايات المتحدة على دعم سياسات إسرائيل؟

تعود الأسباب إلى أسس جيوستراتيجية. أضف إلى ذلك أنّ لإسرائيل علاقات مع العسكر الأمريكيين وأجهزة المخابرات في هذا البلد. لقد اظهرت المعلومات، التي كشفتها **وِكِليكس** عمق هذه العلاقة وتجذّرها، كما تبيّن من العدد الهائل من البرقيات الدبلوماسية حول مواقع بالغة الأهمية بالنسبة للولايات المتحدة. أحد هذه المواقع يقع قرب حيفا وهو مجمّع رَفائيل حيث تًصنع اجهزة الدفاع المتقدمة وتُنتج طائرات درون وغيرها من الأجهزة والمعدّات العسكرية عالية التقنية. وهو مجمّع مرتبط جدّا بالصناعات العسكرية الأمريكية، إلى حدّ أنّ مركز قيادته قد انتقل إلى العاصمة واشنطن ليكون قريبا من مصادر التمويل.[16]

كما اعتمدت الولايات المتحدة على إسرائيل لتقوم بخدمات لصالحها. فمثلا قامت بنشاطات مكّنت *رونَلد رَيگِن* من الإلتفاف على تقييدات الكونگرِس وتعليماته كي يتابع حروبه الإرهابية في أمريكا الوسطى.[17] وهناك نشاطات حُسبت في صالح المستثمرين الأمريكيين، مثلما قامت به شركة إنتَل Intel لبناء مصنع كبير لإنتاج رقائق الكومپيوتر chips. هذا وقد صرّح *وارِن بُفِت* حديثا بعد

أن اشترى شركة إسرائيلية كبيرة بالقول، "إنّ إسرائيل تمثل أفضل وأكبر منطقة للاستثمارات الواعدة خارج الولايات المتحدة".[18]

الى جانب هذه المنافع المتعددة، توجد عوامل ثقافية بالغة الأهميّة. إن أفكار النخبة من المسيحيين الصهاينة، التي تقوم اعتمادا على الأساطير الكتابية biblical mythology، تعود إلى فترة سبقت طويلا الصهيونية اليهودية. ومن الناحية العملية ومنذ عام 1948 بالذات، انضمت إليها حركة صهيونية متطرفة متمثلة بالحركة الإنجيلية Evangelical. ويُشكّل هؤلاء الآن قاعدة الحزب الجمهوري.

كما يجب ألّا نغفل سببا آخر، وهو أنّ البلدان الثلاثة الكبرى الأشدّ دعما لإسرائيل هي الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. وهي جميعا كيانات قامت على حركات الاستيطان الاستعمارية، التي أبادت عمليا السكان الأصليين لتلك البلدان. وما تفعله إسرائيل في فلسطين ليس إلّا صورة مشابهة لما جرى في مناطق تلك البلدان وما حصل لأهلها الأصليين.

ثمّ هناك جماعات الدعم الهامة المساندة لإسرائيل lobbies. ومن هذه ***لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية*** AIPAC وهيئة التصنيع العسكري وانصار الكنيسة الإنجيلية وغيرهم. وفي المقابل، يفتقر الفلسطينيون إلى كافة اشكال الدعم، وليس لهم الثروة والنفوذ وليس لقضيتهم تأييد بين صفوف مَن في يدهم الأمر. وعليه، فليس لهم حقوق وفق المبادئ العادية للولاية.

وأخيرا، يجب ألّا ننسى اعتماد الجانبين الأمريكي والإسرائيلي على بعضهما البعض في المحافل الدولية، وما لهذا الإعتماد المتبادل من أهمية بالغة. لو أصرّت أمريكا على شيء، فإنّ إسرائيل ستتفهّم ذلك وتعمل بموجبه. وهناك أدلة على ذلك خلال فترتي حكم *رَيگِن* و*بُش الأب*.

ماذا يتطلب الأمر كي تغيّر الولايات المتحدة سياستها هذه؟

الميكانيكية الرئيسية المعروفة هي التنظيم الشعبي واستمرارية النشاط الفعال. قد يكون لذلك بعض التأثير. كما أنّه توجد بعض التحفظات في صفوف العسكر والمخابرات حول السلوكيات الإسرائيلية وتأثيراتها على المصالح الأمريكية. تمّ لحدّ الآن كبح مثل هذه المخاوف والحيلولة دون بروزها للسطح كي لا تصبح عاملا في النيل من الدعم غير المحدود. إذا استطاعت بعض الدول

العربية المنتجة للنفط أو أوروبا سلوك طريق مغاير حول هذه القضية، فلربّما يكون لذلك بعض التأثير على السياسة الأمريكية.

كنت في تركيا خلال شهر كانون الثاني. إنفجرت في أواخر شهر مايو من عام 2013 تظاهرات عمّت الشوارع الرئيسية احتجاجا على بناء مجمع تجاري فوق أرض حديقة غازي قرب ساحة تقسيم. في الحقيقة أنّ جزء من تلك الحديقة كان مقبرة للأرمن، استحوذت عليها الحكومة عام 1939.[19] لقد أجّج مشروع بناء مجمع الأسواق التجاري مشاعر الاستياء ضد نظام رَجب *طيب أردوغان*. كيف ترى ما يجري هناك؟

كنت في اسطنبول لإلقاء محاضرة في ذكرى تكريم *هرانت دِنك*، وهو صحفي أرمني تركي أغتيل من قبَل عناصر أمن الدوبة، حسب اعتقاد الكثيرين. كانت هنلك ردّة فعل قوية ناجمة عن مخاوف الأرمن، أعادت إلى الأذهان إنكار الحكومة للمجازر، التي أوقعتها بهم.[20] توجد الآن حركة شعبية واسعة تدعو إلى تفهّم مخاوف الأرمن وما حلّ بهم من قبل. حدثت تظاهرات كبيرة احتجاجا على اغتيال *هرانت دِنك* وتأييدا لمواقفه الفكرية والسياسية، ولم تتدخّل الشرطة هذه المرة لتفريقها.

كان الحضور في ساحة تقسيم يغلون غضبا، وكان من المتوقع حدوث صدام لا مفرّ منه. لقد تعرضت المناطق الأثرية القديمة في المدينة لزحف المشاريع التجارية العمرانية نحوها ووضع السيطرة عليها إلى حدّ الغاء كافة الساحات العامة وإقامة العمارات الحديثة محلها. كان ذلك بمثابة تدمير للكنوز الأثرية والمناطق الشعبية لسكن الأقليات القومية، والاستحواذ على تلك الساحات لتحقيق المنافع المادية لطبقة الأثرياء.

تُعتبر حديقة غازي جزء من ساحة تقسيم. وحين وصلت الجرّافات الضخمة للساحة، تجمّعت الجماهير لإيقاف تحركاتها. احتل الناس الساحة بكاملها احتجاجا على تحويل آخر حديقة عامة إلى مبان تحتوي على مكاتب تجارية. كان ردّ فعل *إردوغان* مشابها لردّ فعل حسني *مبارك* في مصر و*بشار الأسد* في سوريا. دفع بأفواج شرطة الشغب لتفريق الناس المتجمعين بالقوة، وكانت المقاومة عنيدة قويّة.

تراجع *أردوغان* قليلا، ولمدة يوم تقريبا بدا أنّ هناك تفاوض لإيجاد حلّ للقضية. وصل الموضوع إلى حدّ إعلان بعض نصوص الإتفاق. ستنتظر الحكومة رأي المحكمة حول شرعية خططها لهدم الأبنية القديمة. وإذا قررت المحكمة أنّ تلك الخطط مشروعة، فسيجري استفتاء شعبي

لسكان مدينة اسطنبول حول ذلك القرار.[21] بدا ذلك وكأنّه تهدئة وحلّ مناسب. غير أنّه بعد مرور ساعات قليلة، أرسل *أردوغان* مزيدا من افراد شرطة الشغب لتفريق تلك التظاهرات باستعمال العنف المفرط.[22]

يوجد الآن في تركيا انقسام حقيقي بين العناصر الإسلامية المحافظة، واغلبها من سكان الأرياف، والعناصر العلمانية واللِبرالية والتقدمية من سكان الحواضر والمدن، الذين يطالبون بمزيد الديمقراطية والحريات الشخصية. زادت حكومة *أرروغان* من إجراءاتها القمعية من أجل إحكام قبضتها على شؤون البلاد وحياة السكان. عمدت الحكومة إلى اعتقال مزيد من الصحفيين، أكثر من أيّ بلد آخر.[23] كما زادت فرض الأسلمة على المجتمع، الذي لا يُحبذ العديد من افراده ذلك الإتجاه.

إنّ ما يحدث في تركيا أمر بالغ الأهمية. لا شكّ أنّ لتركيا موقعا متميّزا في المنطقة، وفي رأيي هناك معان أبعد لكافة التطورات، التي تحدث في البلد. معروف أنّ البشر في اوقاتنا هذه يدمّرون بيئتهم، وبالتالي مصالحهم العامة المشتركة، لأنّه لا أحد يمتلك الغلاف الجوي المحيط بالكرة الأرضية. البيئة ملك للجميع، وليس من حقّ أقلية تدميرها تحقيقا لمنافعها الخاصّة.

الحقيقة الفعلية القائمة، هي أنّ الأشخاص المدافعين عن تلك البيئات هم سكّان البلاد الأصليين، الذين يقفون في مقدمة الصفوف. فمثلا، في كندا يحاول السكان الأوائل First Nations منع عمليات استخراج النفط من رمال القطران tar sands. وفي بوليفيا والإكوادور يقاوم السكان الأصليون زحف الاحتكارات على مناطقهم، ويقوم سكان أستراليا الأصليون Aboriginals بجهود مماثلة. وفي الهند يأخذ سكان أديفاسِس Adivasis المهمة على عاتقهم، مثلهم مثل المقاومة لدى فلاحي جنوب كولومبيا من سكان البلاد الأصليين Compesinos. يقوم هؤلاء جميعا بالدفاع عن مناطقهم وانماط حياتهم من أجل أجيال المستقبل. أمّا حكومات البلدان الغنية مثل الولايات المتحدة وكندا فلا يعنيها هذا الأمر شيئا ما دامت الشركات تجني الأرباح من نهب خيرات تلك المناطق، دون الإلتفات إلى المحافظة على البيئات المحلية.

ما تراه في ساحة تقسيم هو صورة مصغّرة لما يجري في البلد، نفس أدوات الهدم ولكن على نطاق أوسع. وتحدث هذه الظاهرة في كافة انحاء العالم. أينما ذهبت ترى معركة بين واقع الحرمان، الذي تفرضه اللِبرالية الجديدة والجهود المضادّة، التي ترمي حماية إرث الأجيال القادمة وحقوقها

ومقاومة النشاطات المخربة للبيئة. ستقرر نتائج هذا الصراع ماذا سيحدث للأجناس البشرية وغير البشرية.

ذكرت أنّه لو نظر الشخص إلى الواقع السياسي الحالي في العالم، فستكون للسخرية cynicism مبرراتها. لكنّها يجب ألّا تقود إلى السلبية passivity.

إذا كانت السخرية تقود إلى السلبية، فذلك يعني أنّنا نُقدِم على الإنتحار. ذلك بالضبط هو ما تعنيه. الخيارات صارخة واضحة. إمّا أن تستسلم وتساعد على حدوث الأسوأ، أو تساهم في المقاومة، ولربّما يقود ذلك إلى تحسين الواقع.

لا أدري حقا إن كنت تؤمن بتناسخ الأرواح reincarnation، غير أنّك ذكرت أنّه لواعطيت الخيار لتعيش في حقبة أخرى، لتمنّيت أن تكون في أدنبرَه خلال عصر *التنوير*. لماذا؟

كان عصر التنوير الإسكتلندي فترة استثنائية للحرية الفكرية والاستقلال الفكري والإمعان في التفكير والتأمّل. حدث أغلب ذلك في أدنبرَه، التي عجّت بالمفكّرين مثل *دَيفِد* هيوم و*آدَم سمِث* و*فرانسس هَچِسُن* وغيرهم. ليس بودّي أن أجعل الموضوع عاطفيّا للغاية، حين اقول إنّ هيوم هو أفضل الفلاسفة برأيي، رغم أنّه كتب بعض المقالات الفظيعة. منها مقالته حول الهوية الوطنية، التي تميّزت بِنَفَس عُنصريّ جدّا، رغم أنّها كانت في صالح الأرمن. قال عن اليهود إنّهم بطبيعتهم "مُزوّرون" fraud والأرمن "معروفون بالاستقامة" probity.[24] آه، أعرف لماذا أتيت على هذا الموضوع. كنت تريدني أن أذكر ذلك.

ماذا تقول عن تناسخ الأرواح؟

لا أؤمن بوجود شيء من هذا القبيل. وحتّى لو وُجد تناسخ الأرواح، فماذا تريدنا أن نكون، بكتريا أم خنافس؟ هذه الكائنات فقط هي التي ستحافظ على بقائها بسبب ما نفعله الآن لعالمنا الحالي.

تختتم دائما محاضراتك ومقابلاتك بعبارات مقتضبة حول ضرورة تنظيم المواطنين لنشاطاتهم، وأنّ إحداث التغييرات ليس بالأمر السهل. لكنّك لا تذهب إلى أبعد من ذلك. حين تلقي محاضرة وتتحدّث لأكثر من ساعة، تختتم ذلك بالقول، "باستطاعتكم أن تغيّروا الأشياء، وشكرا" ثم ينتهي الأمر. وغالبا ما تركت الحاضرين وهم في حالة ذُعر.

نعم، "إخبرنا كيف نفعل ذلك!" لا أحدّ يستطيع أن يُخبرك كيف تفعل ذلك. لا أحد على الإطلاق يمكنه أن يخبرك كيف تفعل ذلك. يستطيع *سَول إلنسكي* ارشادك لبعض الحيل والأساليب لتنظيم المجتمع المحليّ، ولكنّ هذا لا يفي بالغرض. لا شيء يصعب عليك تخمينه بنفسِك، لو فكّرت به لخمس دقائق فقط، إن كنت عازما على الأمر.

الأبعد من ذلك، لا يستطيع شخص آتٍ من الخارج أن يخبرك ما يجب عليك فعله، لأنّك الوحيد العارف بظروفك، التي تعيشها. أنت فقط تعرف الخيارات المتوفرة لك، وأنت فقط مَن يستطيع أن يقرّر ما يمكِن وما لا يمكِن عمله. أنت تعرف حالك ووضعك وأنت مَن يُقرّر شكل مساهمتك وإلى أيّ حدّ أو قدر يمكِن أن تمضي في ذلك. وبطبيعة الحال، لا يستطيع شخص أن يُخصّص 100% من وقته ويتفرّغ للنشاطات السياسيّة. وعليه، فإنّه أنت من يُقرّر ذلك ولا مفرّ من هذه المعضلة. ليس بإمكانك أن تتوقع أن تجد شخصا يأتي من الخارج ويُخبرك، "هذا ما يجب عليك عمله". هذه حقيقة ثبتت في الماضي وستظلّ للمستقبل.

أنت كثير الترحال، وحين تعود إلى بيتك تواصل عملك بجهد متزايد. هل تفكّر عادة بالجولة، التي قمت بها وبالطرق التي سلكتها، والتي لم تسلكها؟

ليس كثيرا. ولكن حين يسألني أحد ما، فإنّي اعود للتفكير واقول لنفسي،" كان يجب أن اقوم بكذا وكذا،" ولكنّ للحياة الطبيعية مسارها.

هل تشعر بأنّك ستتقاعد، وببساطة تترك كلّ هذا الصداع السياسي للآخرين وتأخذ قسطا من الراحة؟

قد يحدث ذلك في المستقبل القريب، سواء إخترت ذلك أم لا.

الحوار الثالث
أنظمة القوة الغاشمة
لا توزّع الهدايا

كَيمبرِج، ماسَچوسِت 13 شباط 2014

جرى حديثنا في اليوم التالي للمباراة الختامية في كرة القدم في الولايات المتحدة. بلغت كلفة الإعلان الذي يستمر لفترة 32 ثانية 4 ملايين دولارا. كانت الحصيلة مبالغ هائلة صارت من نصيب شركات الإعلام، وأعني هنا شركة فوكس.

من النادر أن اشاهد التلفزيون، لكنّني شاهدت البرنامج الذي سبق المباراة لمدة 10 دقائق فقط، حين عرضوا عددا كبيرا من الإعلانات. وهي إعلانات جذابة توضح حقيقة ما كتب عنه *جون بَلَمي وروبرت مكچِزني*، بالقول إنّ الاقتصاد يمضي بنا نحو احتكار القلة Oligopoly والتركيز الأكثر والجهد الأعظم للحيلولة دون وقوع منافسات في اسعار السلع، لأنّ ذلك يعني النقص في كمية الفوائد.[25] وبناء عليه، فإنّ ما تحتاجه هو أن تعوّض عن المفاضلة بين المنتجات الاحتيالية. بمعنى، أنّ كلّ شركة تصنع ذات السلع لتُباع في الأسواق، باعتبارها سلعا مختلفة.

حين تتمعّن في هذه الإعلانات، سترى أنّها ممارسات لخلق الأوهام العامة، عن طريق بذل الجهود الجبارة لجعل الناس يشترون سلعا لا يريدونها ولايحتاجونها أصلا، بدلا من تلك السلع المماثلة لها، والتي لا يرغبون بها ولا يحتاجونها أيضا. وهذه انعكاسات مثيرة للاهتمام عن الطريقة، التي تعمل بها المجتمعات.

هناك مشهد في الفلم الوثائقي *اصطناع التوافق*، الذي تذكر فيه كيف ذهبت لحضور مباراة رياضية وراقبت ردود فعل زميلك في الصف والناس الآخرين.[26]

كانت ظاهرة ملفتة للإنتباه، أن تشجّع فريقك المحلي. ومن السهل على الإنسان أن يقع في حبائل هذه الموالاة ببراءة في اغلب الحالات. ماذا يعني "القتال" قصير الأمد، الذي يثير في المشاهدين النزعة للنصر وتشجيع "مقاتليهم". وهم أناس لا يعرفونهم وليس لهم بهم أيّة علاقة. مثلا، حين كنت صبيّا كان نفس اللاعبين في فريق نو يورك يانكيز يلعبون سنة تلو أخرى. يوجد نوع من التحايل لكنّه ليس تماما شعورا بالولاء للاعب *جَو دِماجو* أو *لَو گِرك*، أو غيرهما. ولكن في هذه الأيام تجد لاعبا مع فريق معيّن في هذا الموسم ومع فريق خصم في الموسم التالي. لكنّك تمضي في تشجيع فريق مدينتك بحماس بالغ. وحين يخسر الفريق تنتابك حالة من الكآبة، وحين يفوزون تشعر معهم بنشوة الإنتصار. رغمّ أنّ القضية تبدو متعة بريئة، وهذا ليس بالأمر المستحيل، لكنّها تشكل أيضًا خطرا، أنّك تنقاد إلى إنحياز اعمى.

أخبرتني أنّك مررت بتجربة مثيرة حين كنت طالبا في الصف الرابع الإبتدائي. ذهبت مع احدى معلماتك لمشاهدة مباراة فريق نو يورك يانكيز وفريق فيلادلفيا الرياضي.

نعم *الأنسة كلارك*. كلّ طالب في الصف الرابع الإبتدائي واقع في حبّ *الآنسة كلارك*. أخذتني مع اقرب اصدقائي لمشاهدة مباراة البيسبول، التي تمنحك متعة لا حدّ لها. إذا بدأت تشعر بالملل سأشرح لك مراحل المباراة خطوة فخطوة. جلسنا في قسم المقاعد الأرخص كلفة، خلف موقع اللاعب الشهير *جَو دِماجيو*. بطبيعة الحال، اردنا لفريق اليانكيز أن يخسر، لأنّنا كنّا من مشجّعي فريق مدينتنا، فيلادلفيا. ومع ذلك تمتعنا بمراقبة اللاعبين الأبطال *لَو گِرك* و*بِل دِكي* و*رَد رُفِنگ*. لم يكن لاعبو فيلادلفيا على تلك الدرجة من الشهرة. كان بعضهم له مقدرة لا بأس بها للعب ولكنّ شهرتهم محدودة. وعليه كنّا منتَشين للغاية. غير أنّه بعد مرور شهرين فقط "خانتنا" مس *كلارك* وتزوجت معلم الرسم في المدرسة الأستاذ *فِنك*، ولم استطع نسيان القضية.

كانت لتلك المباراة نتيجة مشهودة أيضا.

كان فريقنا في المقدمة 7 نقاط مقابل 3 نقاط للفريق الزائر حتى الشوط السابع من المباراة. سجّل بعدها فريق اليانكيز 7 نقاط على التوالي، وانتهت المباراة بنتيجة 10 مقابل 7 نقاط لصالح فريقنا. شعر كافة الأولاد في سني من مدينة فيلادلفيا بعقدة النقص، لأنّ فريقنا خسر كافة المباريات التي خاضها مع مختلف الفرق. وما جعل الأمر أكثر سوء أنّ ابناء عمومتنا في نو يورك كانوا في

الصدارة في كافة المباريات الرياضية. كان علينا أن نتقبّل تعالي ابناء عمومتنا في نو يورك علينا، لأنّهم فازوا في كافة المباريات، ونحن خسرناها جميعا.

استنسخت حين كنت طالبا في الصف الثالث الإبتدائي جزء من الموسوعة البريطانية. هل تتذكّر تفاصيل ما جرى؟

كيف عرفت كلّ هذه الأمور المشينة عنّي؟ صحيح، كان ذلك افظع الجرائم، التي اقترفتها طوال حياتي. طلب المعلم منّا أن نكتب تقارير عن موضوع الفلك astronomy. لم اعرف لماذا استنسخت جزء من الموسوعة البريطانية حول الموضوع وسلمته للمعلم. لم يدرْ في خلدي شيء عمّا فعلته حينها، لكنّني شعرت بالأسف الشديد فيما بعد. لم أعاقَب، رغم أنّ المعلم عرف أنّه لم يمكنني كتابة ذلك النص بنفسي، لكنّه لم يقل لي شيئا. بقي ذلك الأسف يلازمني طوال حياتي. كان شيئا سيئا للغاية يعادل المرارة التي شعرتها لخسارة فريق مدينتنا أضعافا مضاعفة، بل قُلْ الألم المرير لخيانة *المس كلارك* لنا، ونحن في ذلك السّنّ.

دعنا الآن نعود إلى الفترة التي وجدت نفسك فيها وأنت تقوم بأعمال تمرّد، مثل رفضك تناول وجبة دقيق الشوفان oatmeal في صباح أحد الأيام. كم كان عمرك، وما هي الظروف التي برز فيها مثل ذلك التمرّد؟

اعرف تاريخ ذلك واتذكر المكان الذي جرت فيه تلك الواقعة. كان عمري سنة ونصف. ينتمي كافة اقاربي تقريبا إلى الطبقة العاملة أو عاطلين عن العمل بشكل أو بأخر، وكان والداي معلمَين، بمعنى أنّه كان لديهما دخل منتظم. وبسبب ذلك كان الأقارب يتردّدون على بيتنا، خاصة في فصل الصيف. حاولت إحدى خالاتي أن تطعمني دقيق الشوفان. أجلستنى فوق طاولة في المطبخ ووقفت تحشو فمي بملاعق ملآى بالشوفان واحدة تلو أخرى. ما كنت راغبا في بلع ما كانت تحشو في فمي وابقيته في فمي حتى انتفخ خدّاي. لا اتذكّر كم استمر ذلك من الوقت، لكنّني اتذكر رفضي الشديد بلع ما تجمع داخل فمي من الشوفان.

لم تتراجع؟

لا، ما زال الشوفان حيث حشته خالتي.

منذ وقت مبكّر في حياتك، كنت تظهر ميلا نحو الفوضوية anarchism. ما الذي فيها قد أذكى فيك ذلك الميل؟

تبدو الفوضوية لي واضحة جليّة تعبّر عن نفسها. لماذا توجد هياكل السلطة؟ كلّ هيكل منها ومن نظام التسلسل الهرمي أو الهيمنة، يتوجب عليها أن تثبت جدواها. يجب أن يُثبت كلّ منها شرعيته. قد يكون ذلك ممكنا، وإذا عجز عن ذلك فيجب تفكيكه. ذلك بالنسبة لي هو اقرب شيء إلى الحقيقة، التي يمكن أن اتصوّرها. وهذا هو الموضوع المهيمن في مسألة الفوضوية. حاول تحديد هياكل السلطة والهيمنة، بدأ من مستوى العائلة وانتهاء بالنظام الاستعماري، وأيّ شيء بينهما. مطلوب من الجهة المعنية أن تبرّر وجودها. وحين تعجز عن ذلك، وهو ما سيحدث تقريبا، يجب أن نتحرّك لتفكيكها من أجل نظام بديل أفضل حُرّ يقوم على التعاون والمشاركة. أعتقد أنّ هذا يبدو واضحا بشكل حدسي.

ثمّ اكتشفتَ الفوضوية أثناء تردّدك على محلات بيع الكتب المستعملة في نو يورك؟

كنت في سنّ 11 أو 12 عاما، حين سمح لي والداي بالذهاب إلى نو يورك لوحدي. كنت استقل القطار من فيلادلفيا وأبقى مع أحد اقاربي في المدينة. كنت اقوم بذلك خلال عطل نهاية الأسبوع أو خلال ايام العطل المدرسية. كان الوضع في ذلك الوقت يختلف عمّا عليه الآن. كانت ساحة الإتحاد وهي ساحة محطة القطار قذرة نوعمّا، وكانت توجد فيها مكاتب للحركة الفوضوية ومنها Freie Arbeiter Stimme، وهو مكتب الصحيفة التي تصدر بلغة اليِدِش. كنت أتردد على ذلك المكتب، الذي احتوى على كتيبات ومنشورات عديدة، وكان الأشخاص الموجودون هناك سعداء بالحديث مع أيّ كان.

أمّا الآن فإنّ ساحة الإتحاد واستمرارا حتى الشارع الرابع، الذي كان يتميز بالقذارة، كانت توجد فيه صفوف من المحلات الصغيرة، بما فيها محلات بيع الكتب المستعملة، التي تملكها في العادة مهاجرون. كان بعض هؤلاء ممّن ساهموا في الحرب الأهلية الإسپانية وفوضويون هربوا بعد اندحار الثورة عام 1936. كنت أراهم وكانوا يبدون لي في سن 100 عاما، رغم أنّهم كانوا في الثلاثين من العمر. كانت لديهم تجارب زاخرة في النضال وكانوا سعداء للحديث عن تلك التجارب. كانوا أيضًا يحملون الكثير من الكتيبات والمنشورات والمطبوعات الأدبية. ما كان لديّ الكثير من المال، لكنّ تلك المواد كانت زهيدة الثمن، فاستطعت جمع عدد لا بأس به منها.

تذكّر أنّ ذلك كان خلال فترة ثلاثينات القرن الماضي وفي مطلع اربعيناته. كانت فترة راديكالية بالنسبة للصحافة، التي اصبحت ميدانا للنقاشات الراديكالية. في الحقيقة أنّ المكتبة العامة في وسط مدينة فيلادلفيا، كانت تضمّ مجموعة ممتازة من الكتب والمطبوعات الراديكالية في ذلك الحين. كنت احيانا أتردد عليها عصر أيام السبت وأنقب في تلك الأدبيات.

من المفكرين الفوضويين، الذين تأثرت بهم *رودولف روكر*. وُلِد في ألمانيا عام 1873 ووافته المنية في شمال ولاية نو يورك عام 1958. هل اتيحت لك فرصة مقابلته؟

لا، لم اقابله أبدا. حين كنت صبيّا واذهب إلى محال بيع الكتب المستعملة، كما ذكرت، أتذكّر أنّني وجدت له كتابا أو كتابين. غير أنني وجدت فيما بعد كامل مجموعته Anarch-Syndicalism، ربّما في نهاية الأربعينات أو حتى الخمسينات.[27] كانت المواد مكتوبة في عام 1938، ولا اظنّ أنّها اصبحت متيسّرة إلّا بعد مرور 10 سنوات. إعتقدت أنّها اعمال ثاقبة.

كتب روكر فقال، "لا يولد اليمين السياسي داخل البرلمانات، بل أنّه يُفرَض عليها من الخارج".[28]

في الحقيقة من الأسفل. أعتقد أنّه تعليق دقيق. أنظمة القوّة لا توزّع الهدايا طواعية. تجد نادرا عبر التاريخ دكتاتورا تصرّف بطريقة خيّرة أو أنّ مالكا للعبيد قرّر أن يعتقهم. هذه حالات يمكن اعتبارها خطأ إحصائيا. في العادة تجد أنّ انظمة القوّة تحاول بشكل دائم توطيد واستدامة سطوتها وتوسيعها. وهذا يصدق على البرلمانات أيضا. الحركات الشعبية فقط، هي التي تجبرهم على التغيير.

ورد في مقالتك "ملاحظات حول الحركة الفوضوية،" التي كتبتها في مطلع السبعينات، استعارة من روكر حين ذكر، "تبقى مسألة تحرير الفرد من لعنة الاستغلال الاقتصادي والاستعباد الاجتماعي، مشكلة العصر".[29]

صحيح للغاية، ولحدّ هذا اليوم. يمكننا إضافة ملاحظة أخرى نابعة من أدبيات التقاليد الفوضوية، والتي جاء بها *كارل ماركس*، بأنّ التغلب على مشكلة صراع الحيوانات للبقاء والاستغلال والظلم وغيرها، سيحررنا ويجعلنا قادرين على مواجهة المشكلات البشرية.

في مقالتك الأخرى حول "اللغة والحرية" كتبت بأنّ الرأسمالية "ليست نظاما مناسبا... إنّها عاجزة عن تأمين حاجات البشرية".[30] ما الذي يجعل الرأسمالية تستمرّ في البقاء والتحرك نحو الأمام؟ ما الذي يحافظ عليها؟

تعود المحافظة عليها إلى عاملين. الأول هو ميل أولئك الذين يتمتعون بالقوة الغاشمة أن يحافظوا على تلك القوة ومضاعفة سطوتها، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، هناك ميل يتمثل في السلبية وفقدان الأمل والتشرذم بين صفوف الناس من الطبقة الدنيا. هؤلاء هم الذين كتب عنهم روكر وقال، "هم الذين سيفرضون التغيير". كتبت تلك المقالة عام 1970، حين بدأت فترة تصفية الحسابات مع الشخصيات المتحررة، التي قادت نشاطات مرحلة الستينات. إنّ ردّة الفعل المعاكسة لتلك النشاطات، التي ما زلنا في وسطها في حينها، كانت بداية ظهور الحركة اللِبرالية الجديدة neoliberalism وهجومها الشرس ضدّ سكان العالم أجمع.

كانت هناك اشياء ما كنت على علم بها في حينه. اشياء كان يجب أن يعرفها الجميع، مثل ما نواجهه في وقتنا الحالي المتمثل في أزمة البيئة. كلّ مجلة علمية تقرأها الآن، تجد تحذيرات عن اكتشافات جديدة عن الأخطار الوشيكة المحدقة بنا جرّاء هذه الأزمة، إنّها لن تحدث بعد 100 عاما، بل ربّما خلال حقب قليلة قادمة. ومع ذلك فإنّ الرأسمالية الجشعة تدفعنا أن نضاعف تهديد هذه المخاطر باستخراج آخر قطرة من الوقود الإحفوري من باطن الأرض.

والعذر هو توفير فرص العمل. ولكن خلال المناقشات السياسية الحديثة، تحلّ عبارة "فرص العمل" محلّ شيء لا يريدون الإفصاح عنه. وهو الكلمة القذرة، التي تتكوّن من خمسة حروف "أ ر ب ا ح". لا نستطيع أن نقول ذلك، فنستعمل بدلا منها عبارة "فرص العمل". يجب التأكيد على أن نحصل على فرص العمل، لأنّ نظام القوة معنيّ جدّا بالطبقة العاملة، كما ترى! لذا علينا أن نسارع للوقوع في الهاوية كالفئران، التي تجري خلف عازف المزمار!

الأقسام الرئيسية في نظام الاحتكار، مثل غرف التجارة وشركات الطاقة وغيرها، تعلن صراحة أنّها تقوم بجهود دعائية هائلة لإقناع المواطنين بأنّه لا توجد تغيّرات مناخية، أو أنّها إذا وُجِدَت فليست من صنع الإنسان anthropogenic. إنّها بسبب بقع شمسية أو شيء آخر.

الجهود المبذولة لدفع الناس نحو اللاعقلانية الشاملة وتدمير ذواتهم حثيثة وفي تزايد مستمرّ، يصل بعضها إلى مستوى السريالية تقريبا. المثال على ذلك **مجلس التبادل للتشريعات الأمريكية** ALEC، وهو مجموعة مدعومة بتمويل الاحتكارات تقوم بوضع التشريعات على مستوى الولايات لأنّهم توصلوا إلى أنّه من الأسهل عليهم اجبار سلطات الولايات بدلا من الحكومة المركزية. وبسبب هذا عمدوا إلى تشريعات رجعية للغاية في كلّ ولاية "لدعم توفير فرص العمل" بدلا من العبارة المشار إليها سابقا، وهي جني الأرباح وتجميع الفوائد والثروة. من يعارض توفير فرص العمل؟!!!

من بين البرامج التي عملوا على دفعها هو "توفير التعليم من أجل التفكير النقدي" critical thinking في كافة صفوف المدارس.[31] وثانية، مّن يُعارض مثل هذا البرنامج؟!!! ولكن كيف يمكن ادخال التفكير النقدي في مناهج الدراسة؟ إذا كانت المواد، التي تُدرّس في الصف السادس الإبتدائي تحتوي على مادة في المنهج حول التغيّرات الحاصلة في المناخ، فهم يقولون بوجوب احتواء نفس المنهج الدراسي على شيء ضدّ نظرية تلك التغيّرات المناخية، ليكون بمقدور طلبة الصف السادس الإبتدائي أن يفكّروا بطريقة نقدية، وتقييم آراء 99% من العلماء من جهة مقابل عدد صغير من آراء المتشككين وممثلي الاحتكارات من جهة أخرى. هذه هي الطريقة التي يقوم عليها "التفكير النقدي".

دعني هنا أضيف نقطة، وهي أنّ مجلس ALEC يتلقى التمويل من *الأخوين كوك* Koch، وهما البليونيران *چالز* و*دَيفِد* كوك.[32]

الجهود المبذولة في محاولة تأكيد وضع نهاية للبشرية مسألة محرجة للغاية. لو أنّ شخصا ما يأتي من عالم آخر ويراقب ما يجري على الأرض، فإنّه سيتوصّل إلى استنتاج بأنّ البشر نوع من الكائنات غير قادر على الحياة اطلاقا، ويعاني من خطأ تكويني يدفعه لتدمير ذاته.

هل يمكن أصلا حماية البيئة في ظلّ النظام الرأسمالي؟

إنّ نظامنا الاقتصادي له مواصفات موسساتية عميقة تقود نحو التدمير. إنّها في الحقيقة طبيعة نظام السوق الحرّ حسب ما تفسره النظرية الاقتصادية. في مثل هذه النظام، يجب ألّا تعير اهتماما لما يُسمّى العوامل الخارجية externalities. إذا اتفقنا أنا وأنت عل صفقة تجارية، لنقل أنّك

تريد بيعي شيئا ما، فإنّ كلا منّا يحاول أن يحصل على أكبر قدر ممكن من الربح. هذه هي الطريقة التي يُفترَض أن يعمل بها النظام. لا نسأل حول تأثير هذه الصفقة على الناس الآخرين.

لنأخذ مثلا ***غولدمَن ساكس***. حين اقدموا على صفقة خطيرة. لربّما حاولوا قبلها حماية انفسهم من المخاطرة، لكنّهم لم يعيروا انتباها للمخاطر النظامية systemic risk، أي التهديد بأنّه إذا حدث شيء خطأ، فإنّ النظام بكامله سيتهاوى، مثلما حدث لشركة AIG، على سبيل المثال.[33] أي أنّهم ليسوا بحاجة إلى القلق. إذا كانت هناك ضرورة، فإنّ الحكومة ستقوم بانقاذهم. وهذا يعني أنّ المخاطرة يُقلّل من شأنها، لأنّ العوامل الخارجية قد تمّ تجاهلها. وهذا قد يكون مدمّرا. في الحقيقة أنّ هذا الأمر كان وراء انهيار النظام المالي العالمي.

إنّ *الأخوين كوك*، وربّما الأقل تطرّفا منهما، يحدوهم الأمل لتحقيق أعلى الفوائد. هذه هي طبيعة النظام. فإذا كنت رئيسا تنفيذيا أو عضوا في المجلس الإداري لإحدى الشركات، فيُفترَض فيك أن تحقق مزيدا من الأرباح، ولا تعير انتباها لكلفتها بالنسبة للآخرين. وفي حالة الأزمة البيئة لربّما تكون الكلفة هي تدمير الحياة البشرية بكاملها. البيئة هنا شيء خارجي، بمعنى هامشي. وطبعا، في حالة الضرر الحاصل في البيئة، لن يكون هناك من تذهب إليه وتطالبه بأن ينقذ الموقف، كما في الأزمات المالية، حيث يوجد المواطنون من دافعي الضرائب، الذين يمكن خداعهم دائما لإتمام عملية الإنقاذ من الإفلاس، ولكن ليس في معالجة الأزمة البيئية.

هل يمكن تغيير هذا الواقع؟ بالتأكيد. النظام الاقتصادي ليس قانونا طبيعيّا.

لو أخذنا بنظر الإعتبار شدة الأزمات البيئية وتكرار حدوثها، أين ترى مصدر الصخب والمطالبة بإحداث التغييرات الواجبة لإنقاذ الموقف؟

هناك اصوات صاخبة. هناك تظاهرات أمام البيت الأبيض، وهناك العديد من الاحتجاجات المحلية ضدّ توسيع شبكة أنابيب نقل النفط في اجزاء متعددة من البلاد.[34] ولكن لحدّ الآن، لم تكن حركة المقاومة على المستوى المطلوب لتقف في وجه شركات الطاقة الرئيسية الغنية بقدراتها المالية، التي تستطيع من خلالها ممارسة التأثير على القيادة السياسية. هذا هو السبب، الذي يجعل الإعلام يتناول موضوع التغيرات المناخية باعتباره موضوعا قائما عل اختلاف وجهات النظر، ولربّما تحدث أو لا تحدث. صحيح، ليس بالإمكان القول بيقين مطلق absolute certainty من

الناحية العلمية، لكنّ الأزمة قطعا موضوع يقترب من كونه إجماعا ساحقا overwhelming consensus حول أيّ احتمال يمكن تصوّره.

أعتقد أنّ اللجنة الحكومية العالمية IPCC حول التغيّرات المناخية، قد أشارت إلى التأكّد بنسبة 95%.[35]

صحيح، وأنّ الإتفاق العام حول هذا الرأي ساحق أيضا. كان هناك بعض المتشككين، الذين تلقّف الإعلام انتقاداتهم واعطاها الكثير من الشهرة العامة، رغم أنّها انصبّت على الوسائل المتبعة في تقدير حجم الأضرار البيئية، وليس على الأضرار ذاتها. ولكن كانت هناك مجموعة من النقاد والمعترضين، الذين لم يرد لهم ذِكر في وسائل الإعلام. قال هؤلاء، إنّ تقارير IPCC محافظة في طبيعتها. تذكّر أنّ عبارة "عدم التأكّد" uncertainty قد لا تعني أنّ الموضوع على درجة من السوء كما كان متوقعا، لأنّه ربّما كان أكثر سوء. الطريقة، التي ابتكروا بها تلك الكلمة حول تغيّرات المناخ قد فُسِّرت بأنّ الأمور ما كانت بالسوء الذي كان متوقعا. ولكن لو ذهبت إلى علماء المناخ، مثل *مايكِل مان*، في ***مركز علوم الأرض*** بجامعة ولاية پَنسِلفَنيا، وغيره، لوجدت أنّهم اعتقدوا بأنّ تقديرات IPCC كانت "وردية للغاية".[36]

من الأشياء، التي يمكن عملها لمواجهة تغيّرات المناخ مسائل أولية. فمثلا إذا أخذنا موضوع البيوت، التي تحدّ من استعمال الطاقة، فإنّ ذلك لن يؤخر حدوث الأزمة البيئية فقط، بل أنّه سيساعد في توفير فرص عمل جديدة. يوجد الملايين من الناس العاطلين عن العمل، وقد دُمّرت حياتهم وحياة أسرهم وأطفالهم. يمكن أن يُستخدَم هؤلاء في عمليات تأهيل البيوت الحالية والجديدة لتكون أقلّ استخداما للطاقة.

هُناك فرص لا يمكن حصرها في هذا المجال، ولكن لم يقم أحد باستغلالها. تسمع الكثير من اللغط حول الحماس بأنّ القرن الواحد والعشرين سيكون القرن الذي تصبح فيه الولايات المتحدة كالسعودية من حيث توفر مصادر الطاقة. ولكن إلى أين سيقودنا هذا؟ سنحصل على الطاقة بسعر رخيص لكنّنا سندفع ثمنا عاليا لأنّنا سنمضي سريعا لتدمير بيئتنا وحياتنا، وسيمتدّ أثر ذلك على البلدان الأخرى. الأوروبيون، الذين مازالوا يحاولون تحقيق شيء هامّ حول تغيّر المناخ، سيتراجعون عن تلك الجهود لأنّهم لا يستطيعون التنافس مع اسعار الطاقة الرخيصة في الولايات المتحدة.

لا يقتصر الأمر على أوروپا فقط. لنأخذ على ذلك مثلا من الإكوَدَور، وهي أحدى بلدان العالم الثالث الفقيرة. لديها كميات معقولة من النفط في مناطق بيئية مهدّدة. طلبت من دول العالم الغنية بعض الدعم، لم يتجاوز بلايين قليلة من الدولارات، تشكّل فقط جزء من قيمة النفط لو تمّ استخراجه. طلبوا تلك المعونة كي يبقى النفط في باطن الأرض. لكنّ تلك المعونة لم تأتِ إليهم. البلدان الغنية لم تعجبها الفكرة.[37]

تحلّ علينا هذه الأيام الذكرى الخمسون لإعلان *لِندُن جونسُن الحرب على الفقر* في البلاد. لماذا لا يزال العديد من المواطنين في هذه البلاد فقراء؟

كان برنامج ***الحرب على الفقر*** ناجحا إلى حدّ ما، لكنّه لم يقضِ على الفقر بشكل ملحوظ، لأنّه بدأ تيار اللِبرالية الجديدة بالصعود. أخذت الأمور تسير عكس ما جاء به ذلك البرنامج. بالمناسبة لم يقتصر هذ الأمر على الولايات المتحدة فقط. أصبح العالم بكامله رهينة لمشيئة اللِبرالية. في الحقيقة كانت أوروپا أكثر تطرّفا من الولايات المتحدة الآن. بدأ فرض التقشف خلال فترة الركود الاقتصادي لحدّ جعل صندوق النقد الدولي يقول بأنّ ذلك غير مقبول من الناحية الاقتصادية، وله نفس المؤثرات لتفكيك دولة الرفاهية، وهي أفضل ما حققته أوروپا في فترة ما بعد الحرب. لم يحبّذ عالم الأعمال ولا الأثرياء فكرة دولة الرفاهية، وأنّ دعوتهم للتقشف أعطتهم الفرصة للقضاء على مثل هذه الدولة.

لماذا هذا الهجوم على بطاقات الغذاء المجاني food stamps وقطع المعونات المخصصة للعمال العاطلين عن العمل؟ لماذا هذه الساديّة (التمتع بتعذيب الآخرين)؟

لا يقتصر الأمر على ذلك. لماذا الهجوم على نظام التأمين الاجتماعي social security؟ لماذا الهجوم على المدارس الحكومية العامة؟ كلّ شيء يجلب المنفعة وفي مصلحة العامة، يجب قطع تمويله، لأنّ هدف المجتمع يجب أن يكون في زيادة ثروة الأقوياء والأثرياء المتسلطين. كافة اتجاهات السياسة لها هذا المغزى الواحد. ما أشرت إليه بأنّه ساديّة، شيء مختلف عن ذلك قليلا، حسب اعتقادي. إنّ الهدف هو خلخلة الشعور بالواجب السائد وفكرة العناية بالآخرين، والقضاء عليهما. يجب أن تهتمّ بأمورك وأمور الأقوى منك، الذين تعمل في خدمتهم. نظام الضمان الاجتماعي وبطاقات تأمين الغذاء وغيرهما من الأمور الأخرى، تُعتبر حقيقة محاولات تخريبية.

لماذا يتوجّب عليّ أن ادفع ضريبة لتمويل المدارس؟ ليس لديّ اطفال يذهبون إلى المدارس. لماذا يجب عليّ أن ادفع ضريبة كي يذهب أبناء الجيران اليها؟ هذا ما يُسمّى اللِبرالية Libertarianism في الولايات المتحدة. هذه هي مذاهبها. لماذا أدفع لأمر لا أنتفع منه شخصيّا؟ لماذا يوجد ضمان اجتماعي؟ لماذا توجد بطاقات لتأمين الغذاء المجاني؟ يجب على هؤلاء أن يبحثوا عن عمل ويجدوه، كما فعلت أنا، رغم أنّني اتلقى الفوائد من دافعي الضرائب عن طريق النظام المالي.

كافة هذه المذاهب اجزاء من تركيبة واحدة. وهذا أمر يبدو لي مخالفا لكلّ ما آمن به ابطالهم. إنّ *آدم سمِث* والكِبار المؤسسين لِلبرالية الكلاسيكية قد شدّدوا على أنّ دوافع الفرد الأساسية تتمثل في التعاطف والدعم المتبادل. إنّ ما يُدعى اليوم لِبرالية هو العكس تماما، القضاء على كافة الأفكار التي يصفونها بالتخريبية.

تحلّ هذه السنة الذكرى الثلاثون لمقابلتنا الأولى. كان الموضوع يدور حول السياسة واللغة. أعتقد أنّك حاصل على الرقم القياسي في العالم من حيث عدد المقابلات التي تُجرى معك.

لا أعرف الرقم القياسي في العالم، ومن الصعب حقيقة أن أجد الوقت لألبي طلبات إجراء تلك المقابلات. في كلّ مساء أتلقى عددا من الطلبات لإجراء مقابلات شخصية.

حين تجلس للمشاركة في تلك المقابلات، هل تميل إلى دفع موضوع معيّن دون غيره؟

كافة الطلبات تأتي من جهات عديدة مختلفة. وما أحاول عمله بنجاح هو أن اترك الحكم على ما اقول للآخرين. احاول جهدي أن أحدّد الافتراضات، التي تمّ تقبّلها كحقائق مؤكّدة، فأثير حولها الشكوك واقترح فحصها ومواجهتها ووضعها موضع الإختبار.

ذكرت لي مرّة أنّ *آيمُس* Amos هو نبيّك المفضّل. ما الذي جعلك تميل إليه؟

أوّلا أنّ كلمة "نبي" غير دقيقة وتعني حقيقة "الشخص الواعي" intellectual، وليس له علاقة بالتنبؤ. ذكر *آيمُس* في مطلع اقواله أنّه ليس نبيّا ووالده لم يكن كذلك. "أنا ببساطة راع وفلاح".[38] ثمّ مضى يطرح افكارا وآراء عميقة جذبتني اليه.

هل الكلمة العبرية هي navi؟

نعم navi وتترجَم في العادة إلى كلمة "نبي،" لكنّ هذه الترجمة قاصرة وغامضة، ولا أحد يعرف ماذا تعني. الأشخاص على شاكلة *آيمُس* لم يتنبأوا بشيء، بل قاموا فقط بتحليلات جيو سياسية geopolitical وأدانوا الملوك الأشرار وهيكليات التسلط والقوّة ودعوا إلى الرحمة بالمظلومين والرأفة بالأرامل واليتامى. إنّهم يشبهون ما نسمّيه في ايامنا هذه مُفكّرين مُنشقين dissident intellectuals وعوملوا بسبب تلك المواقف الجريئة، فطوردوا وهام قسم منهم في الصحارى أو القي القبض عليهم فسُجِنوا وقُتِلوا.

من المفضلين عندي *إيليا* Elijah. كان ذا شخصية متفرّدة فقالوا عنه أنّه يهودي يكره نفسه. أطلق عليه الملك *آخاب* Ahab تلك الكنية، حين سأله "لماذا أنت كاره لإسرائيل؟" تعني عبارة "كاره إسرائيل" بأنّ الشخص يُدين الملك. هذا هو أصل الفكرة، ومثلها قول كاره أمريكا وكاره السوفيت. وإذا كنت حاكما شموليا، فأنت من يُعيّن ويقرّر مَن يتحكّم بالمجتمع والثقافة والمواطنين. وعليه إذا أدنت الحاكم، فمعنى ذلك أنّك ضدّ المجتمع.

أنت نفسك سمّوك "اليهودي الذي يكره نفسه"

لي الشرف أن أكون في صفّ *إيليا*، الذي عارض كافة الملوك الأشرار، الذين وردت أسماؤهم في التوراة.

في عام 1953 عشت أنت وزوجتك كَرَول في حقل تعاوني kibbutz في إسرائيل. ولبعض الوقت كنتما تفكّران بالإنتقال من الولايات المتحدة والعيش في إسرائيل. ما الذي حدث وجعلكما تغيّران رأيكما؟

كنّا هناك لبضعة أشهر فقط من عام 1953. كنّا حينها طلبة وشُجّعنا على قضاء العطلة الصيفية هناك. نعم، فكّرنا بالموضوع. كنت حصلت لتوي على وظيفة في MIT، ولذلك رجعت *كَرَول إلى* هناك وبقيتْ لفترة اطول. حين عادت إلى الولايات المتحدة، افترضت أنّنا سننتقل إلى إسرائيل. فكّرنا بالموضوع أكثر، لكنّنا لم نقدِم على تلك الخطوة فتخلينا عن الفكرة. ولا اعتقد أنّها كانت ستنجح حتى لو ذهبنا وبقينا فترة أطول.

كنّا نسكن في كيبوتز يساري التوجّه، يُعتبر مركزا للتواصل مع سكّان قرية عربية قريبة، في الحقيقة على الجانب الآخر من الطريق. كانت هناك أمور جيدة أحببتها، إلى جانب أخرى سيئة،

ولكنّ الأمور تغيّرت مع مرور السنين. أصبح ذلك الكيبوتز مركزا لحركة رجعية متطرفة، وما كان سيكون بمقدوري أن أظلّ هناك.

أتذكّر أنّك ذكرت لي وجود علامات ودلائل عنصريّة.

نعم وكانت قوية للغاية. دعني اعطيك مثلا. كان يسكن معنا في الكيبوتز مجموعة من الصبيان اليهود من أصل مغربي. علمت فيما بعد أنّ الدولة فصلتهم، في الحقيقة اختطفتهم، من أسرهم لدى وصول تلك الأسر إلى إسرائيل قادمة من المغرب. تكفلت الدولة برعايتهم وتنشئتهم وسمحت لأسرهم بزيارتهم خلال مناسبات معينة خلال السنة. كان بعض هؤلاء يعيشون معنا. كانت مصادر الكيبوتز محدودة وأماكن اقامتنا مزدحمة. أتذكّر أنّ بعض الآخرين قد نبهوني بأن "أقفل باب غرفتي جيّدا وأن آخذ الحذر من أولئك الصبيان المغاربة، فهم ليسوا سوى حفنة من المجرمين". هذا رغما عن أولئك الصبيان كانوا في غاية اللطف.

كنت أعمل مرة في الحقل والبستان المجاور له، في الحقيقة كنت أجني ثمار العنب. حدث شجار بين الصبيان وارتفع الصراخ والضجيج، فذهبت مسؤولة الإنتاج الزراعي في الكيبوتز صوب المكان لتستطلع اسباب الشجار. سألتها حين عادت عمّا جرى، فأخبرتني أنّ بعض صبيان الكيبوتز قد تنمّروا على الصبيان المغاربة. "أخبرتهم أنّهم ليسوا يهودا مغاربة، بل صبيان عرب جاءوا لزيارتنا من قرية مجاورة، وأنّنا يجب أن نحسن معاملتهم". لو كانوا صبيان يهودا مغاربة، فهناك إشكال!

كان هناك الكثير من هذه القضايا المشابهة. ذهبت مرّة في صحبة شخص أخذني معه إلى بعض القرى العربية المجاورة بغية الحصول على تأييد لحزبه السياسي في الانتخابات القادمة. كان رجل اعمال محلي، وكنت أعرف في حينها ما يكفي من اللغة العربية لأتابع احاديثه مع سكان تلك القرى، وكانوا لطيفين. أتذكر أيضًا الناس الذين يسكنون على الجانب الآخر من الطريق، الذي يفصلهم عن الكيبوتز. كانوا لطيفين أيضًا ويرغبون في تبادل السلع مع اعضاء الكيبوتز. لكنّ ذلك كان ممنوعا عليهم لأنّهم لم يستطيعوا عبور الطريق إلى حيث يوجد الكيبوتز. توجّب عليهم أن يحصلوا على ترخيص من الحاكم العسكري في مدينة حيفا، التي تبعد 20 ميلا. عندها ربّما يُسمح لهم بعبور الطريق والتعامل مع سكان الكيبوتز، علما بأنّ بعض أولئك السكان قد عارضوا ذلك، لكنّ الغالبية كانت تفضل مثل ذلك التعامل.

في مرّة أخرى كنت اعمل في الحقول بجنب شخص كبير السن من اعضاء الكيبوتز. شاهدت أكواما من الحجر، فسألته عن ذلك. لم يقل في البداية شيئا، لكنّه انتحى بي جانبا واوضح أنّ الموقع هو مكان قرية عربية كانت موجودة هنا وتمّ تدميرها بعد طرد سكانها عام 1948. قال إنّه شعر بذنب كبير لدى تدمير تلك القرية وتشريد أهلها، لأنّهم لم يرتكبوا عملا معاديا. "غير أنّ الدبابات العربية كانت على مبعدة ميلين، ولم نكن راغبين بالمجازفة".

ذكرت لي في مناسبة سابقة أنّ اليسار السياسي الإسرائيلي "قد اختفى من الوجود". هل يمكن أن توضح ذلك. في بعض الدوائر السياسية الأمريكية على الأقل، يوجد انطباع أنّ الحركة اليسارية في إسرائيل نابضة بالحياة للغاية. ماذا حدث؟

صحيح، كان هناك نشاط يساري نابض بالحياة، كما ذكرت، لكنّه فقد مركزه وتهاوى. ومع ذلك يوجد الكثير من الناس الخيّرين الشجعان، الذين ما زالوا ثابتين في مواقفهم لكنّ الحركة نفسها قد تبعثرت. من أفضل هؤلاء *أميره هاس*، وهي صحفية ممتازة تسكن الآن في رام الله، بعد أن سئمت البقاء والعيش في إسرائيل إطلاقا. العديد من اصدقائي المقرّبين كانوا يساريين ملتزمين بوجود إسرائيل، لكنّهم رحلوا. كانوا مولودين هناك، لكنّهم اضطروا إلى المغادرة، لأنّه لم يعد باستطاعتهم تحمّل الموقف.

لقد تحوّل البلد إلى اليمين المتطرف. في الحقيقة أنّ ما حدث في إسرائيل يشبه إلى حدّ كبير ما حدث في جنوب إفريقيا. باستطاعتك العودة إلى قراءة التاريخ، ولنقل منذ بداية ستينات القرن الماضي حتى وقتنا الحاضر ورفعت إسم "جنوب إفريقيا" ووضعت مكانه "إسرائيل" لوجدت أنّ الأمر متشابه تماما.

نحن نعرف أنّه منذ الستينات، وقد اطلعنا على الأمر بعد أن تمّ رفع السريّة عن الوثائق الحكومية، أن اتّصل وزير خارجية جنوب إفريقيا بالسفير الأمريكي واخبره أنّ نظام بلاده القائم على التفرقة العنصرية "مُدان حول العالم، واصبح منبوذا. نحن نعلم أنّنا على حقّ، لكنّهم لا يفهمون ذلك. لقد صوّتوا ضدّنا في الأمم المتحدة. لكنّ ذلك لا يعنينا في شيء، لأنّه يوجد صوت واحد فقط هو الأهمّ في نظرنا، وهو صوت بلادكم. أنت وأنا نعرف ذلك جيّدا. ما دمتم تقفون دعما لنا، فالأمر لا يهمّ ولا يعنينا ماذا يعتقد العالم برمّته عنّا".[39]

وهذا صحيح. كانت توجد في الستينات حركة في إنگلترا معادية لنظام الفصل العنصري. لكنّ الولايات المتحدة استمرت في دعم ذلك النظام، و*رَيگِن* بالذات، الذي كان علناعنصريّا للغاية، رفض قبول وجود اتجاهات عنصرية في جنوب إفريقيا. في رأيه أنّ الأمر لم يتعدّ كونه خلافات وحروب قبلية بين **قبائل الزولو** والسكان البيض، الذين اشتبكوا معهم بسبب صراعات قبلية.

كان الأوروپيون الذين استوطنوا جنوب إفريقيا يحاولون اشاعة الذعر وفرض سيطرتهم على سكان البلاد الأصليين وعلى سكان المناطق المجاورة لخلق انظمة موالية لهم. ارتكبوا المجازر واعتدوا على سكان أنگولا كما احتلوا بشكل غير شرعي ناميبيا ومارسوا عمليات القتل المنتظمة في موزمبيق. كلّ هذا و*رَيگِن* وصاحبته *مارِگَرَت ثاچر*، رغم كونها أقلّ تعصّبا منه، وقفا معا يدعمان نظام الفصل العنصري اليميني حتى النهاية. في الحقيقة استمرّ *رَيگِن* يدعم المنظمة الإرهابية ***يونيتا*** في أنگولا حتى بعد انسحاب القوات العنصرية لحكومة جنوب إفريقيا.

فقد ذلك النظام شرعيته تماما في الثمانينات، وخرجت إلى العلن في الغرب نشاطات وحركات ومطالبات بالمقاطعة وفرض العقوبات الاقتصادية عليه. حتى الكونگرس وافق على فرض تلك العقوبات، لكنّ *رَيگِن* رفضها واستعمل حقّ النقض لإيقاف مفعولها.[40] أنا متأكّد أنّك تعرف أنّ حزب المؤتمر الوطني الأفريقي ANC كان مدانا رسميا واعتبرته الولايات المتحدة حركة إرهابية "سيئة السمعة" حتى بعد موعد اطلاق سراح *مَندَلا*، علما بأنّ اسم الرجل استمر على قائمة الإرهاب حتى عام 2008. تطلب الأمر تشريع قانون جديد من قبل الكونگرس لإسقاط تلك التهمة عن *مَندَلا* ورفع اسمه من قائمة الإرهابيين.[41]

وفي النهاية فقد نظام الأپارتهايد العنصري وانصاره قضيتهم، والسبب في ذك كوبا، رغم أنّ هذا موضوع لا نأتي على ذكره على مستوى الإعلام في الولايات المتحدة. لو تتذكر أنّ *نِلسُن مَندَلا* حين اطلِق سراحه من المعتقل، كانت كلماته الأولى في مديح *فيدِل كاسترو* والكوبيين باعتبارهم إلهاما للأفارقة، وقدّم لهم الشكر للدور الهام الذي قاموا به في تحرير إفريقيا ووضع نهاية لنظام الأپارتهايد في جنوبها.[42] أوّلا، كان الكوبيون هم من اخرجوا قوات جنوب إفريقيا العنصرية من أنگولا، واجبروا شراذمها على مغادرة ناميبيا والفرار منها أيضا.[43] ثانيا، أكّد *مَندَلا* أنّ تلك العمليات كانت نصرا نفسيا للسود وأنّ بإمكانهم أن يقضوا على خرافة الرجل الأبيض ويدحروا قواه الخفية.

لو تأملت هذا جيّدا للاحظت أنّها خرافة تشبه تلك التي اختلقها الإسرائيليون لجيشهم الذي لا يُقهر في سوح القتال، رغم أنّ الهزيمة قد حلت به وبخرافته بعد سنوات (في جنوب لبنان). في مطلع السبعينات، كان على إسرائيل أن تتخذ قرارا هامّا. في الحقيقة جاء ذلك في عرض لقبول معاهدة سلام دائم مع مصر في عام 1971.

من قبَل انور السادات

في الأساس، معاهدة سلام شامل وتطبيع للعلاقات بين البلدين، إذا انسحبت إسرائيل من اراضي سيناء المصرية المحتلة. رفضت إسرائيل هذا العرض مبدأيّا.[44] كانت لديهم خطط كبيرة أن يستوطنوا ويطوّروا سيناء المصرية، وفي نفس الوقت يطردوا سكانها البدو ويَبنوا مدن يهودية وكيبوتزات. قرّروا أن يفضّلوا التوسّع على مسألة الأمن. إنّ معاهدة سلام مع مصر، القوّة العسكرية الوحيدة في العالم العربي، تعني أمنا كاملا. كان ذلك القرار مصيريّا.

ولو راجعنا التاريخ منذ ذلك الحين، فإننا نجد نفس قصة جنوب إفريقيا، الاستمرار في التوسّع ورفض الدبلوماسية يؤدّيان إلى العزلة. لقد اتخذت إسرائيل نفس الموقف الذي اتخذته الحكومة العنصرية في جنوب إفريقيا، لا يعنينا رأي العالم في شيء. نحن على حقّ والجميع على باطل. إنّهم معادون للسامية، ولا يهمّنا إن كانوا جميعا ضدّنا، ما دامت الولايات المتحدة تقف في صفنا.

لقد علقت حينها بأنّ المتحمّسين لدعم إسرائيل، هم في الواقع يعملون على تدميرها.

قلت ذلك منذ فترة السبعينات، حين اتخذوا قراراتهم بمواصلة التوسّع بدلا من الأمن والدبلوماسية. الآن هم قلقون بعمق حول ما يسمّونه "نزع الشرعية". انتقد *بنيامين نِتنياهو* بشدة *جون كَري*، لأنّه اشار إلى حقيقة أنّ الأوروبيين بدأوا بمقاطعة منتجات المستوطنات غير القانونية.[45] أعاد *نِتنياهو* إلى الأسماع اسطوانة معاداة السامية. وهذا يشابه أيضًا ما جرى في جنوب إفريقيا حين بدأ العالم بمقاطعتهم.

توجد الآن حركة باسم (الشفرة الوردية) في هذه البلاد، تهدف إلى مقاطعة منتجات التجميل الإسرائيلية، التي يجري صنعها في الضفة الغربية المحتلة.

نعم، توجد نشاطات من هذا القبيل، لكنّ حركة المقاطعة أقوى في أوروپا. فمثلا قام أحد المصارف الهولندية بإيقاف تعامله مع مصرف هاپوآليم Bank Hapoalim لأنّ للبنك المذكور فروع في المستوطنات الإسرائيلية.[46] كما أقدم الإتحاد الأوروپي على اتخاذ قرارات، لا أعرف إن كانوا بدأو تنفيذها، برفض أيّة اتصالات مع المؤسسات الإسرائيلية، التي تدعم تلك المستوطنات.[47] إنّ "نزع الشرعية" يتوسع، وهنا أيضًا إلى حدّ ما.

إنّ أولئك المدافعين عن إسرائيل يقولون إنّ البلد قد عومل بطريقة غير عادلة وازدواجية، إلى غير ذلك. هل تعطي لمثل هذه الإعتراضات أيّة مصداقية؟

ذلك بالضبط ما ردّده انصار النظام العنصري في جنوب إفريقيا، وكانوا يصرخون لماذا هذه الإزدواجية مع الأپارتهايد؟ إنظروا إلى الفظائع التي ترتكبها الصين. في الحقيقة لو رجعت إلى الحقبة السوفيتية لوجدت المنشقين يثيرون انتقادات مشابهة، فترد الحكومة لماذا تنتقدون ما نقوم به في چيكوسلوفاكيا؟ انظروا ما تفعله الولايات المتحدة في قارة أمريكا الوسطى، إنّه يفوق ما نقوم به في چيكوسلوفاكيا. كانت تلك حجّة الذين يدعمون تلك الأعمال الفظيعة.

هناك اسباب وجيهة واضحة لتوجيه النقد للحكومة الإسرائيلية والتدقيق بما تفعله. نعم توجد اشياء فظيعة في أماكن أخرى من العالم، لكنّنا ندعم إسرائيل ماليا وعسكريا وسياسيا، ونساعدها للقيام بتلك الفظائع وتنفيذها.

وكيف ذلك؟

أوّلا، نقدّم لهم دعما ماليا قيمته 3 بلايين دولارا سنويّا. في الحقيقة يصل المبلغ إلى ضعف ذلك حين تدخل في تفاصيل تلك المساعدة واساليب تنفيذها. وهناك الدعم السياسي واستخدام أمريكا لحقّ النقض في الأمم المتحدة بغية حماية إسرائيل، وهو شيء يشابه ما قام به رَيگِن لدحض قرارات مجلس الأمن الدولي، التي تدين حكومة جنوب إفريقيا العنصرية. ثمّ هناك علاقات قوية حميمة بين العسكر في أمريكا وفي إسرائيل. وهي علاقات تفوق جدّا ما كان بين عسكر أمريكا وعسكر النظام العنصري في جنوب إفريقيا. تستطيع إسرائيل فعل ما تشاء لأنّ الولايات المتحدة تقف خلفها وتساندها وتتبنى سياساتها.

سبب التركيز على إسرائيل هو في الحقيقة تركيز على انفسنا. نتوقع في إيران أن يرفع المنشقون اصواتهم ضدّ الحكومة احيانا، لكنّ هذا "ممنوع" في أمريكا أن نتعرّض لجرائم إسرائيل. في الصين نتوقع أنّ *آي ويوي* يتحدث عن الأحوال في الصين، وليس عنها في الكونگو. أتوقع أنّ المفوضيين الدوليين يرون في الأمر ازدواجية double standard مفضوحة. لكنّ السبب واضح وهو نفسه. نحن نحترم المنشقين في البلدان الأخرى، خاصة حين يركّزون على الجرائم التي يرتكبونها. لكنّنا هنا غير مسموح لنا أن ننظر في مثل جرائم اصدقائنا وتجاوزاتهم.

ماذا تعتقد بشأن حركة المقاطعة وعدم الاستثمار وفرض العقوبات BDS على إسرائيل؟

من الملفت للنظر في حالة جنوب إفريقيا، أنّه لم تكن هناك حركة BDS. كانت التكتيكات بشكل عام ناجحة للغاية في تحقيق اهدافها. فمثلا استهدفت المؤسسات التعليمية والسياسات العنصرية التي اتبعتها في التوظيف. استُهدفت أيضًا الفرق الرياضية لأنّها لم تفتح المجال أمام السود للمشاركة.[48] وبشكل عام قوطعت منتجاتها إذا كانت الشركات تدعم نظام الأپارتهايد. كانت هناك إدانة شاملة للطريقة التي عومِل بها العمال السود والقيود المفروضة على مناطق سكناهم، باندوستانزوغيرها. كانت تلك الإجراءات جميعا فعالة. أضف إلى ذلك، أنّ الأمم المتحدة فرضت منعا على تصدير السلاح إلى جنوب إفريقيا.[49] (بخلاف الحال مع إسرائيل وتزويدها بأفضل السلاح الأمريكي سنويا.) لكنّه لم تكن توجد حركة BDS.

هنا وفي الأغلب أعني الولايات المتحدة، توجد حركة غامضة للغاية. وهي حركة لا تميّز بين الأشياء التي تقوم على مبادئ وذات فعالية، مقارنة بالنشاطات التي يشعر الفرد فيه بالرضا عن نفسه فيندفع للمشاركة. وهذه غير فعالة وفي الغالب تعود بالضرر. مثلا مقاطعة المنتجات التي تأتي من المستوطنات ونشاطات البحوث التي تجري بالتعاون مع تلك المستوطنات، وكلّ شيء يتعلق بالمستوطنات اللاشرعية، أمور منطقية تماما. هذه امور يمكن فهمها وتدفع القضايا إلى العلن وتضرب على وتر حسّاس لفضح الاحتلال اللاشرعي وممارساته. وهو نوع من "نزع الشرعية" الذي تخشاه إسرائيل، خاصّة قيام التظاهرات ضدّ وجود المستوطنات.

ولكن من جهة أخرى إذا بدأت الاحتجاج على التميز العنصري داخل إسرائيل، وهو بطبيعة الحال موجود، لكنّ مثل هذه الاحتجاجات لا معنى لها. ماذا لو تأملنا الوضع في الولايات المتحدة؟

هل يجب مقاطعة جامعة هارفرد بسبب وجود اعداد كبيرة من السود المعتقلين في السجون؟ إضافة لكون مثل هذه الاحتجاجات تفتقر إلى المعنى وفارغة المحتوى، فإنّها أيضًا ذات تأثير معاكس.

صوّت إتحاد الدراسات الأمريكية ASA لمقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية.[50]

التأثير المباشر المتوقع تماما هو ردّ فعل كبير، "هذا معاداة للسامية. يجب أن نساند إسرائيل".

وبطبيعة الحال، فإنّ أمرا كهذا لا يساعد الفلسطينيين ولا قضيتهم إطلاقا. حين تكون ناشطا سياسيا، يجب أن تفكر بالناس الذين تدافع عن قضيتهم، وليس فقط شعورك بالرضا عن نفسك من خلال المشاركة بأيّ نشاط. هذا أمر مبدأي. ليس كلّ نشاط تقوم به لترضي نفسك سيكون مساعدا للضحايا، الذين تعتقد أنّك تدافع عنهم. بعض تلك النشاطات تكون ضارة بهم وبمصالحهم. حين تنظمّ إلى حركة BDS ستكون عرضة للمشاكل، لأنّ الحركات لها قيادات يتوجّب عليك أن تتبعهم وتردّد ما يقولون، إلى غير ذلك. تصبح القضية خليطا من أمور عدة. قد تكون بعض التكتيكات فعالة وذات معنى وفي نهاية الأمر تساعد الضحايا. لكنّ بعض تلك التكتيكات قد تجلب المخاطر ويتوجب عليك أن تنظر وتميّز الفروق بينها.

لنأخذ على ذلك مثلا في احتجاجات فيتنام. بإمكان الفرد أن يفهم اسباب غضب الشباب الأمريكيين وشعورهم باليأس في اواخر ستينات القرن الماضي، وهو ما دفعهم للتظاهر في شوارع المدن الرئيسية وتحطيم زجاج واجهات المحلات التجارية. كان الفيتناميون غير مرتاحين من تلك التصرّفات بشدة. كانوا يعرفون أنّ التظاهرات في الشوارع وتكسير زجاج واجهات المحلات التجارية، سيخلقان موجة معاكسة لدى مساندي تلك الحرب.

كانت تكتيكات المدنيين الفيتناميين في حينها ضدّ الحرب خفيفة، وكانت محلّ سخرية حركات الاحتجاج الأمريكية. اتذكّر جيّدا أنّني كنت في اجتماع عبّر فيه الفيتناميون عن اعجابهم بوقفة مجموعة من النسوة الأمريكيات قرب لحود ذويهن في مقبرة تعبيرا عن حزنهن لمصرع الجنود الأمريكيين. كان من الصعب أن يتقبّل الناشطون الأمريكيون مثل هذا النوع من الاحتجاجات، لكنّ الفيتناميين ما كان يعنيهم أن يشعر المتظاهرون الأمريكيون بالرضا عن انفسهم. كانوا يريدون لتلك الحرب أن تتوقف. إذا لم تفكّر بهذا الأمر، فيجب ألّا تعتبر نفسك ناشطا ملتزما.

هذه هي الأمور، التي يجب على الفرد أن يتذكّرها على الدوام. ما هي التأثيرات الناجمة عن التظاهرات، خاصّة العنيفة منها؟

بعث لي أحد المستمعين قولا مُقتبسا عن هَوَرد زِن ورد فيه، "حين تتضاعف النشاطات الصغيرة من قبل الملايين من المواطنين، فإنّها ستستطيع تغيير العالم".[51]

نعم، ذلك هو المغزى المهم في كافة اعماله، وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك. فمثلا في عام 1960 جلس ثلاثة طلبة سود حول مائدة مطعم لتقديم الوجبات الخفيفة في مدينة گرينزبُرو في ولاية كارُلاينا الشمالية. وكما هو متوقع، طُردوا من ذلك المطعم والقي القبض عليهم. كان يمكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ. لكنّ المزيد من الطلبة السود حضروا في اليوم التالي إلى نفس المطعم، مِمّا نجم عنه طردهم واعتقالهم أيضا. ثمّ جاءت منظمة فريدم رايدرز ولجنة الطلبة لتنظيم الاحتجاجات السلمية SNCC. وهكذا بسرعة وُلِدت حركة واسعة للمطالبة بالحقوق المدنية. إنّ الأعمال الشجاعة لأولئك الطلبة في گرينزبُرو كانت عاملا مهما في حركة الاحتجاج السلمي. لم يضع جلوسهم في ذلك المطعم نهاية للممارسات العنصرية، لكنّه حقق الكثير.

ما هي بعض التكتيكات لكسر جدار ما يُسمّى التصرفات الحكيمة؟

الخطوة الأولى هي تطوير عقلية منفتحة ناقدة تأخذ المذاهب الشائعة والمقبولة وتبدأ بإثارة الأسئلة حولها. هل أنّ الولايات المتحدة ملتزمة بالديمقراطية؟ هل أنّ ايران هي فعلا أكبر خطر على السلام العالمي؟ هل لدينا حقيقة نظام اقتصادي للسوق الحرّة؟ هل تحاول مؤسسات العلاقات العامة تأمين الخيارات المتعددة أم تحدّ منها؟ لو أخذت أيّا من هذه القضايا، وسألت نفسك، هل هذا صحيح؟ المعيار الجيّد هو أنّه إذا كانت بعض المذاهب مقبولة بدون أسس، فإنّها ربّما تكون مذاهب فيها عيب أو عطب. وعليه، حين تقوم باتخاذ الخطوة الأولى وتكون مستعدّا لمواجهة العقائد السائدة، سيكون باستطاعتك أن تتفهم العالم من حولك بطريقة أفضل وتبدأ النظر إليه بعيون مفتوحة. وبعد ذلك يجب أن تنضمّ إلى الآخرين. ليس باستطاعتك أن تحقق شيئا بمفردك. وإذا رجعنا إلى تعليق هَوَرد زِن، فإنّ الإنضمام إلى الآخرين هو لغرض القيام باعمال صغيرة توقد الشرارة وتحقق النجاح، كما حدث في الماضي. لا شيء يمنع أن يحدث هذا في المستقبل.

لو رجعنا إلى انظمة القوة وحين تتعرض لأيّة ضغوط، فإنّها تطرح بعض الإصلاحات. وهذه إلى حدّ كبير ليست سوى علاجا وهميّا فارغا. أخبرتني منذ سنوات أنّني إذا سمعت كلمة "إصلاح"، فإنّه يجب أن أتحسّس محفظة نقودي، لأنّ شخصا ما يحاول أن يسرقها منّي.

كلمة "إصلاح" كلمة متكرّرة. وكغيرها من اغلب العبارات المستعملة في الأدبيّات السياسية، يجب أن نتفحّصها جيّدا لنفهم معناها الحرفي ونميّزه عن معناها في السياق السياسي. "الإصلاح" في العادة يعني عمل شيء تقرّه سلطة القوّة. التغيّرات التي لا تنسجم مع إرادة تلك القوة لا تسمّى إصلاحات. وعليه لا يمكن أن تطلق على برامج *ماو* الجماعية "إصلاحات". ولكن من جهة أخرى بالإمكان كيل المديح لحكومة المكسيك و"إصلاحاتها" لأنّها فتحب ابواب صناعة النفط أمام استغلال الاحتكارات العالمية، بدلا من إدارتها من قبل المكسيكيين.[52] و"الإصلاح التربوي" يشير إلى الإجراءات التي تُتخَذ لتقويض نظام المدارس الحكومية في الولايات المتحدة. وعليه يجب أن نأخذ جانب الحذر حين نستخدم هذا المصطلح.

من جهة أخرى، يجب ألّا يقودنا هذا إلى إغفال حقيقة أنّ الإصلاحات، التي تفرضها انظمة القوة بسبب الضغوط الشعبية، قد تحسّن احيانا الظروف وتعني حرفيا "إصلاحات". يمكن أن يحدث هذا في ظلّ إدارة محافظة أو إدارة لِبرالية. لنأخذ على ذلك مثل رِچرد *نِكسُن*. تمّ في عهده إقرار تشريعات هامة للغاية حين أسس وكالة حماية البيئة وإدارة الصحة والسلامة المهنية. كما جعل ائتمان ضريبة الدخل ساري المفعول، والذي يُعتبر من أهم برامج الرعاية الاجتماعية. لم تُنجَز كافة هذه الإصلاحات لأنّ *نِكسُن* كان رجلا لطيفا، لكنّها إصلاحات هامة. لم تكن ثورية في طبيعتها ولم تغيّر هيكل مؤسسات الدولة، لكنّها عدّلتها من أجل تأمين حياة أفضل للمواطنين.

دعنا نغيّر الموضوع. تعجبني زاوية الكلمات المتقاطعة المنشورة في الصحف والمجلات. بودي أن أعرف إن كنت حاولت حلّ الإحجيات، التي فيها.

أبدا.

هل تعرف أنّهم يضعون إسمك ضمن هذه الإحجيات، التي تنشرها صحيفة نو يورك تايمز؟ يشيرون اليك دائما باسم "اللغوي *تشومسكي*" ودائما يكون الجواب الصحيح من 4 حروف.

بودي أن اعرف ذلك.

من الملفت للنظر أنّهم لا يشيرون اليك بالقول، "المنشقَ تشومسكي" أو "الناقد الاجتماعي تشومسكي".

آه، أعرف ما تعني. لفتت *كَرول* انتباهي لذلك، لأنّها تحبّ عمل تلك الإحجيات. أعتقد أنّها طريقة عقيمة لمضيعة الوقت.

يمكن للمرء أن يتعلم منها شيئا. قرأت فقرة إحداها قبل فترة قصيرة، وبودي أن اعرف إن كنت قادرا على حلّها. "من هو الفيلسوف الذي كتب أنّه من الصعب كسر اصفاد الحمقى، إنْ كانوا يُقدّسونها".

أعتقد أنّ هذا ورد على لسان العديد من الناس.

تعود تلك الكلمات إلى *فولتَير*.

هذا أمر مثير للاهتمام. ولكن باستطاعتك أن تتعلم كثيرا وبسهولة لو تصفحت قليلا كتابا جِدّيّا.

الحوار الرابع
داعش والأكراد وتركيا

كَيمبرِج، ماسَچوسِت 26 أيلول 2014

يشتعل الشرق الأوسط لهيبا امتدادا من العراق حتى ليبيا، وتظهر بين الفينة والفينة جماعات جهادية بمسمّيات مختلفة. ينصبّ التركيز في الوقت الحاضر على الدولة الإسلامية، أو ما يُسمّى داعِش ISIS. هل يمكن أن تحدثنا عن داعش هذه، وما هي أصولها؟

توجد مقابلة هامة اجريت مع *گرام فُلَر*، الضابط السابق في وكالة المخابرات المركزية CIA. وهو واحد من ابرز المحللين فيها لقضايا الشرق الأوسط بشكل عام.[53] عنوان المقابلة هو، "الولايات المتحدة وخلق داعش". يُسرع *فُلَر* إلى الإشارة بأنّ الولايات المتحدة لم تخلق داعش حرفيا وبشكل مقصود ودفعتها للوجود ووفرت لها التمويل الكافي. إنّ فكرته، وأعتقد أنّها فكرة صائبة، هي أنّ الولايات المتحدة قد هيأت الظروف لولادة داعش وتطوّرها.

أوّل تلك الوسائل هي استخدام المطرقة الحديدية المألوفة، بأن تحطّم كافة ما لا يعجبك. في عام 2003 غزت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق، فكانت تلك هي الجريمة الكبرى. لقد كان العراق حقيقة قد خُرّب قبل ذلك، أوّلا عن طريق حرب مدمّرة مع ايران امتدت تقريبا عقدا من الزمن، ساندت فيها الولايات المتحدة حكومة العراق. ثمّ اعقبت ذلك حقبة من المقاطعة الاقتصادية الرهيبة التي فُرِضت على البلد، والتي شجبها دبلوماسيان محترمان عالميّا بعد أن أشرفا عليها، ومن ثمّ قدّما استقالتيهما احتجاجا بسببها.[54] لقد دمّروا مجتمعا مدنيا وزادوا من قوة الدكتاتور وبطشه وارغموا الشعب أن يعتمد عليه للحصول على القوت اليومي من أجل البقاء. واخيرا وفي عام 2003، قرّروا غزو البلد والحاق الخراب الشامل به، الذي اعاد إلى اذهان العراقيين ذلك الذي

اوقعه المغول في عاصمتهم قبل 1000 عاما تقريبا. قُتِل أثناء الغزو والاحتلال مئات الآلاف واصبح الملايين منهم لاجئون ومشرّدون عن مناطقهم الأصلية. أضف إلى ذلك تدمير الثروة الأثرية (ونهب المتحف العراقي) وتبديد الثروة الاقتصادية للبلاد.

من نتائج هذا الغزو والاحتلال، ايقاع التفرقة المذهبية والقومية وإذكائها بين المواطنين. لو نظرت إلى خارطة بغداد، ولنقل في عام 2002، لوجدت أنّها نسيج متكامل، حيث يعيش السنة والشيعة والأكراد في نفس الحارات، وكان التزواج بين كافة المجموعات العرقية والمذهبية مسألة قائمة وعاديّة. في الحقيقة، أنّ العراقيين لم يعرفوا احيانا إن كان الجار سنيّا أم شيعيا. شيء يشابه عدم معرفة الجيران في الحارات الأمريكية، إن كان الجيران والأصدقاء من اتباع مذهب البروتستانت أم الكاثلِك أم غيرها. بالتأكيد، أنّه كانت هناك اختلافات بين العراقيين، لكنّها لم ترقَ إلى حدّ العداوة والصدام والقتل. في الحقيقة أنّ اتباع كلي المذهبين كانوا يرددون القول بأنّه، "لا توجد حزازات سنّية شيعية، لأنّ الأسر مختلطة في طريقة معيشتها وحارات سكنها، إلى غير ذلك". ولكن بحدود عام 2006، قامت حرب مذهبية في كافة المناطق، وانفصل السنة عن الشيعة وعن الأكراد، في مناطقهم وامسكوا بتلابيب بعضهم البعض.

برزت إلى السطح ديناميكية طبيعية لمثل هذه الصراعات، التي تصبح في العادة تحت قيادة المتطرفين وتوجيهاتهم. تعود هذه الصراعات أصلا إلى جيران العراق جنوبا وشرقا، من الذين يتحالف بعضهم مع الولايات المتحدة. فبرزت نشاطات متطرفة راديكالية تدعو لتأسيس دولة إسلامية، تحكم العالم وتطبق عليه الشريعة. وهذه لا تقلّ عن تطلعات جيران العراق شرقا، التي تبدو عند المقارنة بأنّها مجتمع حديث متسامح. لم يكن ذلك أكثر وضوحا من شيوع السلفية والتطرف، اللذين أخذا على عاتقهما مهمة الدولة التبشيرية. لقد توفر لهذه الجماعات المزيد من الثروة والأموال لنشر هذه المذاهب في المنطقة وتزويد أئمة المساجد ورجال الدين بالأموال وتأسيس المدارس وبناء المساجد لنشر المذاهب السلفية، إمتدادا من باكستان حتى شمال إفريقيا.

لقد خرج داعش من رحم أشدّ المناطق تطرفا وتلقى الرعاية والدعم من عدد من الدول الغنية والأسر الثرية، التي وضعت نصب عينها مساعدة الفئات الجهادية، فبدأت هذه الجماعات تظهر متزامنة في عدة مناطق وبمسمّيات مختلفة. لكنّها من الناحية السياسية كانت وليدة الصراعات الجديدة التي انبثقت نتيجة تدمير الولايات المتحدة للعراق. وهو التدمير الذي امتد أثره فشمل

المناطق الأخرى. هذا حقيقة هو ما قصده *فُلَر* حين ذكر بأنّ الولايات المتحدة، هي التي خلقت داعِش.

من المؤكّد أنّ الصراعات حين تتطور، تصبح أكثر تطرفا. وإذا افترضنا جدلا أنّ الولايات المتحدة قد اضطرّت لتدمير داعش المتمرّدة، فكن على ثقة من ولادة مجموعات أكثر تطرفا ممّا نشهد الآن.

في كتابك "إصطناع الإتفاق" Manufacturing Consent، أشرت إلى أنّ النظام الدعائي سيستمر في تصوير الشعوب المضطهَدَة بأنّها شعوب ولايات معادية، تستحق أن تكون ضحية. وحين تعامل الدول الصديقة بالمساواة ويتعرض مواطنوها لبطش اكبر من قبل حكوماتها وحكّامها، يصبح أولئك المواطنون لا قيمة لهم".[55] ثمّ تعطي مثلا على ذلك الأكراد في العراق وفي تركيا.

اصبح الأكراد في العراق ضحايا لسياسات أمريكا في فترة السبعينات، حين تخلت عنهم لصالح *صدام* حسين وترضية *لشاه إيران* في عام 1974. كانت الولايات المتحدة تقدم الدعم للأكراد الثائرين ضدّ حكومة بغداد. وفي السنة التالية، توصل العراق وايران إلى تسوية خلافاتهما بموجب اتفاق الجزائر، فانسحبت أمريكا من الميدان وتركت الأكراد في العراق تحت رحمة *صدام* فاصبحوا ضحايا قسوته المعروفة. حين سُئِل *هَنري كِسِنجَر*، كيف حصل ذلك واطلقت يدا *صدام* ليعمل ما يشاء، قال عبارته الشهيرة، "يجب رفع الإلتباس ما بين العمليات السريّة والمهام الخاصّة".[56]

كان *صدام* خلال فترة الثمانينات حليفا رئيسيّا للولايات المتحدة، فقدّمت له المساعدات والدعم في حربه ضدّ إيران. تمّ رفع اسمه من قائمة الإرهابيين عام 1982، كي تستطيع الولايات المتحدة تأمين كافة اشكال المساعدة والعون. وكما نعرف، فإنّ قواته بدأت تشنّ حملات عنيفة ضدّ الأكراد. وفي نفس الوقت قامت الإدارة الأمريكية وعلى رأسها *رَيگِن* نفسه بتكميم الأفواه وإفشال أيّة جهود لانتقاد تلك الهجمات الشرسة. ثمّ ظهر علينا جهاز الإعلام التابع للپنتگون بكذبة صفيقة مفادها أنّ إيران هي المسؤولة عن **مذبحة حلبچة** حين تعرّض سكانها للهجوم بالأسلحة الكيمياوية الفتاكة، والذي شمل قرى أخرى وفق ما سُمّيت حينها **عمليات الأنفال**، وغيرها من الممارسات الإجرامية الفظيعة.[57]

استمرت مساندة *صدام* بعد تولي الرئيس المنتخب جورج *بُش الأب* مقاليد السلطة وقيل عنه أنّه سياسي بارع بخلاف ابنه، المخبول، جورج *دبليو*. كان *صدام* محبوبا قريبا لقلب *بُش الأب*، لحد أنّه نقض اعتراضات وزارة المالية لغرض تزويد العراق بالمحاصيل الزراعية، التي كان صدام بأمسّ الحاجة اليها، لأنّ أعماله العسكرية قد دمّرت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في المناطق الكردية.[58]

في شهر أغسطس من عام 1990 أقدم *صدام* على ارتكاب أكبر حماقاته السياسية وتهوّره، حين تمرد على أوامر الحكومة الأمريكية، ولربّما الأصح سوء فهم تلك الأوامر، وغزا الكويت واحتلها. كان ردّ فعل هذه الخطوة صدمة قوية للبيت الأبيض. أدرك *صدام* فداحة خطأه على الفور وبحث عن منفذ للخروج من الورطة، لكنّ الإدارة الأمريكية لم تكن معنية بعرض الإنسحاب. كانت تريد طرد قواته مرغمة عسكريا، وليس انسحابا تحت جنح الظلام. وهذا هو الذي قاد إلى حرب العراق الأولى.[59]

فرضت الولايات المتحدة سيطرتها على المنطقة بعد أن فرغت من الحرب، وتُرِك *صدام* بالكاد متشبثا بالسلطة. غير أنّ الشيعة انتفضوا للإطاحة بالنظام بعد أن نالت قواته هزيمة ساحقة في الكويت. لكنّ الأمريكيين سمحوا له بأن يشن هجمات كبيرة على مناطق الشيعة المنتفضين في جنوب العراق باستعمال الطائرات المروحية، تحت سمع وبصر القوات الأمريكية، التي أتخذت موقف المتفرّج ولم تتدخل لإيقاف المجزرة، التي حلت بالمنتفضين. وهكذا كان له ما أراد فسحق الإنتفاضة بقسوة لامتناهية.[60]

بعد أن استكمل *صدام* سيطرته على محافظات الجنوب المنتفضة، استدار نحو الأكراد في الشمال العراقي. لكنّ الحكومة الأمريكية سارعت هذه المرة لحمايتهم من سطوته. وفجأة تغيّرت صيغة التقارير الواردة من شمال العراق بعد أن وصل الصحفيون الغربيون إلى تلك المنطقة. لربّما تتذكّر نقل تقارير التلفزيون، التي احدثت صدمة حين ظهر الأطفال ذوو العيون الزرق والشعر الأشقر، الذين يشبهون إلى حدّ ما معالم اطفالنا في الغرب. لم نستطع تحمّل تلك الصور فانطلقت صرخات الشجب والاستنكار عالية. وهوالأمر الذي اضطر في النهاية *بُش الأب* لفرض منطقة آمنة للأكراد. بدأت طائرات سلاح الجو الأمريكي والبريطاني تسييّر دورياتها على مدار الساعة لمُنِع

الطيران العراقي من الوصول إلى المنطقة الكردية وحرّمت على الأرتال العسكرية أن تتوجه نحوها. وهكذا فتِحت صفحة جديدة في تاريخ علاقات الأكراد بأمريكا.

في نفس الوقت، أي خلال فترة تسعينات القرن المنصرم، اشتدت سطوة القمع التركي للأكراد. قُتِل منهم عشرات الآلاف وتعرض ما يقارب من 3500 قرية ومدينة صغيرة للتدمير، مِمّا نجم عنه تشريد حوالي مليوني شخص كلاجئين.[61] تعرّض الأكراد إلى شتى صنوف التعذيب والإضطهاد بسبب الهجمات البشعة ضدّهم. جرى كلّ ذلك بدعم كامل من قبل الحكومة الأمريكية، علما أنّ حوالي 80% من اسلحة تركيا وطيرانها وآلياتها وعتادها العسكري أمريكية الصنع، وزوّدت بها الحكومة التركية بشكل منتظم.[62] في الحقيقة، أنّه حين اشتدت حدّة الفظائع ضدّ الأكراد، ازدادت كميات الأسلحة تدفقا على انقرة، فوصلت قمتها في عام 1997. وهي السنة، التي زوّدت بها إدارة *كلِنتُن* تركيا بأسلحة تفوق كمياتها مقدار ما زوّدت به خلال فترة الحرب الباردة بكاملها.[63]

رفضت الصحف الأمريكية التطرق إلى هذه الحقائق، رغم أنّها لم تكن سريّة. هناك تقارير موسعة من منظمة مراقبة حقوق الإنسان HRW، إذ يوجد لها محققون جيدون في تركيا، وساعدت في كشف ذلك أيضًا منظمة العفو الدولية AI. بإمكانك تجد إشارات لذلك ولكن ليس من خلال قراءة صحيفة نو يورك تايمز، رغم أنّه يوجد لديها مركز في انقرة، لكنّه بطبيعة الحال، ما كان معنيا بالأمر، خاصّة تغطية دور الحكومة الأمريكية. لم تكن قصة يريدون تغطيتها أو الخوض فيها.

تحوّل الأكراد في العراق من حالة المنسييّن إلى حالة المفضّلين. كان يمكن أن تتغيّر الأمور ثانية وتأخذ اتجاها معاكسا، ولكن لا بُدّ من عبرة. هنالك قول يردّده الأكراد دائما، "ليس للأكراد اصدقاء سوى الجبال". وهو قول حكيم. يجب ألّا يُخدعوا ثانية ويفكّروا بأنه حين يربت الأمريكيون على اكتافهم اليوم، فلا تعني إشارة الودّ هذه عدم امكانية مساعدة حدوث حلبچة أخرى في المستقبل.

بالمناسبة، إنّ هذا التركيز على المهم وغير المهم في ذات الوقت، قد ورد اصلا على لسان الكاتب جورج *أورول*، الذي ميّز بين ما سمّاه "الناس وغير الناس".[64] "الناس" هم مَن يؤخذون في الحسبان و"اللاناس" هم من لا يعيرهم أحد اهتماما، وبإمكانك أن تعمل بهم ما تشاء.

كان ذلك واضحا في ذهني حين شاركت في ندوة فديو جرت في لندن. أشار مدير الندوة إلى موضوع الرهبة التي نزلت بالغرب، وهو يشاهد على شاشات التلفزيون حزّ رقاب الصحفيين

الغربيين علنا. قال، "أصابنا الفزع". ثمّ أضاف، "هذا أمر مرعب وبشع. يجب أن نعمل على الفور لإيقافه". كان يوجّه حديثه للحضور الذين تغلب عليهم صفة اللِبرالية. "نحن نعرف فظائع الأمريكان والبريطانيين والإسرائيليين، ونعتبرها جرائم سيئة للغاية. ولكن حتى خلال الهجوم الإسرائيلي على غزة، لم نشاهد عمليات لقطع الرؤوس".

ألم تشاهد ذلك؟ لو أخذنا أحدث الغارات الجوية على غزة، وبالذات تلك التي شُنّت على حارة الشجاعيّة. هل شاهدت الناس وهم يركضون بعد انتهاء الغارات ليُلملموا أشلاء ضحاياهم المبعثرة، وكانت هناك صعوبة في تحديد هوية بعض الضحايا من النساء والأطفال والرجال والشيوخ، الذين قُتِلوا في تلك الغارات؟[65] لقد ورد هذا في التقارير الصحفية، لكنّ مدير الندوة في لندن كان على حقّ. لم تُثِر تلك الغارات الفزع في قلوب الغربيين. حين نرتكب بعض الفظائع مثل قصف الحارات السكنية ويضطر الأحياء بعد انتهاء الغارات إلى جمع اشلاء ذويهم من القتلى، الذين لا يمكن تمييز هوياتهم، فلا يُعدّ هذا إجراما. ربّما كان ذلك القصف قد حدث "عن طريق الخطأ". وهو نفس الخطأ، الذي يتكرر حين تُرسل طائرات الدرون للقيام بعمليات اغتيالات، فهي تقوم لا شك بأكثر من جرائم قطع رؤوس الضحايا. ربّما تكون اخطاء، ولكنّها ليست جرائم. ومن ناحية أخرى، حين تقوم داعش بحزّ رقاب الناس، فإنّه يثير جزعنا ويرفع مستوى غضبنا. لا شكّ أنّ كافة عمليات القتل فظيعة، لكنّها لا تُعدّ شيئا مقارنة بما نقوم به وما يقوم به عملاؤنا حول العالم.

لقد استحوذ الأكراد العراقيون على محافظة كركوك، وهي مركز رئيسي لإنتاج النفط. وهذه خطوة ستزيد من امكانية الجدوى الاقتصادية لدولة كردستان المستقلة. ذكر بعض المعلقين الإسرائيليين والأتراك أنّها مسألة محتومة. ما رأيك بشأن هذه الإمكانية؟

يتوقف الأمر على ما يقرره اسياد العالم. لو تأملنا للحظة لوجدنا أنّ الولايات المتحدة تعارض مثل هذه الخطوة. وهذا يعني أنّ الأكراد، رغم امتلاكهم لكميات كبيرة من النفط لن يستطيعوا بيعه في الأسواق العالمية لأنّ الولايات المتحدة لن تسمح بذلك. سيكون بالإمكان بيع جزء يسير منه يمكن تسريبه من خلال تركيا، ومن الواضح أنّ إسرائيل ستشتري بعضا منه. لكنّ حاملات النفط الكردية ستظل عائمة في البحر الأبيض المتوسط تحاول الأختفاء عن الأنظار حتى تفرغ حمولتها في مكان ما.[66] وحتى هذه الساعة، فإنّ شبه الدولة الكردية لا تستطيع دفع رواتب موظفيها.[67] يقولون إنّه لا تتوفر لديهم الموارد لفعل ذلك. بالمناسبة، يحدث كلّ هذا في الوقت الذي

ترتفع فيه ناطحات السحاب والمباني الشاهقة في سماء العاصمة أربيل، شاهدا على وجود ثروة هائلة، باعتبارها أحد معالم الدول النفطية.

لكنّ الأكراد في ورطة. المشكلة هي أنّه ليس لديهم منفذ بحريّ يمكّنهم من الإتصال بالعالم من خلاله. أمامهم خيار أن يُصدّروا نفطهم عبر تركيا، وهذا يتطلب مساندة الولايات المتحدة. ولم تظهر لحدّ الآن مثل هذه المساندة. وعليه، فإنّني لا اعتبر الأمر محتوما، كما ذكرت.

لو نظرت إلى الخارطة لوجدت أنّ المنطقة الكردية متواصلة حقيقة. يقع أكبر جزء منها في جنوب شرق تركيا. ويمتد القسم الآخر على طول حدود سوريا الشمالية. ترك *الأسد* للأكراد الحبل على الغارب ليتمتعوا بشيء من الاستقلال الذاتي خلال الكارثة السورية الجارية. لكنّهم الآن عرضة لهجمات الجماعات السنيّة الجهادية مثل داعش وجبهة النصرة وغيرهما. والسؤال هو، هل يستطيع اكراد سوريا أن يرتبطوا جغرافيا بكردستان العراق ومن ثمّ بالمناطق الكردية داخل تركيا؟ تدور الآن مفاوضات معقدة بين القيادة الكردية العراقية مع الحكومة التركية. المشكلة أنّ مناطق الأكراد في سورية واقعة تحت تأثير حزب العمال الكردستاني PKK، الذي تعتبره تركيا منظمة حرب عصابات تركية، من أشدّ اعداء تركيا والولايات المتحدة.

مع ظهور داعش والفكر السلفي الجهادي في المنطقة، ألا ترى أنّها فرصة للتقارب مع إيران؟

هذا ما تدعو إليه الحكومة العراقية، خاصّة وأنّ إيران والولايات المتحدة واقعتان في جانب واحد، وليست تلك هي المرة الأولى. فإيران كانت معارضا قويّا لحركة طالبان، وقدّمت المساندة الكبيرة لحكومة الولايات المتحدة في غزوها لأفغانستان. في الحقيقة أنّه في عام 2003، عرض الرئيس الإيراني *السيد محمد خاتمي* على إدارة *بُش الإبن* إجراء حوار مفتوح وطرح كافة القضايا على الطاولة بما فيها إسرائيل والأسلحة النووية وكلّ شيء. دعونا نناقش كافة هذه القضايا. غير أنّ الإدارة المذكورة رفضت العرض جملة وتفصيلا.[68] لقد قرّرنا أن تكون إيران عدوّا لنا. إنّهم مستقلون جدّا بآرائهم، وهذا لا يروق لنا.

بالمناسبة، ينطبق نفس الموقف على حكومة *الأسد* في سوريا، وهي القوة العسكرية الرئيسية التي تقاتل داعش في المنطقة، وهي متحالفة مع إيران. تبعث إيران لهم الأسلحة والخبراء وربّما بعض المقاتلين إلى العراق لمساعدة الحكومة العراقية ضدّ هجمات داعش. غير أنّ الولايات المتحدة

أصرّت على أنّ "التحالف الدولي" يجب أن يستثني إيران و*الأسد*. وعليه فالعنصر الرئيسي في هذا التحالف هي الجهات نفسها، التي تموّل داعش وتوفر لها الأطر الأيديولوجية. وهذا بطبيعة الحال، تناقض محيّر على كافة المستويات، لا يمكن للعقل السليم أن يتقبّله.

تلعب تركيا دورا محوريّا في المنطقة. ذكر المؤلف فيجَي پِرشاد، الذي يدرّس في كلية ترِنِتي في ولاية كَنَتِكَت في مقابلة أجريت معه مؤخرا، "كلّ الأدلة تشير ألى أنّ تركيا تسمح لمقاتلي داعش من الجرحى في المعارك داخل سوريا، بالعودة إلى تركيا لتلقي المعالجة الطبية في مستشفياتها".[69] الحدود مفتوحة.

نعم، ذلك هو واقع الحال على حدود سوريا. مقاتلو داعش يتوافدون على سوريا عبر حدود تركيا الجنوبية بحرية تامة، ويحصلون على الأسلحة والمعدات العسكرية والعناية الطبية في مستشفيات الجيش أيضا. وقعت تركيا تحت ضغوط قوية من قبل *أوباما* للإنضمام إلى ماسُمّي التحالف الدولي لمحارية داعش! لكنّ الأتراك رفضوا ذلك صراحة. لتركيا قوة عسكرية ضخمة، لو دخلت الحرب ضدّ داعش فستزيلها بسرعة البرق، لكنّ الأتراك لا يريدون ذلك، وتستطيع إيران انجاز تلك المهمة أيضا. لكنّ تركيا غير معنية بالضغوط، وإيران لا يُسمح لها بالتدخّل.

تركيا حليف وعضو في الناتو، وتتلقى لزمن طويل المساعدات العسكرية من الولايات المتحدة. يبدو أنّه وبفعل ذلك يكون لواشنطن قدر من التأثير وطلب ما تريده، فيما يتعلق بقضية ضبط الحدود وتدفق السلاح والمقاتلين.

هذا ما نتوقعه، خصوصا وأنّ الولايات المتحدة دعمت تركيا بالسلاح خلال هجماتها الشرسة ضدّ الأكراد المنتفضين. لكنّ الأتراك ببساطة لم يتبعوا الأوامر.

حدث خلال عام 2003 شيء جدير بالملاحظة قبل عمليات غزو الولايات المتحدة للعراق. لو نظرت إلى الخارطة لوجدت واضحا أنّ القواعد العسكرية الأمريكية، كان يمكن أن تكون مناطق انطلاق ذلك الغزو. فتلك القواعد الأمريكية الكبيرة في شرق تركيا تتاخم الحدود العراقية. كانت ستكون نقاط انطلاق مثالية لهجوم القوات الأمريكية وتوجهها جنوبا نحو العراق. لكنّ غالبية الشعب التركي عارضت تلك الفكرة بقوة. اظهرت استطلاعات الرأي العام أنّ 90% من مجموع السكان اعترضوا على استخدام اراضي بلادهم كنقطة انطلاق للقوات الأمريكية الغازية. بالمناسبة، لم يكن

ذلك الإعتراض حُبّا بالعراق أو نظامه، لكنّه جزء من عدم الموافقة على مشاركة بلادهم في العدوان الأمريكي. وبسبب ذلك، عقدت الدهشة السنة الكثير من المسؤولين الأمريكيين، لأنّ الجيش التركي، الذي يتمتع بنفوذ كبير، قد سمح للحكومة التركية أن تستجيب لطلب 90% من سكان البلاد. وفي نفس الوقت أثار ذلك الرفض الغضب لأنّ تركيا تجرأت ورفضت أوامر الولايات المتحدة. وبسرعة اعلنت الصحف الأمريكية شجبها لتلك الخطوة وبدأت تنشر لأوّل مرّة تجاوزات السلطات التركية ومخالفاتها لحقوق الإنسان. لم نسمع مثل هذه الأصوات في فترة تسعينات القرن الماضي، لكنّنا فجأة وبقدرة قادر بدأنا نسمع عن الإجراءات الوحشية والقمعية، التي تقوم بها السلطات التركية.

من أهمّ الشخصيات البارزة، التي قادت حملة الهجوم المذكورة، هو نائب وزير الدفاع الأمريكي *بَول ولفووِتز*. كان الإعلام الأمريكي يسمّيه "قائد المثالية" في إدارة *بُش الإبن*.[70] عُرِف عنه ورعّه وأخلاقه المثالية العالية. إنتقد الجيش التركي بمرارة لأنّه لم يُجبِر الحكومة التركية على قبول طلباتنا. وصل به الحدّ أن طلب من الجيش التركي أن يُقدّم اعتذارا للحكومة الأمريكية، ووعدا لا شائبة فيه بألّا تُقدِم الحكومة التركية على مثل هذه الجريمة ثانية.[71]

جرى هذا في وقت كانت فيه الحكومة والإعلام وطبقة المثقفين تطبل وتزمّر لتفاني الولايات المتحدة في محاولات "تعزيز الديمقراطية". إذا اردت أن تكون مثقفا مرموقا أو صحفيا يُشار إليه بالبنان، فيجب عليك أن تتقبّل فكرتين متناقضتين في نفس الوقت، وألّا تظهر أيّة دلائل على هذا التناقض.

هذا ما سماه *أورِول* "التفكير المزدوج" doublethink

نعم، عرّف *أورِول* هذا التفكير المزدوج بأنّه القدرة على أن تتقبّل الأفكار المتناقضة وتؤمن بها دون أن تنتبه لذلك التناقض. لقد أصبح هذا من الناحية العملية من المتطلبات في العالم الفكري.

منذ تأسيس الجمهورية التركية عام 1923، لعب العسكر دورهم كمؤسسة مهيمنة على شؤون البلد. كيف استطاع *إردوان* أن يهمّش هذه الموسسة؟

أجرى عملية تطهير واسعة في قيادة العسكر، وتمكن من تقليم اظفارهم بسهولة محيّرة. إنحسرت سلطة هؤلاء على الحكومة بشكل ملحوظ. إلى أيّ حدّ؟ هذا غير معلوم، لكنّه انحسار كبير، كان من أهم إنجازات *إردوان* في منتصف الحقبة الأولى من الألفية الثالثة.

ألأقليّات في الشرق الأوسط، وبينهم الإيزيديون في العراق والأرمن في شمال سوريا، وغيرهم من الأقليات الأخرى، تعرض افرادها لقمع شديد. ماذا بالوسع عمله لحمايتهم؟

هنالك إطار عمل للقانون الدولي تقبلته من حيث المبدأ كافة الأطراف، وهو فحوى ميثاق الأمم المتحدة، الذي وقعت عليه أمريكا والآخرون. وهذا التوقيع، بموجب الدستور الأمريكي، يجعله قانونا ملزما هاما يجب تطبيقه والعمل بموجبه.

ينصّ ميثاق الأمم المتحدة، وبالذات المادة رقم 39 على أنّ مجلس الأمن هو من يقرّر إن كان هناك تهديد للسلام، مثلا المذابح التي حلت بالإيزيديين. واكثر من ذلك، فإنّ المجلس المذكور وحده هو من يخوّل استخدام القوة العسكرية لمعالجة الموضوع. وبخلاف ذلك، لا يجوز اللجوء إلى استخدام هذه القوة باستثناء حالة الدفاع المباشر عن النفس ضدّ الهجمات المسلحة. هذا هو جوهر مبدأ حماية الأقليات.

لكنّ الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل وغيرها من الدول العميلة المارقة، لا تعير القوانين الدولية أيّ اعتبار. نصوص ميثاق الأمم المتحدة لا تنطبق على هؤلاء، وهم وحدهم فقط من يمتلكون احتكار القوة ويستعملونها كيفما شاءوا. وهذا بطبيعة الحال يعرقل الخيارات المتوقعة والفعّالة من أجل كيفية حماية الأقليات.

في العالم الملتزم بالقوانين، يجب أن تطلب حكومتنا من مجلس الأمن إصدار قرار ينصّ على وجود موقف يتعلق بحقوق الإنسان ويشكّل تهديدا للسلام في المناطق، التي وقعت تحت سطوة داعش. ومن ثمّ تسأل مجلس الأمن أن يعطيها تفويضا لاستخدام القوة العسكرية لإزالة ذلك التهديد. وهذه القوة العسكرية يجب أن تكون مبدأيا من قوات دول المنطقة المعنية، بما فيها طبعا القوات العسكرية لإيران.

لكنّ هذا ما كان ليحدث. في الحقيقة، لم تأتِ الصحف على ذكر الطريقة القانونية، التي يجب أن تُعالج فيها هذه المسألة. السبب هو أنّ المسألة تفوق ضمير الثقافة الغربية وتتجاوزه. إنّ مفهوم أن نتصرّف كدولة ملتزمة بالقوانين العالمية شيء لا يخطر على البال. إذا ذكرت الأمر للناس فلا يفهمون عن أيّ شيء تتحدّث. وهذا ليس خيارا، ولذلك لم يأتِ أحد على ذكره. إنّ ما يُنفذ يعود إلى قرار السادة الكبار وعملائهم المقرّبين، وليس القوانين الدولية.

جرى في اسكتلندا بتاريخ 18 أيلول من عام 2014 استفتاء صوّت فيه المواطنون بنسبة 55% مقابل 45% للبقاء ضمن المملكة المتحدة. ما انعكاسات هذا على وضع المسلمين في كشمير ووضع الأرمن في جَيب نوگوريو ـ كاراباخ والأكراد في العراق؟

هناك ميول متضاربة تتنافس فيما بينها في أوروپا. خلال المئتي عام المنصرمة، كانت أوروپا مسرحا للعمليات المتوحّشة مقارنة ببقية العالم. لم يكن لدى الأوروپيين هدفا أسمى من ذبح بعضهم البعض في حرب الثلاثين عاما، التي جرت في القرن السابع عشر، وأبيد فيها ما يقرب من ثلث سكان ألمانيا. ثمّ هناك الحربان الدمويتان في القرن العشرين، اللتين جعلتا الأوروپيين في عام 1945 يدركون أنّ الحرب التالية ستكون نهاية العالم بسبب مستوى الخراب الذي ستلحقه تكنولوجيا السلاح التدميرية، بحيث لم يعد بالمستطاع العودة إلى لعبتهم القديمة. نجم عن ذلك أنّهم غيّروا من سلوكهم، ففرنسا وألمانيا اللتان كانتا تنزلان المذابح ببعضهما البعض لقرون عديدة، تحوّلتا إلى حالة من التصالح السلمي. ثمّ تبع ذلك ظهور **الإتحاد الأوروپي**، الذي بدأ يجمع الدول مع بعضها البعض. إنّ حركة الإنتقال الحرّ، التي نجمت عن هذا الإتحاد خطوة إيجابية لا شكّ، قد خففت من لهجة التأكيد على الحدود الجغرافية الوطنية، وقادت إلى اختلاط أوسع بين المواطنين، الذين يتوجّب عليهم الآن أن يتعاونوا بدلا من مقاتلة بعضهم البعض.

كما أنّه توجد بالمقابل ميول تعويضية أخرى. إنحدّرت المشاركة الديمقراطية إلى مستوى أكثر انخفاضا، والقرارات بشأن الاقتصاد اصبحت في يد البيروقراطيين في بروكسِل، وبشكل خاص تحت تأثير المصرف الألماني Bundesbank. لم تجد آراء المواطنين في أوروپا آذانا صاغية، ووصل الأمر في بعض الحالات إلى حدّ السريالية. في عام 2011 تقدّم رئيس وزراء اليونان جورج *پاپاندريو* باقتراح معتدل بأنّه يجب التصويت من قبل المواطنين على جملة إجراءات التقشف الحادة، وفيما إذا كان الشعب اليوناني يتقبّل مثل هذا القرار الذي أوصى به اصحاب البنوك في بروكسِل.[72] إرتعدت فرائص الغرب غضبا، وأدان المعلقون والإعلاميون وغيرهم جرأة *پاپاندريو* وطلبه الغريب بأن يستفتي شعبه بصدد حزمة إجراءات التقشف، التي ستُفرض على ذلك الشعب. استنكروا ذلك الاستفتاء واعتبروه خروجا على أوامر البيروقراطيين واصحاب المصارف.

قاد ذلك إلى ردّ فعل معقد في أوروپا، وصل إلى حدّ إثارة المخاوف. كان هناك صعود للتيار اليميني المتطرف، وفي بعض المناطق بروز للنازية الجديدة. وهذه جميعا ردّ على غياب المشاركة

الديمقراطية. لكنّه كان ردّ فعل، على الأقل في نظري، ظاهرة صحية أو قُلْ دافعا نحو الإقليمية، في معارضة لمركزية **الإتحاد الأوروپي**. وبناء عليه ارتفعت الدعوة في اجزاء من أوروپا للمطالبة بالاستقلال، ومثال ذلك ما جرى في اسكتلندا وكتالونيا وفي جزء من فرنسا في منطقة الباسك وأماكن أخرى.

إنّ أوروپا مزيج معقد من الثقافات واللغات والتواريخ. إلّا أنّ الشيء الذي يجري الآن هو الدمار السريع للغات المحلية. إنّها تموت بسرعة لأنّ انظمة الولايات القومية تفرض لغات موحدة، بدلا من اللغات المحلية. فمثلا يوجد العديد من الناس ممّن لا يستطيعون التحدّث مع جداتهم، لأنّهم يتحدثون لغات مختلفة. لكنّه مع ذلك يوجد ميل لبعث اللغات والثقافات الإقليمية. أعتقد أنّ الاستفتاء، الذي جرى في اسكتلندا جزء من هذه الإتجاهات والتطلعات.

أثير نفس الموضوع على المستوى العالمي. ففي الشرق الأوسط، فُرِض نظام الدولة وتخطيط الحدود من قبل قوات الاستعمار. فالحدود، التي رُسِمت ليست لها علاقة بالسكان المقيمين في مختلف المناطق. لنأخذ على ذلك مثلا العراق. أسس البريطانيون دولة العراق الحديثة وفقا لمصالحهم، ولذلك اقتطعوا المناطق المحيطة بالموصل واضافوها لمساحة الدولة الجديدة، لأنّ بريطانيا أرادت أن تضع يدها على مناطق النفط وتُبعِد تركيا عنها. كما أنّهم من جهة أخرى، أسسوا إمارة الكويت لمنع العراق من الحصول على منفذ بحري، لكي يمكنها السيطرة عليه. قسّمت معاهدة **سايكس - پيكو** المنطقة ما بين فرنسا وبريطانيا. وُضِعت سوريا ولبنان تحت النفوذ الفرنسي ووُضِع العراق وما سُمّي وقتها فلسطين تحت الإنتداب البريطاني. كانت تلك مصالحهم الاستعمارية، ولا علاقة لها بسكان الأرض الأصليين. وعليه فإنّ الحدود الجغرافية السياسية لا معنى لها بنظر الناس.

كان النظام العثماني الذي سبق هذا التقسيم نظاما قبيحا ووحشيّا، لكنّه على الأقل اعترف بالحكم الذاتي المحلي. كان معروفا خلال الفترة العثمانية أنّ بإمكان الفرد أن يسافر من القاهرة إلى بغداد، ومن هناك يستأنف رحلته إلى اسطنبول، دون أن يعبر حدودا. كانت منطقة مفتوحة تشبه ما يجري الآن ضمن الإتحاد الأوروپي. تلائم ذلك مع طبيعة المنطقة وجعلها تكون بشكل أكثر انسجاما. وبسبب الفساد المستشري وعدم كفاءة الحكام المحليين العثمانيين، سُمح للناس أن يستمتعوا بشيء من الاستقلال الذاتي. فالأرمن يديرون شؤون الأرمن والأغريق يديرون شؤون الإغريق،

وكذا الحال مع الفئات الأخرى. كانوا يعيشون في حالة من التوافق والإنسجام. غير أنّ هذا قد انتهى وتغيّرت الأمور بفرض انظمة الدول الحديثة.

إنطبق هذا على اجزاء أخرى من العالم. أنظر إلى إفريقيا. تعود كافة الصراعات الدائرة هناك تقريبا إلى الحدود الجغرافية السياسية، التي وضعتها القوات الاستعمارية الإنكليزية والفرنسية والبلجيكية، وبدرجة أقل القوات الألمانية. لم تأخذ تلك الحدود بالحسبان طبيعة السكان المحليين. لقد وضع السادة المتحكّمون الخرائط على الطاولة ورسموا باقلامهم الأنيقة الحدود كيف ما شاءوا. وبطبيعة الحال، قاد ذلك ولا يزال إلى قيام صراعات دموية. لديّ يقين أنّه في يوم ما ستختفي هذه الحدود من الوجود.

الحوار الخامس
الذاكرة الحيّة

كَيمبرِج، ماسَچوسِت 23 كانون الثاني 2015

ما أهمية هبوط اسعار النفط بشكل حادّ؟ هناك العديد من المقالات في الصحف التي رحّبت بالأمر وقالت إنّ هذا من مصلحة المستهلكين. فسعر الگالَن أقلّ من دولارين، ويجعل هذا الناس يقودون سياراتهم أكثر، ويوفر لهم نقودا اضافية يصرفونها على اشياء أخرى.

هذه لحظات لا يمكن تصديقها. فصفحات الأعمال في الصحف اليومية تكيل المديح لهذه الظاهرة واحتمال أنّه سيكون بإمكاننا أن ندمّر العالم، ولا نترك منه شيئا لأحفادنا. يجب أن تكون عناوين الصحف "دعونا ندمّر إمكانية أن يكون لأحفادنا حياة محترمة".

إنّه لأمر خطير للغاية والوضع يزداد سوء يوميّا. المخاوف الأخيرة تتعلق بحدوث تسرّب لغاز الميثان Methane من قشرة الأرض، بسبب ذوبان الثلوج في منطقة القطب الشمالي وانكشاف التربة الصقيعية permafrost. ولو حدث هذا، فإنّ التوقعات ستكون رهيبة للغاية.[73]

إنّ اسعار النفط منخفضة للغاية، ويجب أن تزداد أكثر في اسواق الولايات المتحدة، لتكون على الأقل بمستوى الأسعار في أوروپا. ستكون تلك الزيادة محاولة للحدّ من تشجيع استهلاك الوقود الأحفوري، الذي يدمّر البيئة ويعيث فيها الخراب.

يبدو أنّ الأدلة على تغيّرات المناخ اصبحت واضحة لا جِدال فيها، ويجب أن تكون غير مثيرة لاختلاف وجهات النظر بعد اليوم إطلاقاً. كانت عناوين الصحف كالتالي: "إنّ الحياة البحرية تواجه انقراضا جماعيا". "كان عام 2014 أحرّ الأعوام منذ بدأ تسجيل هذه الظاهرة عام

1880". "أحرّ 10 اعوام قد حدث منذ عام 1997".[74] ومع ذلك، فإنّ ردّ فعل الطبقة الحاكمة ومن يتحكّمون بالاقتصاد هو أنّ الحرارة فاترة، وفي أحسن الأحوال تغطية لما عليه الحال.

أجرت مؤسسة PWHC استطلاعا مهما خلال انعقاد مؤتمر الكبار في مدينة دافُس في سويسرا. شمل الاستطلاع كافة الرؤساء التنفيذيين للشركات الاحتكارية الكبرى، لما يعتبرونه مواضيع هامة يواجهونها. كلّ الذي يهمّ هؤلاء هو تحقيق الأرباح العالية ومتابعة نمو شركاتهم، وكم سيكون عدد العاملين فيها ممّن يتلقون اجورا منخفضة. كان موضوع التغيرات المناخية في نهاية قائمة اهتماماتهم. في الحقيقة طفيف على الهامش.[75]

ليس الأمر أنّ هؤلاء الأشخاص ناس سيّئون، ولكن يتفشّى في مؤسساتهم ويُعشعش فيها مرض عضال. إذا كنت رئيسا تنفيذيّا لإحدى الشركات، يعني بالمناسبة أنّك تتمتع بنفوذ في النظام السياسي. وببساطة أنّك غير معنيّ بما يجري في العالم مستقبلا، بما فيه مستقبل أحفادك. كلّ الذي يعنيك هو أن تحقق الفوائد والأرباح في المستقبل. هذه هي الضرورة، التي تتطلبها المؤسسة.

يوجد زعيم لقبيلة (يانومامي شامان) في البرازيل إسمه دافي كوپيناوا. يبلغ عدد افراد هذه القبيلة حوالي 30-40 ألف شخصا يقطنون مناطق الحدود بين شمال البرازيل وجنوب فنزويلا. ذكر هذا الشيخ أنّ، "الرجل الأبيض يريد أن يقتل كلّ شيء ويريد أن يلوّث مياه الأنهار والبحيرات ويسلب ما تبقى... لا يخطر بباله أنّه يُفسد الأرض ويلوّث الهواء ولا يعرف أنّه سوف لن يكون بوسعه أن يخلق ارضا وسماء أخرى... أفكاره تقتصر على اقتناء السلع والبضائع... ويتهافت دائما وبلا هوادة للحصول على سلع جديدة".[76] إنّ غالبية السكان الأصليين، وأستطيع الجزم حول العالم، لهم علاقة خاصة بالطبيعة التي من حولهم، تختلف عمّا نشعر به نحن ازاء ما حولنا.

هذا صحيح للغاية في كافة انحاء العالم. في جنوب غربي كندا، حيث يوجد سكان البلاد الأصليون، الذين يُسمونهم الشعوب الأولى First Nations، يقود هؤلاء حركات الاحتجاج والتعبئة. هذا إلى جانب إثارة القضايا القانونية أمام المحاكم لمنع تمدّد شركات الوقود الأحفوري التوسعيّ والخطير وزحفها نحو مناطقهم.

في منطقة الأمَزَون، يندفع السكان الأصليون نحو المقدمة لمنع نشاطات شركات الوقود الإحفوري وشركات استخراج المعادن الطبيعية، من أجل المحافظة على التوازن والموائمة مع الطبيعة. في الحقيقة، أنّ بلدين من بلدان أمريكا اللاتينية، حيث توجد غالبية عظيمة للسكان الأصليين وهما بوليفيا والإكوادور، كانت في المقدمة في تشريع ما سمّوه "حقوق الطبيعة". أصبحت هذه الحقوق جزء من دستور بوليفيا.[77]

ويصدق نفس الشيء على استراليا، وكذلك الهند، حيث يواصل سكان القبائل المحليّون حماية المصادر الطبيعية في مناطق سكناهم. لقد عاشت هذه المجتمعات على مدى التاريخ في انسجام وتوازن مع الطبيعة. لا أريد أن اعطي انطباعا أنّهم يعيشون حياة طوباوية فاضلة Utopian، ولكن على الأقلّ لديهم ميل للإنسجام مع الطبيعة. لكنّ الرأسماليين والغزاة المستعمرين ما كان لديهم اطلاقا مثل هذا الميل ولا هذا الاهتمام بهذه المسألة. بإمكانك أن ترى ذلك في نتيجة الاستفتاء المشار إليه للرؤساء التنفيذيين للشركات الاحتكارية، الذي عبّروا فيه عن الموقف النموذجي للقوى الاستعمارية، التي لا يهمّها خراب العالم ما دامت تستأثر بثرواته الطبيعية واستنفاذها نتيجة نشاطاتهم المباشرة.

لديك بعض الإتصالات بالسكان الأصليين القاطنين في الغابات المطيرة الواقعة حول خط الاستواء في كولومبيا.

أمضيت بعض الوقت في جنوب كولومبيا، التي تُعتبر منطقة صراعات حادة. يتعرض الفلاحون وسكان البلد الأصليون والكولمبيون من أصل أفريقي لهجمات مستمرة من قبل المِليشيات شبه العسكرية وقوات العسكر النظامية وأيضا من قبل افراد العصابات المسلحة، من الذين لديهم ارتباطات بالسكان المحليين، واصبحوا الآن فئة تعتاش على الفلاحين. كما توجد هناك عمليات "التبخير" fumigation. وهذه تعني رشّ المواد الكيمياوية، التي تقتل حقيقة كلّ شيء. من الناحية النظرية، تُستعمَل هذه الطريقة لحماية انتاج الكاكاو. لكنّها عمليّا تقضي على كافة انواع المحاصيل الأخرى وكذا الماشية. تمرّ عبر القرى فترى الأطفال واذرعم مغطاة بقروح بشعة. يموت الناس هناك بأعداد كبيرة.

ذهبت مرّة بصحبة أحد الناشطين في منظمة حقوق الإنسان في كولومبيا إلى قرية معزولة. تجمّع وقتها عدد من الفلاحين وسكان البلاد الأصليين في محاولة للمحافظة على موارد المياه في

منطقتهم. يوجد في تلك المنطقة جبل تكسوه الغابات، التي لم تمسّها يد الإنسان من قبل، وتوجد فيها منابع المياه، التي يستعملونها لمختلف الأغراض، ولها معنى خاصّ في حياتهم الثقافية. إنّ الجبل والغابة مهدّدان بإجراء عمليات تعدين واسعة. ورغم بساطة الحياة في المنطقة، كانت لدى السكان خطط مدروسة لحماية مصادر المياه والمصادر الطبيعية الأخرى. لكنّهم كانوا في مواجهة قوات غاشمة عمادها شركات التعدين وعسكر الحكومة وشركات الاستثمار العالمية. لا شكّ أنّها معركة عنيفة للغاية. المرة الأولى، التي حاولنا فيها زيارة المنطقة، لم يُسمح لنا بدخولها، بسبب عمليات قتل واسعة كانت جارية فيها. غير أنّ محاولتنا الثانية تحققت بنجاح.

لك ارتباطات عائلية هناك. هل تحبّ أن تتحدّث عنها؟

نعم، كنت هناك لأنّهم قرروا اطلاق اسم زوجتي الراحلة *كَرول* على إحدى الغابات تكريما لذكراها. ساهم كافة القرويين في اتخاذ ذلك القرار وكان احتفالا بسيطا مؤثرا، حضره عدد من افراد قبيلة شامان، التي أشرت اليه.

في كتاب "أنظمة القوة" Power Systems، الذي قام على مقابلاتنا السابقة، ذكرت، "أنّ أمريكا اللاتينية قد اظهرت نزعة متزايدة نحو الاستقلال إزاء القضايا العالمية".[78] هل أنّ مثل هذه النزعة لا تزال مستمرة؟

بالتأكيد لا تزال قائمة. اعتقد أنّها ربّما كانت عاملا رئيسيا لدفع *أوباما* إلى موضوع "تطبيع العلاقات" مع كوبا، والذي لم يكن سوى وضع نهاية لجزء من الهجوم عالى كوبا، الذي سرى لأكثر من 50 عاما. أشكّ أنّ جزء من ذلك القرار هو وجود ضغط متزايد من بقية بلدان المنطقة بصدد هذا الموضوع. في مطلع الستينات، وقت كانت الولايات المتحدة هي الأمر الناهي، طالب الأمريكيون بطرد كوبا من كافة المنظومات الخاصة بالمنطقة. وعندما ازداد الضغط بتحرر الشعوب والحكومات والحصول على الاستقلال بعيدا عن تلاعب الولايات المتحدة بأقدارها، بدأت المطالبة بإعادة كوبا إلى منظومات المنطقة.

حين أعلن *أوباما* تغييرا في السياسة والنهج ازاء كوبا، لم أجد ذكرا للحملات الإرهابية الواسعة ولا المقاطعة التجارية ولا نهاية للحرب الاقتصادية، التي قادتها الولايات ضدّ كوبا. ولم يكن هناك بطبيعة الأمر، ذِكر لأيّة تعويضات.

كان هناك ذكر واحد للحرب الإرهابية، والذي تعلق بمقالب وكالة المخابرات المركزية، من قبيل حرق لحية *كاسترو*، أو شيء من هذا القبيل.

أو التمكن من وضع اقلام مسمومة في متناوله.

كنّا نسمع عن مثل هذه المحاولات ونسخر منها. ولكن يجب عدم نسيان حقيقة أنّ *جون كندي* هو من أمر بشن هجوم إرهابي ضدّ كوبا. وضع المهمة على عاتق أخيه *روبرت كندي*، وكان من أولويات الأهداف "أن يلحقوا بكوبا خراب الأرض بأجمعه". لقد ورد ذكر هذه العبارة على لسان *آرثر سلزنجر*، مستشار الرئيس لشؤون أمريكا اللاتينية، حين جاء على ذكر *روبرت كندي* في مذكّراته.[79] وفعلا جلبوا على كوبا كلّ خراب الأرض. فجّروا مصانع البتروكيمياويات وقاموا باعمال تخريبية لإغراق عدد من السفن في ميناء هَفانا، وسمّموا المحاصيل الزراعية والماشية في الجزيرة، وقصفوا الفنادق، التي فيها نزلاء من روسيا. استمرّت مثل هذه الأعمال لسنوات، وهي التي أدّت إلى قيام أزمة الصواريخ وكادت تتسبب في بدء حرب نووية. حين انتهت تلك الأزمة عادت النشاطات الإرهابية باشكال جديدة مختلفة واستمرت حتى فترة التسعينات. لم تُناقش أيّ من هذه القضايا علنا. في الحقيقة، إنّ أوّل شهادات موثقة على لسان الضحايا ظهرت عام 2010 نتيجة بحوث الكندي كيث *بولندر*، التي نشرها في بلاده ولم يُسمح بتوزيعها أو قرائتها في هذه البلاد.[80]

كان لرسالة *أوباما* صدى في اجهزة الإعلام. ومفادها إنّ جهودنا لتحقيق الديمقراطية والحرية لكوبا لم تتكلل بالنجاح. ورغم أنّها جميعا كانت جهودا خيّرة في نواياها، فإنّها لم تفعل فعلها. وعليه، فقد حان الوقت لمحاولة اساليب أخرى لتحقيق اهدافنا النبيلة. إنّ وصف *أوباما* لخمسين عاما من عمليات الذعر الهائلة والخنق الاقتصادي لم يكن اعترافا بالأمر، الذي وصل إلى حدّ أنّ أيّ معمل أوروپي لصناعة الأجهزة الطبية يستورد أيّة كمية من المواد الطبيعية من كوبا، يوضع على قائمة المقاطعة ولا يُسمح له بالتعاون مع أيّ بلد تجاريّا.

ثمّ يدعون تلك الجهود بأنّها كانت ذات نوايا خيّرة من أجل تحقيق الديمقراطية والحرية للجزيرة، وليس طبعا لكافة الأنظمة الدكتاتورية التي نساندها. لسبب أو لآخر، لا نقوم بمثل تلك الجهود ذات النوايا الخيّرة في مناطق تلك الأنظمة.

أطلِق على الحرب في كمبوديا اسم "العرض الجانبي" باعتبار أنّ العرض الرئيس يجري على أرض فيتنام وفي اجوائهاٍ كان هناك عرض جانبي آخر في أرض ليس لها منفذ بحري واغلبها زراعية اسمها لآوس. في شهر مارس من عام 1970، وحين كنت في طريقك إلى هَنوي، تأخّرت لمدة اسبوع في فينِتيان عاصمة لآوس. كتبت عن ذلك الأسبوع مقالة نشرتها مجلة نو يورك لمراجعة الكتب. وضعت نصّ المقابلة فيما بعد في كتابك At War with Asia.[81] اعجبت جدّا بالوصف الذي أوردته وبقدرتك على الكتابة الصحفية الواضحة وجملك المقتضبة.

كانت إقامتك برفقة *فرَد برانفمَن* تجربة مؤثرة للغاية، بالنسبة لك. كما تعلم أنّ *برانفمَن* قد توفي في شهر أيلول من عام 2014. كان امضى حين قابلته عدة سنوات في لآوس وكان يجيد لغة البلاد. ذهبتَ معه لزيارة معسكر لتجمّع اللاجئين خارج العاصمة فينِتيان.

لم اعرفه في ذلك الوقت، لكنّني التقيت به لدى وصولي إلى هناك. كان يحاول منذ حين أن يأتي بكاتب غربي ليكشف الفظائع الجارية في لآوس. كان واحدا من العاملين القلائل جدّا في تلك البلاد، إضافة إلى *وولت هاني* وشخصين آخرين، من الذين كشفوا الجرائم، التي كنّا نواصل ارتكابها هناك، وهي حقا جرائم صادمة. الكتاب الذي ألفه *فرَد* بعنوان Voices from the Plain of Jars، هو حصيلة عمله مع ضحايا عمليات قصفنا الجويّ الفظيعة لذلك الوادي.[82]

بدأ القصف الجوي للآوس في منتصف الستينات وبلغ ذروته في عام 1968. يُعتبر وادي الجرار منطقة معزولة تضمّ عددا من القرى. في الحقيقة أنّ أغلب القرويين لم يعرفوا أنّ قراهم تقع ضمن الحدود الجغرافية لدولة لآوس. تعرّضوا على مدى عدة سنوات لقصف شديد للغاية، مّما اضطر الفلاحين إلى ترك قراهم واللجوء إلى الكهوف تجنبا للغارات الجوية. في الحقيقة يجب قراءة شهادات أولئك القرويين في كتاب *فرّد* للإطلاع على صورة ما كان جرى وحقيقته.

بقيت في لآوس لمدة اسبوع، شكرا لضجر أحد الموظفين الهنود. البيروقراطيون ليس لهم همّ سوى أن يزيدوا صعوبة حياة الناس تعقيدا. كان مسؤولا عن تنظيم رحلات الطيران بإشراف الأمم المتحدة من فينِتيان إلى هَنوي. كانت هناك رحلة واحدة اسبوعيا بين المدينتين، وتسلك ممرّا جويا آمنا رغم أنّه حافل بالمخاطر. حين تجلس في الطائرة بإمكانك أن تشاهد القاصفات الأمريكية وهي متجهة لتفريغ حمولاتها من المتفجرات في مكان ما. ولسبب لم ادرك كنهه قرّر صاحبنا ألّا اكون ضمن المسافرين في تلك الرحلة، وعليّ أن انتظر والبقاء في لآوس حتى الأسبوع التالي. فكان

اسبوعا مفيدا، لأنّني تعلمت الكثير خلاله. أمضيت معظم الفترة برفقة *فرَد*، ليس فقط في داخل مخيم اللآجئين، بل ذهبت معه إلى القرية التي سكن فيها وقابلت عددا من الأشخاص، الذين يعرفهم.

لم تأتِ على ذِكر اسمه في مقالتك. إكتفيت بالقول إنّك "كنت بصحبة أمريكي يتكلم اللغة اللآوسية".

ما كان يرغب أن أكشف هويته في ذلك الوقت.

كتب *فرَد* مقالة عن صداقتك له.[83] لا أريد أن اسبب لك احراجا، لكنّه ذكر أنّك أصِبت بحالة انهيار حين قابلت بعض القرويين واستمعت لقصص معاناتهم وواقع احوالهم، وهم يتعرّضون للهجمات الجوية الأمريكية الشرسة.

كانت لآوس واحدة من المناطق التي زرتها وتأثرت لما حلّ بأهلها. زرت بعدها مناطق أخرى واطلعت عن كثب على الفظائع الرهيبة التي أنزلها عسكرنا بالمدنيين الأبرياء. زرت جنوب الولايات المتحدة خلال فترة حركة الحقوق المدنية، وكانت الصورة في ذهني سيئة للغاية. لكنّني لم اشاهد الفظائع خارج البلاد، كما التي خبرتها في لآوس. نعم، كانت تلك تجربة هزّتني من الأعماق.

في مقدمة الطبعة الثانية من كتاب Voices from the Plain of Jars كتب المؤرخ *آل مككوي* أنّ ما يقرب من 20 الف مدنيا قد لاقوا حتفهم أو شوّهوا بسبب انفجارات القنابل العنقودية التي كانت تمطر بها الطائرات الأمريكية منطقة وادي الجرار خلال هجماتها هناك. لا يزال عدد الضحايا يزداد منذ ذلك الحين.[84]

هذا صحيح. لقد كتبت عن هذا الموضوع أيضا. القنابل العنقودية هي صنف من القنابل الصغيرة المصفوفة كعناقيد العنب، يلتقطها الأطفال الصغار ظنا منهم أنّها لُعب صغيرة فتتفجر باياديهم الصغيرة وتشتت اشلائهم. كما أنّها تنفجر وتسبب التشوه أو تقتل الفلاحين وحيواناتهم، حين يحرثون الحقول.

هذه القنابل العنقودية موجودة في كلّ مكان. استدعي بعد نهاية الحرب فريق بريطاني أوكلت إليه مهمة العثور على هذه القنابل ورفعها، لكنّ المنطقة كانت مغرقة بوجود الكثير منها. ذكر الفريق أنّ المهمة صعبة للغاية، علما بأنّ الحكومة الأمريكية قد ساهمت بدفع جزء يسير من كلفة "تنظيف

الحقول" من تلك المتفجّرات. كان يجب أن تدفع الحكومة الأمريكية كلفة المشروع بكاملها، لأنّها المسؤولة أصلا عن نثرها هناك.

ذكر مَككوي أنّ لآوس كانت حقل تجريب للأسلحة الأمريكية وخطط العسكر الحربية، خصوصا ما يتعلق بالاستخدام المكثف للقوة الجوية.

تحدّث *فرَد* عن هذا الموضوع بالذات. لدينا حالات أخرى لصنف آخر من التجريب مشابهة لما جرى في لآوس من حيث التنكيل بالمدنيين. قام الباحثون في كلية قانون سيتُن هول بجامعة برنستُن، بنشر دراسة تفصيلية حول نظام التعذيب في قاعدة گوانتَنامو، عزّزت آراء كان يدور حولها الشكّ. كانت تُمارَس أساليب باسم **برنامج چَيني - رامسفيلد للتعذيب** في القاعدة المذكورة، التي سُمّيت "مختبر المعارك".[85] وكما يُستدّل من الإسم، كان التعذيب يجري بحضور اطباء ومساعدين للإشراف والهدف هو التوصّل إلى أكثر الأساليب فعاليّة في تلك العملية المشينة. دعونا نعذّبه لنعرف كم يتحمل نفسيا وجسميّا وطبّيا.

في الحقيقة لو تأملت تقرير مجلس الشيوخ الأمريكي حول نظام التعذيب المذكور، لوجدت أنّه أثار سؤالا مهمّا فحواه، هل يفعل التعذيب فِعله؟ والإجابة عن ذلك بالنفي، ولذلك كان خيارا مقيتا.[86] التعليقات الصحفية، التي اعقبت نشر هذا التقرير، إتفقت مع الفحوى بأنّ التعذيب غير مُجدٍ، وما كان يجب أن تلجأ الجهات المسؤولة لاعتماده.

حين تمّ الإعتراف بعدم جدواه، فذلك يعني ضمنا أنّه لن يكون رادعا للأعمال الإرهابية. والسؤال إذن، هل كان ذلك هو الهدف منه؟ الجواب ربّما لا. يبدو أنّ الغرض من نظام التعذيب، الذي اقرّه وتبنّاه الثنائي **چَيني - رامسفيلد** هو الحصول على اعترافات مهما كان نوعها، حقيقة أم تلفيقا. الأمر لا يهمّ، لأنّ الغرض هو تبرير الحرب ضدّ العراق. كانوا يريدون التوصّل إلى شيء من الأدلة، التي تربط ما بين *صدام* حسين وتنظيم القاعدة. وحين فشلوا في إيجاد أيّ دليل، طلبوا إنزال المزيد من التعذيب. واخيرا، ونظرا لأنّ الناس تحت التعذيب سيقولون ما تريدهم أن يقولوه، توّهم المسؤولون أنّهم توصّلوا إلى الأدلة التي يبتغونها. يبدو لي أنّ ذلك هو الهدف الرئيسي، الذي استطاعوا تحقيقه.

نحن الآن في مرحلة أخرى من مراحل الإرهاب، التي انطلقت شرارة اشتعالها خلال الهجمات في باريس عام 2015. ظهرت التعليقات المنددة بتلك الهجمات واعتبرتها هجوما على حرية الكلام والتعبير عن الرأي. وهذا مبدأ فرنسي وغربي بشكل عام.

أنت تتحدّث عن الصحفيين الضحايا من العاملين في مجلة **شاغلي إبدو**. ورد أحد التعليقات الهامة على لسان *فلويد إبرامز*، المحامي المشهور في قضايا الحقوق المدنية، والذي عُرِف عنه دفاعه القوي عن حريّة الكلام. لقد فضح محرري صحيفة نو يورك تايمز لأنّهم لم ينشروا رسوم مجلة شاغلي إبدو، التي سخرت من محمد. وهي الرسوم، التي كانت وراء عملية الهجوم ومن اسبابها الرئيسية. وجّه لهم القول، بأنّه إذا كانوا فعلا من انصار قيم حرية الكلام، فيجب عليهم نشر تلك الرسوم. ذكر بأنّ تلك هي الطريقة الوحيدة "لتكريم شهداء الهجوم الوحشي على الصحافة وذاكرتها الحيّة".[87] وكان بطبيعة الحال على حقّ. غير أنّ عبارة "ذاكرتها الحية" قد صيغت بعناية فائقة لتشمل ذكر كلّ ما يفعلونه ضدّنا، وتجاهل كلّ ما نفعله ضدّهم.

لو ذهبنا قليلا لأبعد من "الذاكرة الحيّة" إلى العالم الواقعي، لوجدنا الكثير من الهجمات ضدّ حرية الكلام، بعضها مطابق تماما لما جرى. فمثلا لو أخذنا حلف الناتو، وبالذات الولايات المتحدة، عضوه الرئيسي، التي قصفت ودمّرت محطة إذاعة وتلفزيون صربيا، فانقطع البثّ وكانت المحصلة مقتل 16 صحفيا. في الحقيقة أكثر من عدد من قتلوا في هجوم مجلة شاغلي إبدو.[88] لماذا قتِلوا؟ لأنّ المحطة كانت تذيع معلومات تدافع عن الحكومة، التي كنّا نهاجمها.

المثال الآخر هو الهجوم على مستشفى الفلوجة في العراق في شهر تشرين الثاني من عام 2004، وهو حادث مهمّ آخر. احتلال القوات الأمريكية الخاصة مستشفى المدينة العام بعد أن هاجمته، وتُعتبر هذه المحاولة بحدّ ذاتها جريمة حرب. حين سأل الصحفيون القائد الأمريكي للقوات الخاصة عن اسباب الهجوم على المستشفى واحتلاله، ذكر بأنّ المستشفى هدف مشروع لأنّه يصدر معلومات دعائية مناوئة لنا، وهي بالذات نشر اعداد واسماء المواطنين القتلى في المدينة نتيجة عمليلتنا العسكرية هناك. ولذلك تحتّم علينا احتلاله.[89] أليس هذا الهجوم والاحتلال تجاوزا على حرية الكلام؟

تُعتبر فرنسا حالة ملفتة للنظر لأنّ الحكومة الوطنية هناك مدعومة بقوانين تعطيها الحقّ لتقرّر الحقائق التاريخية ومعاقبة من يخرج على اوامرها بهذا الخصوص. وهذا بحدّ ذاته تجاوز

متطرّف على حرية التعبير. ومثلا على ذلك، أنّ الحكومة اغلقت كافة الصحف في جنوب البلاد، لأنّها كانت تطالب باستقلال منطقة الباسك.[90]

السجلّ حافل بالمواقف المزدوجة والنفاق. لو نظرنا إلى احد البلدان من حلفائنا الديمقراطيين لوجدنا ممارسات تشبه ما كان يجري في القرون الوسطى.[91] ولكنّ هذا لا يهمّ، ما داموا يدفعون أثمان مبيعاتنا لهم من الأسلحة ويمنحوننا التسهيلات البرية والجوية والبحرية لضمان تحرّكات قواتنا. أعتقد أنّ عبارة "المعيار المزدوج" لا تفي بالغرض. هناك معيار واحد فقط. إذا اوقعوا بنا شيئا فتلك جريمة فظيعة، وإذا ارتكبنا بحقهم ممارسات أفضع فذلك مسعى نبيل. وهذا ليس معيارا مزدوجا تجري المحافظة عليه بالإتساق والتفاني.

في الحقيقة يوجد مبدأ عام آخر. كلّما أمعنّا بإلصاق الجرائم بعدوّ ما، كلما ازدادت غضبتنا ونزعتنا للإنتقام منه. وكلّما ازدادت مسؤوليتنا، وبالمناسبة بإمكاننا عمل شيء لإيقافها، كلمّا قلّ اهتمامنا بالموضوع، إلى حدّ الوصول إلى مستوى اللاأبالية أو الأسوأ من ذلك، الإنكار. هذا هو المبدأ الذي ينطبق على التناسق المفرط في سلوكياتنا.

إذن ماذا تقول عن حرية الكلام؟ فمثلا نشر تلك الرسوم الساخرة لم يقتصر على النبي محمد، بل امتدّ ليشمل السخرية من بابا الكنيسة الكاثوليكية، وهو أمر جرح مشاعر بعض الناس. هل أنت من انصار حرية الكلام المطلقة Absolutist؟

أنا لست من انصار حرية الكلام المطلقة. لا أعتقد أنّه يجب أن تتخذ موقفا مطلقا ازاء القضايا الأخلاقية والمبادئ المذهبية. لكنّني اعتقد أنّ حرية الكلام ذات قيمة سامية يجب الدفاع عنها. أعتقد أنّ المحكمة العليا الأمريكية قد وضعت اساسا معقولا عام 1969 حين نظرت في قضية **براندِنبرگ ضدّ أوهايو**. حرية الكلام يجب أن تُصان، ما لم يكن الكلام مقصودا بشكل مباشر لارتكاب عمل إجرامي وشيك.

إنّ نشر رسوم مسيئة لأشخاص محترمين، سلوك في مستوى الحماقة والمزحة عند المراهقين. في الحقيقة هو سلوك مُبتّذّل حين تهاجم الآخرين وتسحق سمعتهم وتدوس عليها. أنْ تسخر من شخص في موقع القوة، موقف لا أجد فيه غضاضة. ولكن أن تسحق سمعة الناس وتدوس عليها ساخرا منهم، فذلك برأيي سلوك فاحش بشكل خاص.

لو القيت نظرة على الناس، الذين سخرت منهم مجلة شاغلي إبدو حين نشرت رسومات محمد، أنّها ركّزت على الفقراء والمضطهَدين وأغلبهم من شمال إفريقيا، من الذين هربوا من تلك المنطقة ونزحوا إلى فرنسا، التي قامت بتدميرها أصلا. لفرنسا تاريخ بشع في الإبادة والعنف، الذي ارتكبه العسكر الفرنسيون في تلك المناطق لمدة زادت عن قرن من الزمن. انتهى العديد من ابناء تلك المناطق كلاجئين في ضواحي باريس المسمّاة banlieus، حيث سكن هؤلاء في احياء فقيرة تخضع لكافة انواع القمع والاحتقار والإذلال. ثمّ تنشر رسوما تسخر من هؤلاء. أمرمضحك للغاية.

وحتى لو كانت هذه إبتذال طفولي، فيجب حمايتها، برأيي.

لقد تمّ اختيار اليهود عمدا في عمليات القتل، التي جرت في محل البقالة اليهودي في فرنسا. استغل *بنيامين نتنياهو* واعضاء حكومته ذلك الحادث، وطلبوا من اليهود الفرنسيين أن يهاجروا إلى إسرائيل.

نعم، جرى الهجوم على محل البقالة اليهودي بعد يومين من الهجوم على مقرّ مجلة شاغلي إبدو. تمّ احتجاز عدد من الرهائن وقتلوا 4 منهم.[92]

لا شكّ، توجد حركة معادية للسامية في فرنسا، وهذه حقيقة واقعية خطيرة في ذات الوقت. وبطبيعة الحال، لا يمكن مقارنتها بمستوى المعاداة الشديدة للإسلام والمسلمين. الفكرة بأنّ اليهود لا يستطيعون أن يعيشوا حياة آمنة في فرنسا، ليس سوى وهم. لو أخذت الحركة الإرهابية بشكل عام، كم عدد المواطنين الأمريكيين من ضحايا هذه العمليات؟ عدد الناس الذين يفقدون حياتهم بسبب حوادث الطرق يفوق جدّا عدد ضحايا العمليات الإرهابية.[93]

الإرهاب موجود وهو مسألة خطيرة، وهناك عدة طرق للتعامل معه. الوسيلة الأساسية هي أن نتوقف نحن من جانبنا عن القيام به. مثلا، برنامج *أوباما* لحملة الإغتيالات العالمية باستخدام الطائرات المسيّرة، هو أشدّ الأعمال الإرهابية تطرّفا. إنّه حملة تستهدف اغتيال كلّ من تشكّ الولايات المتحدة بأنّه يخطط لإلحاق الأذى بنا في يوم من الأيام، ولا بأس أن يُقتل أثناء عملياتنا هذه ناس آخرون ابرياء شاء قدرهم أن يكونوا متواجدين في لحظة الإغتيال قرب المنطقة. وهذا عمل إرهابي على مستوى عال، بكلّ معنى الكلمة.

بالمناسبة، تقوم إسرائيل بعمل ذلك بشكل مطابق وتحت نفس الإعذار. وهو قتلّ كلّ من يُشكّ بأنّه يخطط لتنفيذ عمليات داخل إسرائيل. لقد قصفت إسرائيل وما زالت سوريا متذرعة بهذه الحجّة. فمثلا استهدفت رجلا كان ابوه قد قُتِل من قبل، وتمّ في ذات الوقت اغتيال عدد من الإيرانيين، كما كُشِف عن ذلك فيما بعد.[94]

لو افترضنا أنّ إيران اغتالت عددا من الإسرائيليين، الذين شكّت أنّهم يدبّرون خططا ضدّها. وهذا شيء محتمل لأنّ إسرائيل تخطط دائما ضدّ إيران وتدعو علنا إلى مهاجمتها. فإذا افترضنا أنّ إيران تقتل إسرائيليين داخل إسرائيل. هل سيكون ذلك أمرا مقبولا؟ بطبيعة الحال لا، وأنّنا بسبب ذلك سنعلن الحرب على إيران. ولكن حين نقوم نحن والإسرائيليون بفعل ذلك على نطاق واسع وقتل الآلاف من البشر، فذلك أمر لا بأس به.

لو توقفنا عن مثل هذه الأعمال، فإنّها ستقلل إلى حدّ كبير من حجم الإرهاب حول العالم، وسيكون لهذا التوقف تأثيرات أخرى. أصبح من المعروف الآن بأنّ هجمات طائرات الدرون تولد هجمات إرهابية مضادّة. بالمناسبة، كانت هذه إحدى القضايا، التي درسها *فرَد برامنفمَن*، واعطانا الكثير من الأدلة، التي يعرفها العديد من المسؤولين الأمريكيين في الإدارات المتعاقبة، وبأنّ هذه الهجمات تزيد من عدد المتطوعين الجدد للحركات الجهادية. وعليه، إذا خففنا من عملياتنا الإرهابية، فإنّ ذلك سيُخفّض بدوره أعمال الأرهاب، التي تدخل "ذاكرتنا الحية،" أي الهجمات ضدّنا.

إنظر إلى الدراسات التي تمّ نشرها. لقد تزايد عدد الناس الذين تطوّعوا للجهاد بعد أن اطلعوا على اعمال التعذيب الوحشي في "سجن أبو غريب،" والتي قامت على الإذلال والقمع والتعدّي على كرامات الناس وذاقوا العذابات، التي قاسوها خلف جدران ذلك السجن الرهيب على يد عسكرنا الأمريكيين. وهذا تفسير جلي لردّ الفعل على اعمالنا الإرهابية. يقول *فرَد* بصراحة ماذا يجب عمله إذا كنت تريد تخفيف عمليات إرهابهم ضدّنا. إلغ وقلل من نشاطاتنا، التي تشجّع وتولد النشاطات الإرهابية.

كان إثنان من المساهمين في هجمات باريس من أصل جزائري. ذكّرنا روبَرت فِسك في مقالة نُشِرت حديثا له بأنّ أكثر من مليون جزائري قد قُتلوا على يد العسكر الفرنسيين خلال حرب

الاستقلال التي استعرت ما بين السنوات 1954 لغاية 1962، [95] وكان ذلك تقريبا واحدا من كلّ عشرة افراد من مجموع سكان البلاد.

نعم، هذا كلام دقيق. لم تدخل هذه الأرقام في ذاكرتنا الحيّة، لكنّها موجودة في ذاكرة ذوي الضحايا واصدقائهم ومعارفهم. كما أنّهم يتذكّرون أيضًا ما جرى منذ مطلع القرن التاسع عشر حين غزا الفرنسيون الجزائر واحتلوها. كان الهدف الواضح هو إبادة السكان الأصليين للبلاد. لم يكتفوا بارتكاب ذلك في الجزائر فقط، بل كرّروه في مستعمراتهم الأخرى.

دعنا ننتقل إلى قضايا أقلّ إثارة للجدل. لقد توصلت إلى استنتاج حول الربّ عن طريق ملاحظة ما كان يقوم به جدّك.

كانت اسرة والدي من اليهود الأرثوذُكس الملتزمين دينيا، خاصّة جدي الذي هاجر من أوروبا الشرقية وجلب معه صيغة ممارسات تشبه ممارسات القرون الوسطى، التي عاشها اليهود في المناطق الريفية هناك. أتذكّر أنّنا كنّا نأتي لزيارته في الأعياد اليهودية. في إحدى المرات في عيد الفصح Passover، لاحظت أنّ جدّي كان يدخّن. كنت أعرف أنّه من غير المسموح به إيقاد النار في يوم السبت، وأنّ التلمود يؤكّد على عدم وجود فرق بين الأعياد ويوم السبت، إلّا فيما يتعلق بمسألة الطعام. أي وجود سماح بإيقاد النار أيام الأعياد لتحضير وجبات الطعام فقط، ولا شيء غير ذلك. أخبرني أبي أنّ جدّي قد قرّر أنّ التدخين شيء يشبه تناول الطعام.

وعليه، أدركت أنّ جدّي المتديّن اعتقد أنّ الربّ لن يلتفت إلى هذه التفصيلات وستنطلي عليه تلك اللعبة. حين فكّرت بالأمر بدا لي أنّ القضية تشمل كافة المعتقدات، بأنّ الربّ لن ينتبه إلى مخالفة الوصايا العشرة. في الحقيقة، لا أحد يستطيع أن يلتزم بهذه الوصايا كاملة وعلى الدوام. وعليه، يجد الناس مختلف الأعذار والحيل للإلتفاف عليها. وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ مفاهيم الربّ في ذهن صبيّ في العاشرة من عمره، اتخذت منحى آخر.

متى توصلت إلى قناعاتك بصدد هذا الموضوع؟

في الحقيقة، إنّني لم اقتنع بالموضوع لأنّني لم اعرف طبيعة السؤال. ما هو الذي لا وجود له؟ لا يوجد جواب لمثل هذا السؤال، حسب معرفتي.

في محاضرة لك القيتها في جامعة پرنستُن ذكرت واحدا من الأسباب، التي جعلتك تهتمّ بموضوع علم اللغويات Linguistics. كان ذلك بسبب إدراكك أنّ الإنجيل لم يُترجم بشكل صحيح.

لقد قيل لي عن ذلك. كنت ادرس اللغة العربية في المرحلة الجامعية الأولية مع الأستاذ جورجيو *لفي دالا فيدا*، وهو مهاجر إيطالي معادٍ للفاشية. كان عالما ورائدا في مجال اختصاصه، ولكن وقتها لم أكن على علم بمكانته. أصبحنا بمرور الوقت صديقين.

أكان ذلك في جامعة پَنسِلفَينيا؟

نعم. ذكر لي بأنّ الجملة الأولى من الأنجيل فيها خطأ في التعبير misvocalized، إذ تقول bereshit bara. وهي عبارة غير سليمة من ناحية قواعد اللغة. تُرجِمَت إلى، "في البداية خلق الربّ..." لكنّها في العبرية الأصلية كانت تقول bereshit bro، التي تترجم إلى، "في بداية التكوين، كانت هناك فوضى". استمر هذا الخطأ في الترجمة لمدة ألف عام دون أن ينتبه إليه أحد.

وإنّك توصلت إلى استدلال من ذلك؟

هناك الكثير ممّا يجب تعلّمه.

لقد ذكرت أنّ التلمود هو نصّك المثالي. لماذا؟

إذا نظرت إلى صفحة من التلمود ستجد في وسطها نصّا مأخوذا من المشناه Mishnah، وهو كتاب الشرائع. ستجد حول ذلك النّصّ تعليقات هامشية، تجد في اعلى الصفحة إلى جهة اليمين شرح وتعليق من قبل شخص ما، ومن الجهة اليسرى تجد تعليقا وشرحا من شخص آخر. ستجد أنّ 90% من الصفحة مملوء بتعليقات وشروح حول ذلك السطر الموجود في منتصف الصفحة. لو استطاع أيّ منّا أن يدوّن تعليقات الحواشي بهذه الصورة، سيكون ذلك عملا لغويا بارعا.

الحوار السادس
إشاعة المخاوف والترويج لها

سانتا فَي، نو مكسيكو، 18 مارس 2015

أعلن السَنتور عن ولاية آركنسا، توم كوتِن، حديثا أنّنا نواجه مخاوف كثيرة مصدرها إيران لأنّها "أحكمت السيطرة على طهران".[96]

لو قرأت صحيفة الواشنطن پوست لاكتشفت أنّ *كَوتِن* هذا له سجلّ حافل بمثل هذا التقوّلات، رغم أنّه خريج جامعة هارفرد، ويعدّ نفسه ليكون متخصص القضايا الخارجية في هيكل الحزب الجموري، ويتسلم الدور، الذي لعبه *جون مَككَين ولِندزي گرام*.[97] كما أنّ له أفكارا أخرى جديره بالإنتباه. لا أدري إذا كنت من المتابعين لسيرته. عندما رشّح نفسه لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية آركِنسا، حذّر من أنّ عصابات تجارة المخدّرات في المكسيك لها ارتباطات بتنظيم داعش ويعملان معا على إرسال الإرهابيين عبر الحدود لقتل مواطني آركِنسا. وكلّ هذا بطبيعة الحال راجع إلى إدارة *أوباما*، التي تركت الحدود مفتوحة يسهل اختراقها.

لقد راينا مثل هذه النشاطات لنشر المخاوف والترويج لها في اماكن أخرى من العالم أيضا، وأفضل مثال على ذلك في إسرائيل، حيث حذّر *بنيامين نَتنياهو* الناخبين من أنّ المواطنين العرب سيتراكضون إلى مراكز الاقتراع ليدلوا باصواتهم تأييدا لممثلي اليسار، بتشجيع من الحكومات الأجنبية. كلّ هذه الجهود ترمي إلى إضعاف سياسته في الدفاع عن إسرائيل وحمايتها من الإرهابيين.[98] للأسف، إنّ مثل هذا المزيج من التخويف والعنصرية قد حققّا له الفوز في الانتخابات.

ذكر مؤسس موقع الإنتفاضة الإلكترونية *علي أبو نعمه* أنّ *نَتنياهو* جيد لصالح القضية الفلسطينية. لماذا؟ لأنّه واضح جدّا في كلامه لا يتكتم على برامجه العدوانية. لا للدولة

الفلسطينية ولا للمرونة. في رأي *أميره هاس*، مراسلة صحيفة هاآرتز، أنّ الفرق بين الحزبين الرئيسيين في إسرائيل سطحي، وأنّ مشروع الدولتين لحلّ المشكلة يحتضر. في الحقيقة يتحول إلى مشروع 10 دويلات "مجموعة من البانتوستانات Bantustans، (على غرار ما كان في فترة حكومة جنوب إفريقيا العنصرية) داخل الضفة الغربية".[99]

يمكنني أن أصفها بشكل آخر. إنّ إسرائيل تتبع برنامجا ذكيّا بإدماج أيّ شيء له قيمة بالضفة الغربية ليكون جزء من إسرائيل، واستثناء مناطق التجمع السكاني الفلسطينية. وعليه فإنّ المناطق، التي ستدمجها ليس فيها فلسطينيون، والقليل المتبقي يجري طردهم من تلك المناطق. وعليه لن تكون هناك دولة واحدة للجميع "ولن توجد مشكلة ديمغرافية السكان". وسيخسر الفلسطينيون كلّ شيء. ذلك هو الخيار المتوقع لمشروع حلّ الدولتين، ولا يجرؤ أحد على طرح مشروع حلّ الدولة الواحدة. الإختيار المتوقع بدلا من حلّ الدولتين هو ما شرحته في اعلاه، والسياسة لتطبيق ذلك جارية على قدم وساق.

ما دامت الولايات المتحدة مستمرة في تقديم العون، فليس هناك سبب يدعو إسرائيل للتوقف عن نشاطاتها التوسعيّة، سواء كان *نَتنياهو* رئيسا للحكومة أم غيره. إنّ السياسة العنصرية المتطرفة المقلقة، التي يتبعها *نَتِنياهو* والقائمة على منطقه، توجد لها استثناءات قليلة بين اتباع الأحزاب الأخرى، رغم أنّ *أميره هاس* محقة في قولها بإنّ الإختلافات بين الأحزاب سطحية وليست أساسية.

كتب الفيلسوف *جون ديوي* منذ سنوات أنّه، "ما دامت السياسات تشكل ظلالا منبسطة على المجتمع بفضل اصحاب الأعمال الكبيرة، فإنّ إجلاء تلك الظلال، لا يغيّر صلب الموضوع".[100] كيف تقيّم هذه الظلال في الوقت الحالي؟

تعليقات *ديوي* دقيقة. أنظر إلى المحاولات التي تجري لخصخصة الرعاية الطبية، مَدِكَير Medicare وفق الميزانية التي أعدّها *بول رايّن*، رئيس مجلس الشعب للفترة من تشرين الأول عام 2015 لغاية كانون الثاني 2019. نظام الرعاية الطبية هو أحد دعائم نظام الرعاية الصحية Health Care، الذي يعمل بشكل معقول لكونه غير خاضع للخصخصة. إنّ النقص في كفاءته وزيادة كلفته يعودان إلى حقيقة أنّه يجب أن يعمل ويُدار وفق نظام بيروقراطي عاجز، كالذي يوجد عندنا هنا في الولايات المتحدة. وعليه، حين يطالب البعض بخصخصة نظام الرعاية الصحية فهو يشبه القول، "دعونا نخرّب النظام الوحيد الذي يعمل لمصلحة عامة الناس، رغم نواقصه".

تطالب الجماعات المتطرفة في الحزب الجمهوري بقطع التمويل عن نظام الرعاية الطبية، مَدِكَير وقطع تمويل برنامج بطاقات الغذاء المجاني Food Stamps، وترك عشرات الملايين من المواطنين بدون تأمين صحّي، من خلال محاولات الغاء قانون الرعاية بكلفة معقولة Affordable Care، رغم نواقصه. لكنّه افضل ممّا كان يسري قبله من ممارسات ضمنت منح الإثرياء مزيدا من الثروة. السياسة الثابتة لهم هي عمل كلّ ما من شأنه لزيادة ثروة الأغنياء واصحاب المراكز العالية من جهة، ومن جهة أخرى مهاجمة كلّ ما من شأنه أن يفيد الصالح العام.

نظرا لأنّ العمل بموجب خطة كهذه لا يؤمّن الحصول على الأصوات الانتخابية، عمد مدراء فروع الحزب الجمهوري إلى التعتيم على مواقفهم، واستهدفوا بنشاطاتهم بعض الفئات الشعبية من السكان وقاموا بتحريضها وتحريكها وتحويلها إلى حركة سياسية نشطة، واقصد هنا المسيحيين من اتباع الكنيسة الإنجيلية Evangelicals، فاصبح هؤلاء أدوات طيّعة وقاعدة للحزب الجمهوري. الفئة الأخرى هي صنف من المتطرفين البيض Nativists، الذين لديهم قناعة بانّ الوطن قد استولى عليه الوافدون الغرباء، وأنّ موقفا كهذا لا يمكن تحمله بالنسبة لهم، ولن يقفوا جانبا ويشاهدوا ذلك التحوّل الجاري أمام انظارهم وبأنّهم اصبحوا اقليّة في بلدهم. لقد بلغ الخوف لدى هؤلاء إلى حدّ حمل السلاح حين الذهاب إلى مقهى Starbucks بغية الحصول على كوب من القهوة. مَن يدري ماذا يهدّدهم هناك؟ في الحقيقة تمّ تشريع قانون في ولاية أوهايو يسمح بحمل السلاح لمن يأخذون اطفالهم إلى مراكز الرعاية اليومية Daycare Centers.[101] ربّما يكون هناك اطفال بعمر 3 سنوات قد درّبهم تنظيم داعش لتنفيذ الأعمال الإرهابية. مَن يدري؟

لو تأملنا مواقف هاتين الفئتين بشكل عام من قانون *أوباما* للرعاية الصحية Obamacare، لرأينا أنّها سلبية في الغالب. لقد اعترضت عليه غالبيتهم، رغم أنّ هذه الغالبية كانت تطالب ولسنوات عديدة بقوّة وتفضّل نظاما وطنيا للرعاية الصحية. وبطبيعة الحال، ليس نظام *أوباما*. فهذا ليس نظاما صحيّا وطنيا وهناك اعتراضات عليه، لا نعرف مداها، لأنّ الأسئلة لم تُطرح بشأنها خلال استفتاءات الرأي العام، التي لم تذهب بعيدا بشكل كاف. غير أنّ الكثير من الإعتراضات هي من النوع الذي انعكس في أحد الشعارات المرفوعة خلال اجتماع في قاعة إحدى المدن. طالب ذلك الشعار، "بأن ترفع الحكومة يدها عن نظام رعايتي الطبية".[102] هؤلاء الناس لا يعرفون حقيقة ماذا تفعل الحكومة. وهذا الجهل هو انتصار مشهود للنظام الدعائي propaganda في البلاد، الذي يربك

المواطنين ويجعلهم لا يدركون كنه القضايا، وبشكل خاص اهمية نظام الرعاية الصحية في حياتهم ودور الحكومة في حمايته من محاولات الخصخصة.

الميل لزيادة ثروة الأثرياء ومَن يتمتعون بمراكز القوّة على حساب المواطنين الآخرين، لا يتوقف طبعا وكما تعرف على افكار *بَول رايَن*. كنت في الأرجنتين والتقيت ببعض الناشطين من حركة پودَموس Podemos القادمين من اسپانيا، ما هي انطباعاتك عن ذلك اللقاء؟

كان مؤتمرا للناشطين من كافة انحاء العالم، خصوصا من أمريكا الجنوبية، ولكن حضره أيضًا اعضاء من حركة پودَموس الأسپانية وأيضا ممثلون عن حركة سيريزا Syriza اليونانية وغيرهم.

منذ 500 عاما على وصول المستعمرين الأوروپيين إلى سواحل قارة أمريكا الجنوبية، والقارة محكومة من قبل هذه القوى الأجنبية. كانت تشكيلات الحكومة محدودة صغيرة اقتصرت على الإثرياء للغاية من الذين يعتزّون بإصولهم الأوروپية، وغالبيتهم من نخبة البيض المتسلطين على اقدار شعوب فريسة للفقر والمعاناة. وهؤلاء ذوو توجّهات خارجية، فلهم قصور فارهة على سواحل الريفيرا الفرنسية ويبعثون بأموالهم لإيداعها في مصارف زيورِخ، إلى غير ذلك.

أبدت حكومات أمريكا الجنوبية استعدادا أكبر لتقبّل افكار اللِبرالية الجديدة ووضعت سياساتها وفق متطلبات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وتعليمات وزارة المالية الأمريكية. ومن الطبيعي أنّ شعوب تلك البلدان عانت للغاية نتيجة للسياسات المذكورة. غير أنّه خلال 15 عاما الأخيرة، بدا وكأنّ تلك الحكومات أخذت تتحوّل تدريجيا من تلك التبعيّة وذلك النهج ازاء القضايا العالمية. وهذا هو سبب انعقاد المؤتمر في قارة أمريكا الجنوبية، ولماذا دعا منظمو المؤتمر بعض المشاركين للحضور من اسپانيا واليونان، اللتين تعرضتا بشكل خاصّ لأزمات مالية خانقة بسبب سياسات المؤسسات المالية المشار إليها في اعلاه.

إنّ البرنامج الاقتصادي المتوحش، الذي فُرِض على الشعوب الأوروپية قد قوّض الديمقراطية بشكل جدّي، وكانت تأثيراته مدمرة بالنسبة لاقتصاد الشعوب الضعيفة في اطراف القارة الجنوبية. ففرض سياسات التقشف تحت اوضاع الركود السياسي، الذي ضرب تلك المناطق، كان قرارا قاسيا زاد من معاناة تلك الشعوب. لقد رأى صندوق النقد الدولي ذاته أنّ الشروط

المفروضة لحلّ الأزمة غير منطقية، من وجهة النظر الاقتصادية.[103] لكنّها منطقية في ضوء وجهات نظر الحرب الطبقية. إنّهم يجلبون الأرباح للمصارف بشكل متزايد حدّ التخمة، وفي ذات الوقت يفككون البرامج الاجتماعية ويقضون عليها. أعتقد أن تلك هي الأغراض من السياسة المفروضة، تفكيك كافة البرامج النافعة ذات الصبغة الاجتماعية الديمقراطية، التي تعتبر أكبر انجاز أوروپي بعد الحرب العالمية الثانية.

من الطبيعي، كان هناك ردّ فعل مناهض قويّ ضدّ السياسات المشار اليها، بدأ في اليونان التي كانت أشد تعرضا للتعسّف. طالبت اليونان، وفق قوانين الإتحاد الأوروپي نفسه، الإيفاء بالتزاماته لمساعدتها في إعادة هيكلة ديونها والأرباح العالية المفروضة عليها، لغرض إنقاذ البلاد من أزمة مُفتعلة. لكنّ البنوك الألمانية، التي كانت مسؤولة أصلا عن بروز تلك الأزمة تعنّتت بشكل متعجرف لمنع اليونان من الإقدام على تلك الخطوة.[104] كان ذلك الرفض شيئا مثيرا للإشمئزاز، خصوصا وأنّ ألمانيا كانت المستفيدة من إجراءات إسقاط الديون المستحقة عليها بعد الحرب العالمية الثانية. في عام 1953 سُمِح لألمانيا من قبلِ الحكومات الأوروپية الأخرى أن تلغي كافة الديون المستحقة عليها.[105] في الحقيقة، أنّ تلك الخطوة هي العامل الرئيسي الذي فتح المجال للاقتصاد الألماني المُدَمّر أن يستعيد عافيته، ويصبح بعدها المركز الفعّال في أوروپا. وأكثر من ذلك، أنّ ألمانيا نفسها مدينة لليونان لأنّها دمّرت ذلك البلد وأحلت به الخراب خلال سنوات الحرب. أليس من حق اليونان أن تطالب بقدر محدود من المساعدة والدعم، اللذين حظت ألمانيا بهما عام 1953؟ لكنّ القوّة المسيطرة على دفة الأمورفي ألمانيا والمتمثلة في البك الفدرالي الألماني، رفضت طلب اليونان جملة وتفصيلا.

كانت اليونان في وضع اقتصاديّ متردّ، مقارنة باسپانيا ذات الاقتصاد الأقوى نسبيا. برز فيها خلال السنوات الأخيرة حزب سياسي جديد إسمه Podemos، الذي وعد بالغاء كافة برامج التقشف التي فُرِضَت على البلاد وبناء اقتصاد إشتراكي فيها. في إسپانيا، وكما الحال في اليونان، المجرمون الذين تسببوا في خلق الأزمة الاقتصادية هي البنوك، خاصة البنوك الإسپانية والبنوك الألمانية. وكما في اليونان، أرادت البنوك أيضًا أن تلقي بثقل الأزمة على كاهل المواطنين ليدفعوا كلفة الفشل الاقتصادي.

من الجدير بالذكر أنّ البنوك وقياداتها ليسوا من المؤمنين حقا بالنظام الرأسمالي. في المجتمع الرأسمالي، حين اقرضك مالا، ونظرا لأنّي أعرفك واعرف مخاطرة منحك قرضا، افرض عليك ربحا عاليا، من أجل التعويض عن المخاطرة. وعليه حين تحين اللحظة ولا تستطيع دفع القرض المترتب عليك، فإنّ المشكلة ليست مشكلتك وليست مشكلتي. هذه هي الكيفية التي يجري فيها النظام الرأسمالي. ولكن ليس هذا ما يجري في واقع الحال في مجتمعاتنا هذه الأيام. هنا تصبح مشكلتي هي مشكلة جاري. وجاري هنا هو الحكومة، التي ليست لها علاقة بالقصة. يجب عليها الآن أن تدفع من اموال الشعب لإنقاذي من الإفلاس. هذه هي الطريقة، التي يعمل فيها نظامنا الحالي. أنّه مناقض للأفكار الرأسمالية. وما يجري معقول من ناحية إعلان الحرب الطبقية على تلك الأسس. وهذا ليس فيه شيء من دلائل الرأسمالية ولا السوق الحرّة.

نشأتَ في فترة ثلاثينات القرن الماضي، حين تطلب الأمر موقفا تضامنيا. كان هناك دعم متبادل ويوجد اتحاد قويّ للحركة العمالية. ما الذي تعتقده أن سيكون الشرارة، التي ستطلق روح التضامن هذه؟

لو رجعت إلى فترة عشرينات القرن المنصرم وقارنت الوضع لوجدت أنّ الحركة العمالية قد دُمّرَت، ومن الناحية العملية لم يعد لها وجود، بل بقايا جيوب مبعثرة هنا وهناك. ألّف *دَيفِد مونتِگمري* كتابا هامّا بهذا الخصوص بعنوان، The Fall of the House of Labor.[106] كانت توجد في الولايات المتحدة حركة عمالية نابضة بالحياة ونشطة ذات توجّه راديكالي، لكنّه تمّ سحقها على يد طبقة أصحاب العمل وبدعم من سلطة الدولة. لقد تمكنوا من سحق الحركة وتدميرها، لكنّها عادت بعد اعوام قليلة فنشطت ثانية.

في الحقيقة، في فترة ثلاثينات القرن الماضي، تقدّمت الحركة العمالية الصفوف، فكانت هناك إضرابات واعتصامات وتظاهرات قادها **مؤتمر التنظيمات الصناعية**. كانت إدارة *روزفَلت* وديّة مع تلك التنظيمات إلى درجة معقولة واستجابت لبعض طلباتها المسنودة من قِبل الجماهير، التي وقفت خلف الحركة العمالية. وتمّ بفعل ذلك إنجاز ما سُمّي **تشريعات الصفقة الجديدة** New Deal Legislations، التي انتفعت منها غالبية السكان، وكذلك اقتصاد البلد.

بالمستطاع أن تُبعَث الحياة مجدّدا بالحركة العمالية في هذه البلاد، حالها حال الحركات الشعبية. هنالك سبب لأنْ يكون الإنسان متفائلا، بدليل التغيّرات الإيجابية، التي تحققت منذ فترة ستينات القرن العشرين. المجتمع اليوم، وبصور شتّى، أكثر تحضّرا عمّا كان عليه. حين بدأت إلقاء

محاضراتي العامة خلال الأيام الأولى للاحتجاجات ضدّ حرب فيتنام، كانت تلك تجري في بيوت بعض الأصدقاء أو في الكنائس، وحضرها عدد قليل من المهتمّين. حقيقة، ما كان يخطر ببال أحد منّا في ذلك الوقت، أنّ الاحتجاجات المضادة للحرب في فيتنام ستصل إلى تلك الدرجة من القوّة والإنتشار والحماس خلال فترة لم تتجاوز السنتين. لكنّ ذلك هو ما حدث فعلا.

وتكرّر الأمر على الجبهات الأخرى. القليل من المواضيع التي تمّ طرحها نادرا للمناقشة في مطلع الستينات، أصبحت الآن مقبولة ومسلما بها، مثل حقوق النساء وحقوق المثليين. جدير بالذكر، أنّه ما كان هناك قلق حول مواضيع البيئة في تلك الفترة. أمّا الآن فيوجد اهتمام حقيقي بها. أعتقد أنّ ذلك سيكون نقطة البداية لإعادة خلق حركة للتضامن والمساعدة المتبادلة والتفاني والالتزام. وهذه جميعا مفاهيم ضرورية في هذه الأوقات.

لا يمكننا تجاهل حقيقة أنّنا نعيش لحظة فريدة تماما من تاريخ البشرية. للمرة الأولى، ستحدّد القرارات التي نتخذها فيما إذا كانت حياة الكائنات بكافة اشكالها قادرة على النجاة أم لا. كان هذا الأمر صحيحا في الماضي، وهو صحيح للغاية في وقتنا الحالي.

الحوار السابع
التحالفات والهيمنة

كيمبرج، ماسّچوسِت، 22 أيلول 2015

بودي أن افتتح حوارنا اليوم باقتباس من مقالة جورج *أورول*، التي نشرها عام 1946 بعنوان، "لماذا أكتب". قال، "إنّ نقطة البداية عندي هي دائما الشعور بالشراكة، شعور بالظلم... إنّني أكتب لأنّه توجد كذبة مُتداوَلة وأريد فضحها".[107] ما هي النقطة، التي تودّ البدء بها؟

من الصعب تحديد ذلك. أكثر ما كتبته يقوم على حقائق علمية حيث تكون نقطة البداية مشكلة أو لغز يُراد معرفة حلّه، كما أشرت في احدث كتاب لي بعنوان، "**أيّ نوع من الكائنات نحن؟**"[108] البقية حول اشياء جارية في البلاد وفي العالم، داخليا وخارجيا، ممّا يبدو مضللا أو وُصف بأنّه زور. وهذه من الأهمية بحيث تتطلب انتباها شديدا.

وقعت وستيفِن *كِنگ* وآخرون التماسا حذرتم فيه من السباق للتسلح بالذكاء الإصطناعي AI.[109]

أعتقد أنّ ذلك الطلب قد أعدّه *ماكس تِگمارك*، وهو عالم فيزياء بارز في معهد ماسَچوسِت للتكنولوجيا MIT. إنصبّ قلقه بالدرجة الأولى على الأسلحة العسكرية آلية الإنطلاق automated، وهي ذات خطورة عالية. باستطاعة هذه الأجهزة الآلية القيام بمهام تقنية مبهرة للغاية. ولكن هناك أوقات يصبح اتخاذ القرار والحكم فيها ذا أهمية عالية. وهي طبعا مهيأة لذلك. إذا كانت الصواريخ والأنظمة النووية مصمّمة لتنطلق آليا، فيجب أن نتوقع حدوث اخطاء ستكون ربّما قاتلة، إذا لم يكن هناك شخص يتدخّل في الوقت المناسب. وكلما ازدادت آلية هذه الأنظمة، فإنّها تصبح أقلّ استجابة للتحكّم بها.

تحدّث الإلتماس أيضًا عن منافع الذكاء الإصطناعي. ما هي بعض تلك المنافع، من وجهة نظركم؟

سيكون شيئا جميلا أن يقوم إنسان آلي robot بتنظيف البيت واعداد وجبات الطعام وقيادة السيارة. باستطاعة هذه الآلات أيضًا القيام باشياء نافعة، في الحقيقة نافعة للغاية. منها التعويض عن البشر في المواقف الخطيرة جدّا للحيلولة دون تعرّض الأشخاص للنشاطات الإشعاعية أو المتفجّرات، وغيرها من المهام المتميّزة بالخطورة. وفي الحقيقة أيضا، التعويض عن البشر للقيام بالأعمال الروتينية الرتيبة، خاصة في عمليات التصنيع. في ذهني انظمة تحسّن قدرتنا على الحياة بشكل افضل، حياة كريمة مُنتجة نبتغيها جميعا.

نلاحظ في أيامنا هذه أكبر حركة للهجرة البشرية صوب أوروپا وفي داخلها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ما هي ملاحظاتك عن هذه الكارثة البشرية؟

لسوء الحظ، هناك عدة كوارث، لكنّنا يجب أن نلتزم الحذر ولا نبالغ في حجومها. أشار كِنِث رَوث، من منظمة مراقبة حقوق الإنسان، حديثا إلى أنّنا لو حسبنا مجموع المهاجرين بالكامل لما زاد عن واحد بالمائة من مجموع سكّان القارة الأوروپيّة.[110]

من مجموع سكّان العالم؟

لا سكّان أوروپا. بالنسبة لبعض البلدان، مثل ألمانيا، فإنّ مثل هذه الهجرة نافعة لها من الناحية الاقتصادية والاجتماعيّة. إنّ اللاجئين، خصوصا القادمين من سوريا هم من المتعلمين من ابناء الطبقة الوسطى في المجتمع ومن ذوي المهارات. تواجه ألمانيا مشكلة سكانية، فالمجتمع لا ينجب العدد المطلوب من المواليد. وعليه توجد فيها أقلية من اعداد الشباب المؤهلين من ذوي المهارات. هذا هو السبب، الذي يجعل ألمانيا تتخذ موقفا ليّنا ازاء المهاجرين، مقارنة بالبلدان الأوروپيّة الأخرى.

رحّبت بلدان أخرى أيضًا بالمهاجرين، أليس كذلك؟

نعم. لبنان مثلا، وهو البلد الصغير الفقير، الذي اصبح عدد المهاجرين إليه يُشكّل ما يقارب رُبع عدد السكان الأصليين. كما آوت إيران بعض المهاجرين من أفغانستان والعراق، واستقبل

الأردن أعدادا كبيرة من المهاجرين العراقيين والسوريين، واستقبلت تركيا اعدادا كبيرة من المهاجرين السوريين، الذين وظفتهم وما زالت لخدمة مصالحها. في الحقيقة، كانت سوريا من بين الدول، التي تستقبل المهاجرين قبل أن تحلّ بها الكارثة.

هناك بلدان تُعتبر مصدرا للهجرة. لقد أطلق الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله عددا من الأزمات، ومنها بروز تنظيم داعش، الذي خلق بدوره اعدادا هائلة من المهجّرين والمهاجرين. لا أحد يعرف بالضبط اعداد هؤلاء، وربّما تتراوح بين المليون والمليونين، إضافة إلى مليوني نازح داخل البلاد.[111] يهرب اللاجئون من العراق، كما يهربون من أفغانستان وكذلك ليبيا، بعد أن دمّرنا تلك البلدان.

خلاصة القول، إنّ هناك بلدان تستقبل المهاجرين، وتوجد أخرى تتسبب في خلق أزمتهم. وبطبيعة الحال، نحن من الصنف الثالث، إذ نتسبب في خلق أزمات المهاجرين ونرفض استقبال أيّ منهم، باستثناء عدد محدود من الذين تعاونوا معنا كمُخبرين ومترجمين، خاصّة من الشرق الأوسط. لكنّ عدد هؤلاء يشكّل نسبة ضئيلة للغاية، من مجموع ضحايا أعمالنا، التي قمنا بها هناك. يمكنك أن تقول نفس الشيء عن بريطانيا وفرنسا، اللتين تسببتا في خلق ازمات اللاجئين من المهاجرين.

علينا أن نتذكّر أنّ اللاجئين في القسم الغربي من الكرة الأرضية، لم يُقدِموا على الهجرة بمحض إرادتهم. في الحقيقة، إنّ الأمم المتحدة قد ناشدت طلبا للمساعدة الإنسانية لمساعدة هؤلاء اللاجئين أن يمكثوا اين يشاؤون، ولكن بالقرب من بلدانهم الأصلية. لكنّ المنظمة لم تتلقّ الأ نصف المساعدة المالية، التي طلبتها.[112] من اكثر الإجراءات البناءة إنسانية، هي أن تشجع المهاجرين أن يقيموا قرب مواطنهم الأصلية. وهذا يعني تقديم العون والمساعدة، ولو كنّا أمينين، تقديم التعويضات لهم، لأنّ ما جرى لهم كان بفعل ما خلقناه نحن من الأسباب الداعية لهروبهم طلبا للنجاة.

منذ أخذت أزمة ما سُمّي باللاجئين الأمريكيين تزداد حدّة بدأ من عام 2014، كان أكبر عدد من اللاجئين قادما من هندورَس.[113] لماذا هندورَس؟ إنّه بلد فقير فيه الكثير من العنف والتدمير. غير أنّ هذا العنف إشتدّ سفكا للدماء بعد عام 2009، حين قام الجيش بانقلاب عسكري واسقط الحكومة البرلمانية. كانت الولايات المتحدة هي البلد الوحيد تقريبا، الذي دعم الإنقلاب وأيّد شرعيته. لقد قاد هذا الإعتراف إلى زيادة عدد القتلى وارتفاع شدّة القمع، فبدأ الناس بالفرار من مناطق سكناهم طلبا للنجاة بأرواحهم. حين تدعم شيئا من قبيل انقلاب عسكري، فستكون لذلك الدعم

عواقب. وهي عواقب مماثلة لما جرى حين قصفنا ليبيا ودمّرناها، أو حين غزونا العراق وسحقناه فتحوّل إلى أشلاء.

أفريقيا إلى حدّ كبير تحت الرادار، خاصّة القسم، الذي يقع جنوب الصحراء. وهو ساحة واسعة ساخنة للحروب والتدمير والمذابح. لماذا لم نعد نسمع شيئا عمّا يجري هناك؟

هناك تواجد عسكري أمريكي ضخم في المنطقة، حسب ما ذكر الصحفي *نِك تورِس*، لكنّ هذا التواجد تحت شبكة الرادار أيضا، كما أشرت.[114] تقوم الولايات المتحدة في العادة بعمليات عسكرية محدودة في إفريقيا، ولا تشترك فيها اعداد كبيرة من القوات. في الحقيقة نسمع القليل عن الأعمال الوحشية. كم نسمع مثلا عمّا يجري في شرق الكونگو، التي ربّما تشكّل أسوأ كارثة في العالم؟ قُتِل الملايين من الناس هناك.

أمّا إذا كنت تتساءل إن تمّ نشر الأخبار عن تلك المذابح أم لا، فإنّ الأمر يعود إلى المصالح الخاصّة، وليس إلى ما هو هام أو غير هام.

وبهذا الصدد، فإنّ المشكلة الكبرى هي التغاضي وعدم توجيه النقد ومتابعة ما يجري من السياسات الخاصة باصدقائنا وحلفائنا.

طبعا، يوجد بين اصدقائنا وحلفائنا من الأنظمة ما هو عنيف ودموي وعدواني، يقوم بعمليات قصف مدمّرة، من شأنها خلق أزمات أنسانية. وما يُعقّد الموضوع هو أنّهم لا يكتفون بالقصف فقط، بل أنّهم يقصفون دون تمييز.

لا يمكننا أن نصف *هِلاري كلِنتُن* حقيقة بأنّها راديكالية. لقد ذكرت، "بأنّ أحد البلدان يُعتبر مصدر التمويل الرئيسي لجماعة الإرهابيين من السنّة حول العالم".[115] كيف يمكن اعتبار نظام كهذا حليفا رئيسيّا للولايات المتحدة؟

هناك كلمة ساحرة مكونة من ثلاثة حروف، أضف إلى ذلك أنّ هذا النظام مطيع للغاية، منذ تأسس في فترة الثلاثينات، ولا يزال حليفا اساسيا. في الحقيقة أنّه كان هناك خلال الحرب العالمية الثانية صراع على النفوذ بين الولايات المتحدة وبريطانيا، حول من سيتحكّم بالمنطقة. كانت بريطانيا هي من يقوم بذلك قبل اندلاع الحرب، لكنّ الولايات المتحدة دفعتها جانبا وتقلدت مهمة

السيطرة وحظيت بامتيازات هائلة. اصبحت واشنطن ولا تزال القوة المهيمنة، التي توفر السلاح وتتقاضى اثمانه مئات بلايين الدولارات.

ما ذكرته *هِلاري كلِنتُن* صحيح. في الحقيقة أنّ لجنة البرلمان الأوروپي توصلت إلى نفس الاستنتاجات بأنّ تلك الجهات في المنطقة، هي المسؤولة عن تمويل الجماعات الجهادية المتطرفة،[116] إضافة لكونها مركز الأصولية المتطرفة. حين كان البريطانيون يسيطرون على المنطقة، كانوا ميالين لمساعدة الجماعات الإسلامية المتطرفة كي تقف في وجه الحركات الوطنية العلمانية. وحين بسط الأمريكيون سلطتهم على المنطقة، فإنّهم ساروا على نفس النهج.[117] وفي رأي القوّتين فإنّ الإسلام المتطرف هو الحليف الطبيعي بدلا من الحركات الوطنية العلمانية. تشكّل هذه الحركات تهديدا للنفوذ الأجنبي، لأنّها تريد استغلال ثروات البلدان الطبيعية لتطوير شعوبها وتوفير الحياة الكريمة لها. لكنّ الإسلام الأصولي له اتباع متعصبون، وهم حقيقة لا يعترضون بشكل جوهري على السيطرة الاستعمارية. في الحقيقة، أنّهم في الغالب يعتمدون عليها.

أمّا علاقة الولايات المتحدة الخاصّة بإسرائيل، فهي علاقة فريدة إذا نظرنا إليها في ضوء العلاقات الدولية. كانت هذه العلاقة وعلى مرور الزمن وثيقة للغاية، لكنّها خرجت عن الطور المألوف بشكل غير معقول بعد حرب عام 1967. كانت تلك هي الحرب، التي قدّمت فيها إسرائيل خدمة كبيرة للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، من الذين كانوا في حالة صدام دام في حرب اليمن، رغم أنّ الخلاف بشأن اليمن كان جزء من الخلاف الأعمق. من ستكون له الغلبة في قيادة العالم العربي الإسلامي؟ كانت مصر هي مركز الحركة الوطنية العلمانية في العالم العربي، وكانت بلدان أخرى هي مركز الإسلام الأصولي المتعصّب.

لقد وفّرت إسرائيل الحلّ المناسب لهذا الصراع المحتدّ بأن دمّرت النظاميين الوطنيين وإلحاق الهزيمة الساحقة بجيشي مصر وسوريا ومعهما عسكر الأردن. لا أودّ أن اترك انطباعا بإنّ ذلكما النظامين كانا يقومان على حكومتين جيدتين، بأيّ شكل خاص. لكنّ القاهرة ودمشق كانتا مركزي الحركة الوطنية والعلمانية. ومن هنا تغيّرت العلاقة مع إسرائيل بشكل راديكالي.

تُعتبَر الإتفاقية النوويّة مع إيران بأنّها "هزيمة مذهلة" للجنة العلاقات العامة الإسرائيلية الأمريكية AIPAC، وهي أكبر لوبي إسرائيلي في واشنطن.[118] هل ترى تلك الإتفاقية بنفس المنظور؟

هذه حالة غير عاديّة قليلا، وليست هذه اللجنة وحدها هي من اتخذ موقفا مضادّا من تلك الإتفاقية. لقد عارضها وصوّت ضدّها النواب واعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون بنسبة100%. وهذا نوع من الولاء لخطّ هذا الحزب لا تراه عادة في الأحزاب السياسية، باستثناء الحزب الشيوعي. فاعضاء هذا الحزب يلتزمون دائما بالموافقة على قرارات لجانهم العليا. وهذه إشارة إلى أنّ الحزب الجمهوري لم يعد قوة سياسية بالمفهوم الطبيعي المعروف.

السؤال هو، لماذا اصطفوا معترضين على الإتفاقية النووية مع إيران؟ كانوا إلى درجة ما يعيدون الروح لمبدأ أساسي للحزب الجمهوري، منذ تمّ انتخاب *أوباما* للرئاسة، وهو تخريب أيّ شيء قد يُعتبَر إنجازا لإدارته. لو لم تكن الصفقة قد تمت خلال فترة رئاسته، لربّما كان الجمهوريون داخل الحكومة وخارجها في صفوف المصفقين لها.

كما أنّ الإعتراض على الإتفاقية يعود إلى الطريقة، التي تطوّر بها الحزب الجمهوري ذاته. وكما ناقشنا سابقا، هم لا يستطيعون الحصول على الأصوات الانتخابية اعتمادا على السياسات الفعلية لهذا الحزب، والتي تقوم على تعزيز مصالح الأثرياء وقطّاع الصناعة الاحتكارية. لقد قاموا بذكاء بتحريك اتباع الكنيسة الإنجيلية والمتطرفين البيض والمواطنين الآخرين، الذين تضرّروا بسبب السياسات اللِبرالية الجديدة، التي رسمت معالم الجيل الماضي. وبعد كلّ الذي جرى، فإنّ اجور العمال قد عادت إلى نفس معدل المستوى، الذي كانت عليه في فترة الستينات خلال القرن المنصرم. في الحقيقة، إنّ المعدل الوسيط لدخل العائلة قد انخفض حقيقة في السنوات الأخيرة.[119] كما أنّ هناك الكثير من دلائل الغضب المكتوم والمواطنين المُحبَطين frustrated people.

كان من السهل تحريك هذه الفئة من المواطنين، خصوصا بين صفوف المتديّنين. شكّل المسيحيون الإنجيليون في ذلك الوقت غالبية أو معظم قاعدة الحزب الجمهوري. وبالنسبة لهؤلاء، فإنّ الدفاع عن إسرائيل والعمل على صدّ هجمات المسلمين ضدها، أصبح بمثابة عقيدة دينية، لأنّ الإنجيل يخبرهم بذلك، ولديهم علم الأمور بحياة الآخرة بكاملها حول هذا الموضوع، كي ينهلوا منه ما يشاؤون.

هذه هي المجموعة، التي أغاضتها الإتفاقية النووية مع إيران، ولكن بشكل مؤقت. يتمتع الجمهوريون بالأغلبية في الكونگرِس، وهي اغلبية كبيرة. لقد استطاع *أوباما* أن يمرّر الإتفاقية النووية مع إيران، لأنّ الغالبية لم تكن لها القدرة على فرض فيتو على قرار الرئيس. وعليه، ما كان

هناك شكّ بأنّ الجمهوريين سيحاولون بكلّ ما يستطيعون لعرقلة بنود تلك الإتفاقية من التنفيذ. وربّما سيحققون النجاح في فرض اعتراضاتهم عن طريق وسائل أخرى، منها زيادة المقاطعة الاقتصادية وتشديدها، وربّما فرض وجبة ثانية من بنود المقاطعة لتشمل البلدان، التي تتعامل مع إيران. قد يقود هذا إيران إلى أن تنسحب من الإتفاقية مع الولايات المتحدة. هذا جائز.

وهذا لا يعني، بأيّ شكل من الأشكال نهاية الإتفاقية. يجب أن نتذكّر بأنّها ليست بين إيران والولايات المتحدة فقط، بل بين إيران ومجموعة 5+، التي تضم اعضاء مجلس الأمن الدولي الدائميين، إضافة إلى ألمانيا. فرنسا مثلا، قد افتتحت لها مكتبا للتبادل الزراعي في طهران. كما انضمّت فرنسا إلى الصين والهند، اللتين وطدتا مختلف العلاقات تجاوزا للمقاطعة الأمريكية المفروضة، فاستخدمتا فيها المقايضة بدلا من دفع اثمان السلع بالنقد، إلى غير ذلك.

العالم بكامله تقريبا يعارض موقف الولايات المتحدة من إيران، وبأنّها لا يمكن لها أن تمتلك برنامجا للطاقة النووية. دول عدم الإنحياز بكاملها تقف في صفّ طهران منذ بدأت مشروعها هذا. وهذا الدعم لا يعني شيئا في مفهوم الغرب، رغم أنّ هذه الدول تمثل غالبية مجموع سكان العالم. لربّما ستكون أمريكا اخيرا في موقف المعزول بصدد هذه القضية. وهذا ليس بالأمر الجديد، إذ هناك العديد من القضايا والمواقف، التي يقف فيها العالم متلاحما ضدّنا، باستثناء عدد قليل يضم إسرائيل التي تأتي في طليعة الجوقة الصغيرة المساندة.

صُرِفت ملايين الدولارات لتمويل معارضة تلك الإتفاقية، من ضمنها تكاليف إعلان صفحات كاملة في الصحف الرئيسية وعلى شبكات التلفزيون. لكنّها جميعا لم تحقق النجاح المطلوب.

كانت الدعاية كافية لإقناع الأغلبية الكبيرة من اعضاء الكونگرِس. وكانت ناجحة أيضًا في تغيير الرأي العام. لو القيت نظرة على استطلاعات الرأي العام، لوجدت في البداية موقفا مؤيدا للإتفاقية. ولكن بعد عدة أشهر من استمرار الحملة الدعائية المضادة، بدأت تلك المساندة تتقلص تدريجيّا. اطلعت على آخر استطلاع للرأي العام فوجدت أنّ نسبة المعارضين إلى المؤيدين بلغت 50% لكلّ منهما، ولربّما بقليل أكثر لصالح المعارضة.[120] وهكذا نجح المعارضون في تحقيق مساندة كبيرة من عامة الشعب لتأييد موقفهم، إضافة إلى تأييد اعضاء الكونگرِس لتلك المعارضة. ومع ذلك لم يستطيعوا توفير العدد اللازم لفرض الفيتو ضدّ قرار الرئيس. لكنّهم كانوا قطعا قادرين

على تقويض الصفقة باللجوء إلى إجراءات أخرى، مثل فرض المقاطعة الشاملة ضدّ إيران، التي اصبحت سلاحهم الجديد، وهم يتباهون بذلك وأعلنوه جهارا.

لو تحمّلت مشاق التعذيب واستمعت لنقاشات الجمهوريين خلال فترات انتخاب الرئاسة لوجدت أنّها تدور حول أمرين، هما قصف إيران في اللحظة، التي تتقرّر فيها نتائج الانتخابات، والموقف الأكثر اعتدالا، أن ننتظر حتى اجتماع مجلس وزراء الحكومة الجديدة ثمّ نبدأ بعملية قصف إيران؟[121] وعليه، فإنّ القول بأنّ اللوبي الإسرائيلي AIPAC وكافة المطبّلين لم ينجحوا في جهودهم، أمر مجاف للحقيقة.

غالبا ما يُقال بصدد صفقة إيران أنّ محور علاقات تل أبيب-واشنطن ما كان في وضع أسوأ مما كان عليه في تلك الفترة، وأنّ هناك انشقاق رئيسي يفصل ما بين إسرائيل والولايات المتحدة. هل في هذا شيء من الصحة والواقعية.

قليل للغاية لا يتعدّى كونه بالونات سياسية لأغراض الإبتزاز، الذي غالبا ما يكون طوعيّا. في الحقيقة، أنّ *أوباما* ربّما يكون من أكبر من أيّد ويؤيد إسرائيل في تاريخ الرئاسة الأمريكية، رغم أنّه في نظر بعض المتطرفين ليس مؤيدا تمام التأييد. لقد كان هذا التأييد واضحا حتى قبل بدء جولة انتخابه الأولى، كما لاحظت عام 2008 لما ينشره على موقعه في شبكة الإنترنت.[122] له مواقف اعتبَرها انجازات حقيقية، حين كان عضوا في مجلس الشيوخ الأمريكي. وفي طليعتها الموقف المتعلق بغزو إسرائيل للبنان. لقد كان من ضمن المتقدمين بمشروع طلب من الحكومة الأمريكية ألا تقف حجر عثرة امام الهجوم على لبنان، واكثر من ذلك، معاقبة من يجرؤ من الدول على معارضة ذلك الهجوم. وهذا في رأيي موقف متطرف لتأييد ذلك الغزو الوحشي.

استمرّ *أوباما* سلوك نفس الطريق حين اصبح رئيسا للبلاد. فمثلا في شهر شباط من عام 2011 عارض قرارا لتطبيق السياسة الرسمية لحكومة الولايات المتحدة والطلب من إسرائيل عدم التوسع في مستوطناتها في الضفة الغربية.[123] وبطبيعة الحال، فإنّ هذا التوسّع موضوع صغير، لأنّ الموضوع الرئيسي هو المستوطنات بحدّ ذاتها. لقد طلب القرار وقف التوسّع وأشار إلى أنّ تلك المستوطنات ليست شرعية، باعتراف الجميع. لكنّ *أوباما* استعمل حقّ النقضّ ضدّ ذلك القرار.

وأكثر اهمية من ذلك، هو ما جرى في صيف عام 2015، ولم يحظّ بالذكر في وسائل الإعلام. تجتمع لجنة الأمم المتحدة الخاصة بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية NPT مرّة كلّ 5 سنوات لمراجعة الموقف. إنّ استمرار الالتزام بهذه المعاهدة يُقصَد به خلق مناطق خالية من الأسلحة النووية، ومن ضمنها منطقة الشرق الأوسط. تقدّمت جامعة الدول العربية بمبادرة لمناقشة الموضوع بهدف منع انتشار أسلحة التدمير الشامل في المنطقة.

إسرائيل، التي تمتلك الأسلحة النووية، ليست من ضمن الدول الموقعة على معاهدة عدم انتشار هذه الأسلحة NPT.

إسرائيل وپاكستان والهند جميعا دول تمتلك الأسلحة النووية بدعم من الولايات المتحدة، وهي من الدول التي امتنعت عن التوقيع على معاهدة الحظر هذه. يُطرح هذا الموضوع في اجتماع اللجنة المذكورة كلّ 5 سنوات. في عام 2005 لم تشارك إدارة *بُش الإبن* في اجتماع اللجنة المذكورة، غير أنّه في عام 2010 منعت إدارة *أوباما* إثارة موضوع خلو منطقة الشرق الأوسط من الأسلحة النووية، ثمّ عادت واتخذت نفس الموقف عام 2015[124] أعطت الولايات المتحدة اعذارا هاوية أخرى، لكنّ الجميع يعرف أنّ الدافع الرئيسي هو حماية مواقع الأسلحة النووية الإسرائيلية ومؤسساتها من التفتيش والمراقبة. وهذه مسألة خطيرة، ليس لأنّها تخلق وضعا يتميّز بعدم الاستقرار، ولكن ربّما تكون تلك خطوة لإلغاء معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية بحدّ ذاتها.

وعليه فإنّ موقف *أوباما* يُمثّل مساندة قوية ودعما مشهودا لإسرائيل وقدرتها العسكرية لفرض الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط. وحين تحولت بوصلة السياسة الإسرائيلية تماما نحو اليمين، بدأ الإسرائيليون يُظهرون مشاعرهم بأنّ وجهات نظر *أوباما* تبدو معادية لهم. غير أنّ هذا يعود إلى التغيير في المواقف السياسية داخل إسرائيل، وليس إلى سياسة *أوباما* ومواقفه الداعمة بقوة لإسرائيل.

دعنا ننتقل الآن إلى موضوع آخر. ما رأيك في الخطوات المتخذة بعدم تجريم decriminalization مسألة القنّب الهندي marijuana في ولايات كولورادو وواشنطن وأرِگُن وكاليفورنيا؟

هذا تجريم كان يجب أن يُلغى ويُرفع منذ زمن بعيد. إنّ تجريم المخدّرات كان ولا يزال كارثة اجتماعية. وهي السبب، الذي أدّى إلى زيادة بالغة في اعداد من سيقوا إلى السجون، وجعل

الولايات المتحدة في طليعة بلدان العالم في عدد الأشخاص الذين ألقوا في تلك السجون. كانت هذه السياسة واجهة لنظام عنصري وممارسات بغيضة، كما اتضح من نشاطات افراد الشرطة وإنزال الأحكام القاسية على المعتقلين بسببها. كان لهذه السياسة ضرر بالغ، لحق بأولئك الأفراد حتى بعد انتهاء مدد محكومياتهم وقضاء الفترات المطلوبة في السجون. الأشخاص الذين ادينوا بامتلاك المخدرات، والذي لا يُعتبر جريمة عنف، حُرموا من فرص السكن في البنايات العامة وضاعت عليهم فرص الحصول على عمل، وإلى غير ذلك من اشكال الحرمان والتمييز. الإجراء المعقول هو رفع صفة الجريمة، على الأقلّ في حالة المخدرات الخفيفة soft drug.

لو تأملت قضية التبغ والتدخين، وهما أشدّ ضررا من المَرِوانا، بل أكثر حتى من المخدّرات القوية، على المستويين الصحي والاجتماعي، لوجدت أنّ الإقبال على التدخين اصبح أقلّ ممّا كان عليه. أضحت القضية سلوكا طبقيّا. الأشخاص المتعلمون وممّن يتمتعون بدرجة من الإمتياز، أضحوا أقلّ ميلا للتدخين مقارنة بما كان الحال عليه قبل 20 أو 30 عاما. لم يخضع التدخين للتجريم، وبدلا من ذلك، فإنّ عملية التثقيف وازدياد الوعي باضراره، جعلت الناس يغيّرون سلوكياتهم. بدأوا يهتمون بصحتهم وتغذيتهم، إلى غير ذلك، فكان التخفيف من الإقبال على التدخين حصيلة حاصل.

هل تضع المشروبات الكحولية ضمن هذه الفئة؟

أصبحت مسألة تناول المشروبات الروحية قضية طبقية أيضا. وهي بطبيعة الحال أشدّ فتكا من الإقبال على المخدرات. الأكثر من ذلك، إنّ كلا من التدخين وتناول المشروبات الروحية ليستا عادتين تلحقان الضّرر بالأشخاص الذين يمارسونهما فقط، بل أنّها تصيب الناس الآخرين. مَن يدخّن المَرِوانا لا يؤذي أحدا، ولكن من يشرب الكحول قد يُصبح مسيئا وعنيفا. هناك الكثير من الناس الضحايا لأشخاص تناولوا المشروبات الكحولية، سواء بارتكاب حوادث قيادة السيارات وهم مخمورون أو ارتكاب جرائم القتل المتعمّد، إلى غير ذلك. ومع ذلك لم يُصبِح تناول الكحول جريمة، لكنّ الإقبال عليه أصبح أقلّ بفعل عمليات التثقيف.

رسالة البابا بشأن البيئة قد أثارت موجة من الإنتباه. ورد فيها،"إنّ تغيّرات المناخ مشكلة عالمية ذات عواقب وخيمة". ثمّ مضى محذرا، "إنّ خرابا غير معهود في النظام البيئي ستكون

له نتائج تصيبنا جميعا".[125] هناك حركة تدعو إلى وقف الاستثمارات في شركات الوقود الأحفوري. هل أنّ الإقدام على مثل هذه الخطوات قد جاء في الوقت المناسب؟

هذه الخطوات مهمة للغاية، لكنّها لا تفي بالغرض كاملا. الخطر، الذي يهدّد الحياة، أكثر وأوسع ممّا كُتِب عنه. التقارير العلمية، التي تغطي الخراب الذي حلّ بكوكبنا مرعبة للغاية، وأنّ هذا الخراب قد يُصبح في لحظة خارجا عن السيطرة وتزداد حدّته بشكل متسارع. وحتى لو لم يحصل ذلك، وحتى لو أخذنا بما تمّ التنبؤ به، فسترتفع مناسيب البحار في وقت أقرب ممّا نتوقع. وسيجلب هذا الإرتفاع كوارث مدمّرة وواسعة الإنتشار لبلدان مثل بَنگلادَش، وكذلك المناطق الساحلية والمدن الواقعة عليها مثل بوسطن، حيث من الممكن أن تطغى عليها المياه فتغرقها.

أشارت تقارير صحيفة الگاردِيَن إلى أنّ شركة إكسُن، وهي اكبر شركات النفط في العالم، كانت على علم منذ عام 1981 بالتغيّرات المناخية، أي قبل 7 سنوات من كشف ذلك علنا. ومع ذلك فقد انفقت الشركة المذكورة ملايين الدولارات في السنوات التالية "من أجل التعتيم والتشكيك بالأمر وإنكاره جملة وتفصيلا".[126]

هذا ما يجب أن نتوقعه لمجتمع تتحكّم السوق في شؤونه وقضاياه. الشركات الاحتكارية ليست مؤسسات خيرية ولا يمكن أن تكون كذلك، ولو فعلت ذلك لأفلست وانتهت. إنّها قائمة على تحقيق الأرباح والهيمنة على السوق. وينطبق نفس المنظور على شركات التأمين واالرعاية الصحية، التي تمّ وضعها بيد تلك الشركات الخاصة العاملة على تحقيق الأرباح للمستثمرين بها، ولتذهب القضايا الصحية إلى حيث تشاء.

يذكّرني هذا بلافتة شاهدتها وأنا في الطريق إلى مدينة سياتِل خلال تظاهرات الاحتجاج، التي جرت هناك.[127] كان المتظاهرون يحاولون إيقاف سفينة الحفر العائدة لشركة شَلّ من التوجّه إلى منطقة القطب الشمالي وألاسكا للقيام بحفر الآبار لاستخراج النفط. رفع المتظاهرون لافتة تقول، "الحصول على كوكب جيّد أمر صعب المنال". وقدر تعلق الأمر بالتغيّرات المناخية، ماذا يستطيع الفرد أن يعمل سوى القيام بإعادة التدوير recycling؟

إعادة التدوير عملية تستحقّ الاستمرار بها، والعمل بموجبها، على الأقلّ لأسباب رمزية. إنّها شيء يشبه العصيان المدني. قد لا يحقق هذا الأهداف المطلوبة، لكنّه يُشجّع الآخرين ويستحثهم

أن يفعلوا شيئا ما. يتطلب الأمر في النهاية، أكثر من الجهود الفردية الشخصية ويتعداها إلى الجهود الجماعية. وفي عالمنا هذا، يعني القيام بممارسة ضغط جماعي على كافة حكومات الولايات واجبارها أن تفعل ما تطالب به الجماهير من سكّانها.

هل تعتقد أنّ الأمم المتحدة ستكون الجهة القادرة على تحقيق هذا النوع من التغيّرات السياسية والاقتصادية؟

لا، لا تستطيع الأمم المتحدة أن تتجاوز ما تسمح به الدول الكبرى، فهي كما تعرف ليست منظمة مستقلة. وعليه، حين تسأل "هل تستطيع الأمم المتحدة أن تفعل شيئا؟" إنّنا في الحقيقة نسأل، "هل تسمح الولايات المتحدة القيام بأيّ شيء في هذا الخصوص؟"

لقد اعترفت شركة فولكسواگِن بأنها خدعت الملايين من الزبائن، الذين اقتنوا سياراتها، التي تعمّدت الشركة أن تتلاعب فيها باجهزة قياس التلوث الذي يطلقه العادم نتيجة عملية احتراق الوقود في ماكنات تلك السيارات. كما وُجّد أنّ مفاتيح التشغيل ignition switches في سيارات جَنَرَل موترز الأمريكية تتعطل عن العمل فجأة ويفقد السائق السيطرة على حركة السيارة، فتقع الحوادث القاتلة. كانت الشركة على علم بهذا العطب وغطته وتكتمت عليه، وهو الأمر الذي أدى إلى وفاة 120 شخصا في حوادث مختلفة جرّاء هذا الخلل. رفعت *لورا كرسچن*، وهي أمّ فقدت ابنتها البالغة من العمر 16 عاما، الدعوى ضدّ الشركة فقالت، "لا يمكن عمل شيء يعيد لي إبنتي، لكنّنا نحتاج إلى نظام يكون فيه المدراء التنفيذيون مسؤولين قضائيا أمام الشعب، وأنّ تلك المسؤولية يجب ألّا تقتصر فقط على جني الأرباح".[128]

الأمر لا يتوقف على المدراء التنفيذيين لشركات صنع السيارات. شركة صنع الأدوية جَونسُن أند جَونسُن، تواجه الآن في المحاكم عددا من الشكاوى وطلبات للتعويض بقيمة بلايين الدولارات، لأنّها أخفت عن المستهلكين حقائق طبية تعرفها منذ سنين، حول مخاطر الإصابة بالسرطان نتيجة استعمال مسحوق لل*أطفال* children powder.[129] كما أنّ المؤسسات المالية تدفع بلايين الدولارات كغرامات لسرقة اموال المودّعين والتلاعب بها. ولكن هذه هي طبيعة الرأسمالية، بأن تسرق أقصى ما تستطيع عليه. إنّها تهتمّ فقط بارباحها الهائلة، وإحدى الطرق لجني تلك الأرباح هي خداع الناس. وإذا تمّ اكتشاف ذلك، يقتصر الأمر على دفع غرامة، تصنفها تلك المؤسسات بأنّها جزء من تكاليف العمل، وتُدفع في النهاية من جيوب المواطنين من دافعي الضرائب.

يدفعون الغرامات فقط، ولا يدخل أحد منهم السجن.

كلمّا اتسعت مواقف اللِبرالية الجديدة وسياساتها، كلما ازدادت فرص الإفلات من العقاب، وهذه حقيقة قائمة لها استثناءات نادرة للغاية. مثلا، لو رجعت إلى فضيحة المدّخرات والقروض في فترة إدارة *رَيگِن*، للاحظت أنّ عددا من المسؤولين قد أودعوا السجون فعلا، وحدث هذا في وقت ليس ببعيد.

تحدّثت عن *بَرني ساندرز* ورأيه في عدم المساواة في المداخيل ونواقص النظام الاقتصادي، كما وصفتها. ما هي في رأيك فرصة؟

لا شكّ أنّها ظاهرة تستحق الإنتباه أنّه حصل على هذا الحجم من التأييد الشعبي، رغم النقص في تمويل حملته الانتخابية. اشخاص مثل *شِلدُن أدِلسُن*، ليسوا من بطانته ولم يحصل على بليون دولارا تبرّعا منه للحملة.

يمكن للمرء أن يُثير عددا من الأسئلة حول سياساته، لكنّني اعتقد أنّه يدفع إلى الواجهة قضايا هامة تحظى بانتباه جزء كبير من الرأي العام. إنّه يضغط على التيار العام في الحزب الديمقراطي ويدفعه قليلا نحو القضايا التقدمية.

غير أنّ آفاقه محدودة في نظام كنظامنا الحالي. إنّه نظام يقوم على شراء الأصوات الانتخابية، ويكون في النهاية نظاما پلوتوقراطيا Plutocracy. أمامه فرص قليلة لكسر هذا النظام والنفاذ من خلاله. وحتى لو افترضنا جدلا أنّه تمكّن من ذلك، فليس لديه الكثير ممّا يستطيع فعله. إنّه لا يقود منظمة سياسيّة وليس لديه ممثلون في الكونگرِس ويفتقر إلى الجهاز البيروقراطي. ليس لديه حكّام ولايات ولا مشرّعون، إلى غير ذلك. كلّ الأمور التي تساهم في صياغة السياسة لا تتوفر له.

إنّ تمركز السلطة الخاصة هائل للغاية، وبإمكانه أن يقطع الطريق حتى على من يمتلك الأنظمة المساعدة المشار إليها في اعلاه. وعليه فإنّ الفرصة أمام *ساندرز* لتنفيذ أيّة سياسات رئيسية ستكون محدودة، ما لم يكن مسنودا من قبل حركة جماهيرية سياسية.

إنّ الأمل الوحيد لحملته هي أنّه بعد نهاية الانتخابات الأوليّة، ولا اعتقد أنّه سيحقق فيها فوزا نهائيا، فإنّ الحركة الشعبية والمساندة، التي حظي بها ستستمرّ وتنمو وتتطور، وسيكون هذا انجازا

مهمّا يُسجّله له التاريخ.

وأنا في طريقي إلى مكتبك، تحدثت مع أستاذة تعمل هنا في MIT. قلت لها، "إذا كان بإمكانكِ أن تطرحي على نعوم تشومسكي سؤالا واحدا، فما هو" قالت، "إسأله كيف يستطيع أن يفعل كلّ الذي يفعله؟".

إنّنا اساتذة أم آي تي، واعتقد في المؤسسات المماثلة، نتمتع بامتيازات كثيرة. وضعنا المادي جيد نسبيّا، ولدينا درجة من الأمن والطمأنينة المضمونة، ولدينا موارد تحت تصرّفنا وإنّنا فعلا قلة من اعضاء هذه المهنة، الذين بإمكانهم أن يسيطروا على عملهم إلى حدّ كبير. يمكنك أن تقرّر استمرار عملك لمدة 70 ساعة أسبوعيا. وهذا العدد من الساعات هو ملكك فعلا في اغلب الأوقات. هنالك بعض الالتزامات الإدارية المحدودة، ولكن العمل هو عملك فعلا، وأنت الذي تختاره. وهذا شيء نادر في العالم. نعم هناك بعض المشكلات والعراقيل وبإمكانك أن تشكو عنها، لكنّ الفرص هائلة مقارنة بواقع أغلب الناس.

ذهبت منذ فترة قصيرة إلى مدينتك الأصلية، بالذات شمال فيلادلفيا، حيث ولدت وترعرعت. كيف وجدت تلك الزيارة؟

في الحقيقة، إنّ زوجتي *فالَريّا* رغبت في الذهاب هناك كي تزور المنطقة، التي نشأت فيها. لم تتغيّر كثيرا.

هل كان والداك صارمين للغاية معك؟

صارمان؟ فقط في الأشياء، التي يهتمّان بها. فوالدي مثلا، كان يصرّ على آداب المائدة، وأيضا باستطاعتنا الحصول على البوظة مرتين في الأسبوع فقط. داومنا على الذهاب للمدرسة العبرية والمعبد اليهودي، إلى غير ذلك. لا يمكنني أن أصف ذلك بالصرامة. نعم، هناك قواعد يجب الإمتثال إليها.

كيف جرت الأمور بينك وبين أخيك الأصغر دَيفِد؟

بدأت شكوكي بعالم الكبار والتعرّف على لاعقلانيته حين اصبح عمر أخي حوالي شهرين. أخبرتني أمّي قبل ولادته عن المتعة الجميلة، التي ستتوفر لدي حين يكون لي أخ صغير يمكنني أن

العب معه. ثمّ جاء هذا الشيء، الذي يشبه كتلة لزجة لا تفعل شيئا سوى البكاء والاستحواذ الكامل على انتباه أمّي. طردوني من غرفتي وجعلوها غرفة له، فكان عليّ أن أنام على الأريكة في غرفة الاستقبال. لم أفهم شيئا من تلك التغيّرات، التي طرأت على حياتي فجأة دون سابق إنذار.

أتذكّر أنّنا ذهبنا في أحد الأيام الي البحر للنزهة في مدينة أتلانتِك سِتي. أخذنا نتمشى على الساحل حالنا حال الآلاف من الناس. كان بين هؤلاء رجل يحمل آلة تشبه الأكورديون، صغيرة وقديمة، لكنّها كافية لإطلاق بعض الأصوات الموسيقية. كان معه قرد صغير يقوم بحركات راقصة عجيبة، استمتعت بمراقبتها. إلتفت إلى أمّي وقلت لها،" لماذا لا نستبدل هذا الذي تحملينه بعناية بين ذراعيكِ بهذا القرد اللطيف؟" لم تعطِني ردّا معقولا واكتفت باطلاق ضحكة عالية، ربّما سخريّة بفكرتي. أدركت حينها بلا شكّ سخافة عالم الكبار، لأنّ الصفقة لو تمت لكانت عملية تبادل باهرة.

ولكن في النهاية تقبّلت الواقع واصبحت علاقتي بأخي افضل حين كبر وبدأنا نلعب سوية.

أخبرتني منذ سنوات، أنّ لديك جينات وراثية فيها خلل لا يسمح لك أن تعيش طويلا. ستكون في سنّ 87 عاما بحلول شهر ديسمبر القادم. كيف استطعت أن تخدع الطبيعة وتتجاوز الخلل المشار إليه؟

لم أقم بأيّ شيء خاصّ. في الحقيقة، إنّني لم امارس الرياضة ولم اعمل كافة الأمور، التي يتوجّب على الفرد أن يعملها للمحافظة على صحته.

حين يكبر الإنسان تظهر عليه العيوب وعلامات العجز. كيف استطعت أن تتجاوز كلّ هذه، وتستمر بحياة العطاء، التي تعيشها؟

هناك بعض الدلائل على العجز الجسمي، وهو أمر طبيعي متوقع. لكنّ مثل هذه الأمور قد خفّت حين قابلت *فالريّا* وتزوّجنا. اعتقد أنّ هذه الخطوة قد جدّدت حياتي.

لا شكّ أنّ الكثير قد سألوك خلال المقابلات الصحفية عن ماهية الأشياء، التي تبعث فيك الأمل. فما هي؟

الناس. الناس الملتزمون هم من يبعث فيّ الأمل. الناس، الذين يصارعون الاحتمالات الصعبة الهائلة من أجل خلق فضاءات لائقة للوجود البشري والحياة في عالم أفضل. هذه هي مصدر

آمالي.

ما هي أهمية التضامن والتعاون؟

بدونهما لا يتحقق شيء. حين تكون متفرّدا في مجتمع صغير، باستطاعتك أن تعمل ما تشاء. باستطاعتك أن تركب دراجة هوائية بدلا من سياقة سيّارتك. ولكن مثل هذا السلوك، يبدو وكأنّك تحفر جبلا بإبرة. إذا كنت تتوقع حدوث شيء، فيجب أن يكون ذلك من خلال التعاون المتبادل والتضامن داخل المجتمع والالتزام الجماعي لإحداث تغييرات أساسيّة حقيقيّة. كان هذا الأمر في الماضي، وليس هناك من داع للتفكير بأنّه سيكون مختلفا في المستقبل.

الحوار الثامن
جذور الصراعات

كيمبرج، ماسّچوسِت، 4 ديسمبر 2015

تعوّد *الكزندر گوكبَرن* أن يكتب مازحا أن أكبر كارثتين حلتا بالولايات المتحدة في القرن العشرين، قد حدثتا بتاريخ 7 ديسمبر. الأولى هي هجوم اليابانيين على ميناء پِرل هاربر والأخرى هي ولادتك في مدينة فيلادلفيا.

لا أستطيع نكران ذلك، فالسجلات محفوظة في المستشفى ودائرة صحة المدينة. وعليه، فإنّه ليس هناك شكّ أو التباس بما جرى في ذلك اليوم.

حسنا، عيد ميلاد سعيد، وما زلت تبدو شابّا في عمر 87.

هل اخبرتك أنّ إسمي قد دوّن بشكل خاطئ على شهادة ميلادي؟ أحببت في إحدى المرات أن القي نظرة عليها، فبعثت لي دائرة صحة المدينة نسخة. يبدو أنّ كاتب الملفات لم يعتقد أنّ إسمي هو *أفرام نعوم*. إعتقد لسبب ما أنّني بنت وأنّ *نعوم* هو أصلا *نعومي*. وعليه كتب إسمي بتلك الصورة. ثم كان لا بُد أن يكون *أفرام* بالتبعية مؤنثا فغيّره إلى *أفرَين*. وعليه، فإنّ شهادة ميلادي مسجلة باسم Avrane Naomi Chomsky.

ألقيت في عام 1966 محاضرة في جامعة هارفرد، تمّ نشر نصّها في العام التالي في مجلة نو يورك لمراجعة الكتب. كان عنوانها، "مسؤولية المثقفين"، التي وضعتها أمام الرأي العام في اطار تفكيرك السياسي.[130] كنت وقتها معروفا بأنّك لغويّ ولك نظرية في هذا الميدان.

في الحقيقة، إنّني كتبت مقالات سياسية قبل تلك المحاضرة، لكنّ هذه هي التي نُشِرت في مجلة رئيسية واطلع عليها عدد كبير من الناشطين.

فيما يتعلق بمسؤولية المثقفين، ماذا يمكنك أن تقول عن الجيل الحالي منهم؟ هل هم مختلفون؟

لا اعتقد أنّهم مختلفون على مدى التاريخ. هناك مسؤولية من المتوقع منهم أن يلتزموا بها، وهي بالذات التملق لدى البلاط الملكي. وهناك المسؤولية الأخلاقية بأن يلتزموا بالحقيقة وبالدقة وبالفكر الناقد والتركيز على الجرائم والمخالفات، التي نتحمّل نحن جزء منها باعتبارنا مواطنين في الدولة واعضاء في المجتمع، مهما كانت طبيعته.

ذكرت فيما يتعلق بدوافع الولايات المتحدة على المستوى العالمي، "من المفيد أن نتناول هذا السؤال... بأن نقرأ الأدبيّات المتعلقة بالعلاقات الدولية من أجل أن نفهم، ما هي الصيغة التي لا يمكن قبولها على المستوى السياسي".[131]

توجد بالأساس نظريتان بصدد العلاقات الدولية، أوّلهما ما تُسمى المثالية، التي دعا إليها الرئيس *وُلسُن*[132] والأخرى هي الواقعية. ولو نظرت اليهما بتمعّن ستجد أنّ "الواقعية" ليست واقعية، لأنّها تميل إلى نكران العوامل الحاسمة باعتبارها محدّدات للقوّة وعمليات اتخاذ القرارات، ضمن النظام الداخلي. أمّا المثالية الولسونية فهي ببساطة تكرّر الأوهام الأساسية لكلّ قوة إمبريالية. بمعنى أنّنا متميّزون، وربّما نرتكب اخطاء، لكنّها على الدوام بحسن نيّة، الخ. وهذا بالضبط هو ما لا تعنيه السياسة.

ذكرت في مقابلة حديثة أنّ سياسة الولايات المتحدة قد نجحت في نشر الرعب الجهادي وتحوّله من منطقة قبلية صغيرة معزولة في أفغانستان، ليعمّ عمليا كافة انحاء العالم، من غرب إفريقيا إلى منطقة الهلال الخصيب وامتدادا إلى جنوب شرقي آسيا.[133] كيف استطاعوا فعل ذلك؟

حين تكون الطريقة الوحيدة، التي تستخدمها هي الإعتماد على افضليتك التي لا مثيل لها في ارتكاب العنف، فإنّك تزيد الأمر سوءً. المحلل العسكري *أندرو كَوكبُرن*، قد أشار إلى أنّه في كلّ مرة تقتل قائدا تعتقد أنّك حققت نصرا كبيرا.[134] ولكن حقيقة ما تفعله هي أنّك، وبشكل لا مناص منه، تعمل على استبداله بقائد أصغر سنّا وأكثر كفاءة وأشدّ عنفا. لقد حدث هذا المرّة تلو المرة.

في الحقيقة أنّنا نسدي معروفا للجهاديين وداعش والقاعدة، الذين يقولون،"تعالوا من فضلكم وهاجمونا. إبعثوا لنا الجيوش الصليبية لتقاتلنا. إنّها أداتنا لجلب المزيد من المتطوعين إلى صفوفنا. وخلال وقت قصير ستكونون في حالة حرب مستعرة مع العالم الإسلامي برمته". هذا هو ما يريدونه.

لو افترضنا أنّنا نقصف داعش ونحولها إلى يباب. ماذا بعد ذلك؟ هل ستعود القوات إلى اوطانها؟ هل ستغلق الولايات المتحدة قواعدها في الخارج؟

أبدا، لأنّ داعش سيحلّ محلها تنظيم أسوأ. لا اعرف بالضبط طبيعة التبديل، ولكن هناك مجموعات أخرى. وسواء شئت أم أبيت، أنّه في غالبية العالم السنّي يُنظر لداعش بأنّها حققت نوعا من الحماية والأمن. من الواضح أنّهم يتبّعون أساليب وأسس فعالة إلى حدّ ما كنظام شمولي totalitarian. وهو شيء يشبه ما كان عليه الحال في العراق تحت حكم *صدام حسين*. كان دكتاتورا متوحشا، لكنّ المواطنين كانوا ينعمون بالأمن وكان التعليم جاريا. طالما اغلقت فمك ولا تتحدث عن الوضع السياسي فبإمكانك أن تعيش حياة كريمة، أفضل من أيّ مكان في العالم العربي. أمّا الآن فقد تُرِك العراقيون وهم لا يملكون شيئا، إلّا الحروب والإضطرابات. إذا لم نعالج المشاكل من جذورها فإنّ شيئا أسوأ سيظهر للوجود لنفس المسبّبات.

هل أنّ واضعي السياسة الأمريكية ومن ينفذونها يغذّون بشكل واع ومقصود الصراعات والإضطرابات؟

لا. لنأخذ ليبيا في زمن *القذافي* مثلا على ذلك. كان هو الآخر متوحشا وقبيحا، لكنّه تمكّن أن يبني وطنا فعّالا كبديل للمجتمع القبلي. حدثت إنتفاضة ضدّ حكمه فقمعها بقسوة شديدة راح ضحيتها على ما اعتقد ألف شخص. تدخّلت القوى الاستعمارية وهي فرنسا وإنكَلترا والولايات المتحدة ودفعت من خلال مجلس الأمن الدولي قرارا يدعو لوقف إطلاق النار وحماية المدنيين والتفاوض واتباع الإساليب الدبلوماسية.[135] ما الذي فعلته تلك القوى الخارجية إثر ذلك؟

خالفتْ ذلك القرار.

وافق *القذافي* على قرار وقف إطلاق النار، لكنّ القوى الاستعمارية خالفته مباشرة واصبحت بمثابة القوة الجوية للمتمردين في ليبيا. كانت النتيجة هي تدمير البلد بكامله، وارتفاع اعداد الضحايا

اضعافا مضاعفة. وفي نفس الوقت فتِحت البوابة على مصراعيها لتدفق اللاجئين من إفريقيا وبلدان الشرق الأوسط للتوجّه إلى أوروپا، لأنّ ساحل البحر الأبيض المتوسط الجنوبي الممتد على طول آلاف الأميال ويشكل حدود ليبيا الشمالية، اصبح مفتوحا. هل خططوا لذلك فعلا؟ الجواب لا. ويصدق القول على أنّه، "حين تمسك مطرقة بيدك، يبدو كلّ شيء أمامك كمسمار". كانت في يدنا مطرقة كبيرة أجدنا استعمالها فهشّمنا كلّ شيء.

يقول البعض، "انظروا إلى الفوائد، التي تجنيها شركات صنع السلاح، التي اصبحت منطقة الشرق الأوسط سوقا رائجة لها. هل هذا هو الأساس المنطقي لزيادة تأسيس القواعد العسكرية وزيادة نشاط تدخلاتها؟

ذلك واحد من العوامل ولكن لا أعتقد أنّه العامل الرئيسي. العامل الرئيسي هو الدور التقليدي بأنّ القوى الكبرى تحبّ دائما أن تتوسّع. لكلّ من فرنسا وإنگلترا والولايات المتحدة تاريخ طويل لبسط الهيمنة الاستعمارية. وعليه، فإنّهم يفعلون ما هو متوقع منهم. يعتمدون على قدراتهم النسبية، التي لا تشمل الدبلوماسية أو التطوير والتنمية أو الحرية، أو أيّ شيء من هذا القبيل. هذه امور يتحدثون عنها فقط. الشيء الذي يبرعون فيه بشكل متميّز هو استخدام القوة العسكرية المفرطة. وهذا هو السبب لوجود القيادة المشتركة للعمليات الخاصّة JSOC والقوات الخاصّة والطائرات المسيّرة والوحدات العسكرية، التي باستطاعتها الذهاب إلى أيّ مكان في العالم وهدّه وتدميره.

تتوفر المرة تلو المرة بدائل دبلوماسية. هل يمكن أن يكون لها نصيب من التطبيق، فمسألة لا يمكننا قول شيء عنها.

ماذا عن البدائل لرفع البؤس والمعاناة عن سوريا؟

الموقف في سوريا فضيع، باستثناء منطقة واحدة فقط تعيش وضعا لا بأس به، وهي المنطقة الكردية، التي استطاع الأكراد الدفاع عنها باستعمال الأسلحة المحدودة جدّا، التي تتوفرلهم. استطاعوا، كما يبدو، من خلق ظروف فعّالة ولائقة جدّا وكريمة ضمن واقع مُزر وفضيع تعيشه البلاد بأسرها. لقد حلّ بالبلد خراب داهم وتتحكم بها عصابات دموية تقتل بعضها بعضا. نظام *الأسد* ذاته نظام متوحّش ومُدمّر، وأنّ ممارساته المشينة قد تسبّبت بقتل الكثير من المواطنين.[136] وهناك أيضًا داعش وجماعات جهادية أخرى وثالثة هي فرع لمنظمة القاعدة وهي جبهة النصرة،

وجماعات أخرى وتلك التي اسمها أحرار الشام. دخلت هذه الجماعات في تحالفات متغيّرة ومتقلبة وساندتها قوى خارجية ومعسكرات مختلفة رسمية ومدنية بمسميات وأعذار متنوعة.

هل سمعت رئيس الوزراء *دَيفِد كامِرُن* وهو يتحدث إلى البرلمان البريطاني عن ضرورة قصف سوريا؟ قال إنّه يجب مساعدة 70 ألف ثائرا من أجل الحرية والديمقراطية هناك. وفي اليوم التالي، كتب *روبَرت فِسك* مقالة نشرتها صحف اليوم التالي تساءل فيها إن كان العدد 70 مقاتلا أم 70 ألف مقاتلا؟ أيّ مراسل يعمل في الميدان السوري ويعرف عنه شيئا قد سخر من ادعاء *كامِرُن*، ولم يستطع أحد أن يجد مكان هؤلاء السبعين ألف مقاتلا.

ما هو الجواب؟ هناك خيار واحد فقط قد يكون له أمل أن يتحقق. وهو إمكانية التفاوض بين كافة الجهات المتحاربة في سوريا، من التي ترحّب بمثل هذا التفاوض، واستثناء داعش منه، لأنّها أصلا ليس لها اهتمام بأيّ تفاوض. وهذا يعني ترتيب مفاوضات بين وحوش حقيقية، لا تحبّ أيّا منها، ولكنّك مضطر لأنّ التفاوض هو الخيار الوحيد. إذا أردت أن تقلل من مستوى القتل والتدمير، فهذا هو السبيل لذلك. ربّما تستطيع الأطراف المتفاوضة التوصّل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، قد يؤدي إلى ايقاف العنف والتحضير لتأسيس حكومة انتقالية تشرف على إجراء انتخابات عامة في البلد. وبطبيعة الحال، لا تشمل هذه الانتخابات المناطق الكردية، التي يجب حمايتها بأيّة طريقة ممكنة، باستطاعتنا تنفيذها.

لقد وقفت الولايات المتحدة ضدّ مثل هذه الستراتيجية على أساس عدم السماح لوحش مثل *الأسد* أن يشارك في هذه العملية. غير أنّ هذا الإصرار المتعمّد ليس له تفسير سوى القول، "دعهم يقتلون بعضهم البعض". ومهما كان رأيك في *الأسد*، فإنّه لن يُقدِم على الإنتحار. وعليه، إذا أردت أن تتوصّل إلى حلّ لهذه المشكلة والتوقف عن تدمير البلاد كليّا، يجب أن يكون النظام جزء من الجهات المشاركة في التفاوض.

ماذا تحقق لحدّ الآن؟ لا شيء ممّا ذكرناه في أعلاه. توشك سوريا أن تكون عرضة لخطر الزوال وتنتهي كدولة قابلة للحياة. الفكرة بأنّ للمشكلة حلّ عسكري، قضية مثيرة للسخرية.

ما الذي دفع بالرئيس *پوتِن* لأن يتدخّل في سوريا؟

لا نعرف تفاصيل الأمر، ولكن يبدو أنّ ما دفعه لذلك يعود بشكل كبير إلى الخطوة التي اقدمت عليها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتزويد الجماعات الجهادية بأسلحة متقدمة ثقيلة، بما فيها الصواريخ الموجّهة المضادة للدروع. أنزل استخدام هذه الأسلحة خسائر كبيرة بقوات الجيش السوري الحكومية. قدّمت روسيا المعونة للرئيس *الأسد* من قبل، لكنّ الحكومة الروسية بدأت تزيد تلك المساعدة بدرجة كبيرة وملحوظة ردّا على تدخّل وكالة المخابرات المركزية. لا نستطيع إثبات ذلك بالوثائق، ولكن هذا هو ما تقترحه المعلومات المحدودة، التي استطعنا الإطلاع عليها.

تحدثث منذ فترة قصيرة عبر برنامج سكايپ للإتصالات إلى عدد من المجتمعين في جامعة إسرائيلية. قوبل حديثك هذا بانزعاج من قبل بعض الأطراف. على ماذا انصبّ اعتراضهم؟

في الحقيقة تحدثت إلى المجتمعين في معهد فان لير في القدس، وهو معهد بحوث تابع للجامعة العبرية. كان الحديث بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد صديق اعرفه منذ زمن طويل، هو *ياهوشا بار - هِليل*، الفيلسوف الإسرائيلي والعالم في علم المنطق، الذي توفي قبل 10 سنوات تقريبا. توطدت معرفتي به على مدى سنوات عديدة. تدرّس إبنته *مايا* في الجامعة المذكورة، وهي التي نظّمت ذلك الحفل التذكاري لعيد ميلاد والدها المئوي. كنت قريبا جدّا منه وأعرف زوجته واطفاله منذ صغرهم.

إتصّل بي عدد من المثقفين الفلسطينيين، وبعضهم اصدقائي، وحثوني على عدم المشاركة، لأنّهم كانوا من الداعين إلى المقاطعة الأكاديمية مع الجامعات الإسرائيلية، من حيث المبدأ. لم اتفق معهم بشأن تلك المقاطعة، حتى مع الجامعات في عهد الحكومة العنصرية في جنوب إفريقيا. إذا كنت ترمي إلى المقاطعة بسبب الاحتجاج على سياسات التعيين والتثبيت في الوظيفة، فذلك شأن آخر. في الحقيقة، إنّني لم اعترضْ على زيارة *هَوَرد زِن إلى* جامعة كَيپ تاون، مثلا. لم أرَ فيها جريرة. إعتقدت أنّها في صالح حركة المقاومة الأفريقية. وكان ذلك أيضًا هو رأي الحركة ذاتها. وعلى أيّة حال، قرّرت المشاركة في الحفل التذكاري وتحدثت عن طريق الفديو إلى الحضور في معهد فان لير. نعم، لقد تسبّبت تلك المشاركة في إزعاج بعض الناس.

من الطريف أنّني حين ذهبت إلى فلسطين آخر مرّة لأتحدث إلى طلبة الجامعة الفلسطينية، منعتني الحكومة الإسرائيلية من إجراء ذلك الحديث. وفي هذه المرة، كنت موضع استنكار المثقفين الفلسطينيين.

ما هو الوضع الحالي للإمبراطورية الأمريكية؟ في الحقيقة نادرا ما ترد هذه العبارة في البحوث الأكاديمية أو في اجهزة الإعلام، التي تملكها الاحتكارات. كيف ترى حال هذه الإمبراطورية اليوم؟

أولا، يجب القول إنّه قدر تعلق الأمر بالبحوث الأكاديمية، فإنّ الوضع في حالة تغيّر. نشرت مجلة البحوث الدبلوماسية، ***التاريخ الدبلوماسي***، مقالة هامة تابعت فيها حركة الاستعمار الأمريكية، بدأ من قيام المستعمرات الأولى. أشارت إلى أن فتح القارة كان في حقيقته فتحا استعماريا.[137] هذه هي الطريقة التي نظر بها الآباء المؤسسون Founding Fathers للقضية. غير أنّ هذه النظرة اختفت فيما بعد. تأخذ المقالة على المؤرخين، الذين تناولوا تاريخ الولايات المتحدة لإظهار أنّ الحركة الإمپريالية قد بدأت عام 1898.

وعليه، فإنّ البحوث الأكاديمية قد بدأت تنظر إلى تاريخ الاستعمار، وذهبت إلى ابعد من ذلك في إثارة الإنتقاد لنكران ما جرى والتغطية عليه فعليّا من قبيل إبادة السكان الأصليين للقارة، وكيف أنّ أجدادنا نقضوا وقتها كافة الإتفاقيات التي تمّ التوصّل إليها بينهم وبين أولئك السكان. وهذا هو مادعاه المؤرخ *رِچَرد فان آلستاين*، "صعود الإمبراطورية الأمريكية،" التي بدأت بالمستعمرين/ المستوطنين الأوائل.[138]

يعني الاستعمار في الأساس الهيمنة على الآخرين والتحكّم بمقدّراتهم. قد تكون هذه الهيمنة على شكل حكم صريح علني على السكان الأصليين. كما تأخذ أيضًا شكل بناء مستوطنات للمستعمرين القادمين من أمكنة أخرى. وهذا من أسوأ اشكال الاستعمار، لأنّه يتطلب طرد السكان الأصليين والاستحواذ على مناطقهم السكنية والزراعية. كما أنّ الاستعمار يظهر في صيغة هيمنة اقتصادية. لنأخذ على ذلك مثلا ما يُسمّى اتفاقيات التجارة الحرّة لأمريكا الشمالية، واتفاقية أرِگوَي لمنظمة التجارة العالمية، واتفاقية المشاركة التجارية عبر المحيط الهادي. ليس لهذه الإتفاقيات علاقة بالتجارة، سوى الإسم. إنّها في الحقيقة اتفاقيات لحقوق الاستثمارات الكبيرة، وأنّها تؤمّن لشركات الاحتكار متعددة الجنسية الهيمنة على المصادر الطبيعية والسياسات والنشاطات، التي تجري في البلدان الأخرى. بإمكانك أن تسمّي ذلك هيمنة استعمارية، لو أحببت، أو بإمكانك أن تطلق عليها مسمّيات أخرى. هذه اصطلاحات غير محدّدة بشكل جيد.

هل ترى أنّ موقف الولايات المتحدة اليوم أقوى أم أضعف ممّا كان عليه؟

الموقف أضعف.

لماذا تقول ذلك؟

أوّلا لأن قوة الولايات المتحدة في هبوط خلال السبعين سنة الماضية. في نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت قوّتها استثنائية. ربّما كانت الولايات المتحدة تمتلك نصف الثروة العالمية وبيدها تماما مفتاح الأمن والسلام. كان ذلك حقيقة لأنّ كافة المجتمعات الصناعية قد تمّ تدميرها. غير أنّ ذلك لم يستمرّ طويلا، حين بدأت تلك المجتمعات الصناعية تبني نفسها مجدّدا. مضت حركة انهاء الاستعمار decolonization تشقّ مسيرة المعاناة، وبدأت القوة في العالم تتوزّع تدريجيّا. ومع ذلك، حافظت الولايات المتحدة على قوّتها العسكرية الساحقة، مقارنة بالدول الأخرى.

كان ذلك واضحا في الميدان العسكري أكثر منه في المجال الاقتصادي.

المجال العسكري ليس له مثيل. أمّا الميدان الاقتصادي فهو أكثر تعقيدا. ومع ذلك فإنّ الولايات المتحدة قد حافظت على موقع اقتصادي مهيمن. أمّا أوروپا، التي تُعتبر ثاني اقتصاد وقوية أيضا، فإنّها قرّرت أن تتبع سياسات تخريبية أضرت باقتصادها كثيرا. والمثل على ذلك اتباع سياسة التقشف خلال فترة الركود الاقتصادي، وكانت تلك السياسة ضارة للغاية.

يُعتبر اقتصاد الصين أكبر اقتصاد في العالم، قدر تعلق الأمر بقدراتها الشرائية. ولكن من جهة أخرى فإنّ المجتمع لا يزال ضعيفا وأنّ معدل دخل الفرد يُعتبرُ واطئا للغاية. لو نظرت إلى مؤشرات التنمية البشرية، التي تقيس نسبا مختلفة للمجتمع، لوجدت أنّ الصين تحتل المرتبة 19 من بين دول العالم.[139] أضِف إلى ذلك، أنّ البلد يعاني من مشاكل داخلية ضخمة، ستزداد حدّتها خلال السنوات القادمة.

قضايا العمّال وعدم المساواة في المداخيل ومشاكل البيئة.

نعم. يوجد الكثير من التشدّد اتجاه العمال، وهناك الآلاف من النشاطات العمالية كلّ عام. كما أنّ الصين تعاني من مشكلات ديموغرافية. كانت هناك قفزة سكانية للمواطنين، الذين تتراوح اعمارهم ما بين 25- 40 عاما. وهذا يعني توفر قوة عاملة هائلة، لكنّ هذه القوّة بدأت بالإنحسار. ولا يُشبه هذا ما يجري في أوروپا، غير أنّه بالغ الأهمية.

تُعتبَر الصين في الأساس بلدا فقيرا، لكنّ اقتصادها في التصدير كبير للغاية، وهذا الاقتصاد يملكه مستثمرون أجانب. فإذا قرّرت شركة أبل، على سبيل المثال، تصنيع هواتف iPhone بالتعامل مع شركة فوكسكَون في مدينة تايبَه عاصمة تايوان وتصدره للخارج، فستكون تلك الهواتف صينية الصنع. لكنّ الصين لن تتلقى أيّ ريع منها.

ومع ذلك فإنّ صندوق النقد الدولي قد اعتمد اليوان الصيني كعملة عالمية، إلى جانب العملات الأخرى، التي تضم الدولار الأمريكي واليورو الأوروبي والپاوند البريطاني والين الياباني.[140]

تمتلك الصين رأسمال كبير، حصلوا على اغلبيته من خلال صادراتهم. وعليه، فمن الناحية المالية هم في وضع جيد، ومستوى الإنفاق لديهم أكثر بكثير من البلدان الأخرى. لديهم العديد من الاستثمارات في بلدان وسط آسيا. وهم يبنون بشكل تدريجي شبكة **طريق الحرير**، التي تمرّ عبر آسيا، بما فيها ميناء كبير بنوه في پاكستان.

گوادار.

نعم تجارة الصين مع بلدان الشرق الأوسط، إن كانت عن طريق البحر، يجب أن تمرّ بمناطق تحت سيطرة الولايات المتحدة وحلفائها. وعليه، فإنّ الصينيين وبشكل هادئ يهيأون لأنفسهم خيارات أخرى. وإن سار كلّ شيء حسب الخطط، فإنّ ميناء گوادار سيرتبط بشبكة طريق الحرير، وكذلك بشبكة أنابيب لنقل النفط عبر شرق آسيا. سيسهّل هذا تدفق النفط إلى الصين.

أضف لذلك، أنّ للصين استثمارات كبيرة في إفريقيا وأماكن أخرى. ولكن رغم قدراتهم المالية الهائلة، فلا اعتقد أنّهم سيستطيعون التنافس مع الولايات المتحدة على المستوى الاقتصادي.

تُعتبر شبكات القطارات فائقة السرعة في الصين نموذجا يمكن الاحتذاء به.

نعم، وهي شبكة ممتازة للغاية مقارنة بالطريقة التي تطوّرت بها سكك الحديد في الولايات المتحدة. توجد في هذه البلاد مقاومة ايديولوجية ضدّ وسائط النقل العام، وصلت إلى حدّ أنّ بعض الولايات التي يقودها حكّام جمهوريون ترفض تلقي الأموال من الحكومة المركزية لبناء شبكة قطارات سريعة. يبدو هذا أمرا سخيفا وضارّا بالاقتصاد لدرجة كبيرة. ولكنّ الأمر من الأهمية بمكان بالنسبة لبعض الناس للتأكد من عدم بناء خدمات عامة للنقل تتميّز بالكفاءة والفاعليّة. يريدون

أن يكون القطاع الخاصّ هو من يتولى هذه الخدمات. وهذا هو السبب أيضًا في عدم وجود نظام جيّد للرعاية الصحية.

تحاول اليابان تعديل دستورها بشكل يضمن بناء قوة عسكرية.[141] ما هي أهميّة هذا التوجّه؟

هذا أمر بالغ الأهمية. لليابان دستور يُسمّى دستور السلام. المادة رقم 9 فيه، فرضتها الحكومة الأمريكية خلال فترة احتلالها لليابان. وهي تشير صراحة إلى أنّ اليابان قد تخلت تماما عن كافة ذرائعها الإمبريالية وأن تقتصر قوتها العسكرية على مهمة الدفاع عن النفس، ومنع المشاركة في اعمال حربية خارجية. لو القيت نظرة على حقبتي الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي لأدركت الأسباب. ولكن يوجد صراع بين الدوائر الوطنية حول المادة رقم 9 امتدّ عبر سنوات عديدة. بذلت حكومة رئيس الوزراء *شِنزو آبي* جهودا قوية من أجل تعديل الدستور. لم يلغوا المادة رقم 9، لكنّهم اعادوا تفسيرها بشكل يسمح لليابان باتخاذ إجراءات غير دفاعية في مناطق خارج حدود البلاد الجغرافية.

تستضيف اليابان عددا من القواعد العسكرية الأمريكية[142]، اغلبها في جزيرة أوكيناوا. ورغم أنّ هذه الجزيرة جزء من الأرض اليابانية، إلّا أنّها في الحقيقة مستعمرة أمريكية. لا يريد سكان هذه الجزيرة القواعد الأمريكية، لكنّ الحكومة اليابانية قد فرضتها على السكان المحليين وعلى المسؤولين الذين انتخبوهم. تخطط الولايات المتحدة الآن لبناء قاعدة أخرى، وهو الأمر الذي قوبل بالاحتجاجات أيضا.[143]

وبطبيعة الحال، ومن وجهة النظر الصينية، فإنّ كافة هذه النشاطات موجّهة ضدّها، وليست أوكيناوا وقواعدها العسكرية موضوعا قليل الأهمية. هناك تاريخ لا نودّ معرفته، لكنّ الصينيين على دراية تامّة به. في عام 1962، وقبل أن يبعث *نِكيتا خروچُف* صواريخه إلى كوبا بفترة 6 أشهر، كان جون *كَنِدي* قد ارسل صواريخ عابرة للقارات ونصبها في أوكيناوا وجعل الصين هدفها. كانت الصين وقتها مشغولة باشتباكات عسكرية على الحدود مع الهند وفي خلاف علني مع الإتحاد السوفيتي. كانت فترة حرجة استغلها *كَنِدي* لإرسال الصواريخ إلى أوكيناوا.[144] ومن الطبيعي أنّنا لم نتحدّث عن هذا الموضوع، وحصرنا حديثنا فقط على صواريخ روسيا المنصوبة في كوبا، وليس عن صواريخ أمريكا في أوكيناوا ولا في تركيا وأماكن أخرى.

الصين محاطة بشبكة صواريخ هجومية تتوزع على البلدان المعادية لها والواقعة تحت السيطرة الأمريكية. فهناك الكثير من هذه الصواريخ في جزيرة جيو وفي كوريا الجنوبية، التي توجد فيها قاعدة عسكرية أمريكية فعّالة. إنّها جزء من حملة المواجهة مع الصين بصدد منطقة بحر الصين الجنوبي. ومن جانبها قامت الصين ببناء استحكامات عسكرية وإجراءات عدوانية في بعض الجزر الجديدة التي ظهرت في ذلك البحر، والتي تعتبرها بعض دول المنطقة جزء من اراضيها وتابعة لها جغرافيّا.

هل أنّ حكومة الولايات المتحدة تبعث الحياة مجددا في سياسة "الاحتواء"؟

إنّها لا تعيد خلقها، لأنّها أصلا سياسة مستمرّة لم تتوقف إطلاقا.

إنّك تعطي صورة تنمّ عن الهدوء والطمأنينة والراحة النفسية. لكنّك أخبرتني في إحدى المرّات أنّ معدتك تتلوّى وتتقلب حين تتحدث مع الجمهور. من أين حصلت على هذا الإتزان؟

ربّما من والدي، الذي كان رواقيا، إلى درجة ما. كان يحرص دائما أن يعطي انطباعا هادئا. ربّما ورثت هذه الميزة منه، مَن يدري؟

كانت والدتك *ألسي* معلمة وقرأتُ في مكان ما أنّها كانت ناشطة سياسية. هل هذا صحيح؟

كانت ناشطة في دوائر الثقافة الصهيونية والعبرية واليهودية، ضمن النسوة القياديات في منظمة هداستاه النسوية. كانت هذه المنظمة مصدر نشاطها السياسي. كانت عائلتها ذات اهتمامات سياسية تنتمي للطبقة العاملة في نو يورك. كان معظم افرادعائلتها عاطلين عن العمل فدخلوا في التجمعات السياسية والحزب الشيوعي، وغيرها.

وماذا عن زوج خالتك *صوفي*، اقصد *مِلتُن كراوس*؟

نعم، في الحقيقة أنّ خالتي وزوجها التقيا في إحدى التظاهرات. أعتقد أنّ *صوفي* ربّما كانت على صلة بتنظيمات الحزب الشيوعي. لستُ متأكّدا من ذلك. لكنّ *مِلتُن* لم تكن له علاقة بتلك التنظيمات. لقد تحرر من كافة الالتزامات السياسية وفضّل الإبتعاد عنها جميعا بكافة اشكالها.

هل كان شبه ضرير، على ما اعتقد؟

نعم، لكنّه يستطيع أن يتبيّن طريقه، وحتى يمكنه القراءة بصعوبة. ومع ذلك، فإنّه قرأ الكثير.

وهو صاحب كشك بيع الصحف عند تقاطع شارع رقم 72 مع برودوَي؟

كان أيضًا يعاني من تشوّهات أخرى، حيث كان أحدبا وصغير البنية. كان ذلك هو سبب حصوله على رخصة فتح كشك لبيع الصحف والمجلات، وفق ترتيبات قوانين الصفقة الجديدة New Deal في ثلاثينات القرن المنصرم.

وأنت تتقدّم في السّن، تزايدت انتقاداتك لإسرائيل واصبحت أكثر وضوحا ومباشرة. هل كانت هناك تقييدات أو صعوبات لإثارة مثل هذا الموضوع أمام والديك؟

ما كانا راضيين على ما أكتب واقول. كتبت لوالدي رسائل حول هذا الموضوع بالذات وناقشناه. لم أقم بذلك مع والدتي، التي لم تعترض. إلّا أنّ والدي امتعض في حينها. لم يكن الأمر أنّه لم يتفق معي. في الحقيقة أنّه اتفق معي في غالبية ما نشرته في تلك الفترة، لكنّه لم يفضّل الطريقة، التي كنت اتحدث فيها عن الموضوع. لم يقل ذلك لي بالضبط، لكنّها عادة يهودية قديمة، بألّا تتحدث عن بعض المواضيع أمام غير اليهود goyim.

نُشِر كتابك حول "السلام في الشرق الأوسط" عام 1974، بعد وفاة والدتك، إلّا أن والدك كان لا يزال حيّا.[145] هل اطلع على مسودة الكتاب قبل طبعه ونشره؟

بعثت له بعض الفصول، خاصّة الفصول الأولى، التي كتبتها في فترة الستينات. لذلك يمكن القول إنّه اطلع على بعض محتوياته، على الأقلّ.

في العديد من العائلات تكون الأمّ أكثر حنوّا، ويكون الأب في الغالب أقلّ إظهارا للعواطف. هل لاحظت هذه الظاهرة في أسرتك؟

في الحقيقة، لا. كان والدي مشغولا في أغلب الأوقات بعمله، لكنّه كانت لي به علاقة شخصية، أكثر ممّا كانت لديّ مع أمي. حين كنت في سن 9 أو 10 سنوات، كنا نمضي في العادة حوالي ساعتين أو أكثر مساء كلّ يوم جمعة ونحن نقرأ سوية بالعبرية بعض المقالات والشعر.

كان بوب تيترز صديقا قريبا لك. هناك قصة مثيرة للاهتمام حول والدته وعلاقتها بأبيك.

دخلت المدرسة وأنا في سنّ الثانية تقريبا. كان والداي مدرّسين للغة العبرية، وكانا يذهبان معا للعمل وقت العصر. وقت كنت صغيرا، كانت امرأة، يمكنك أن تقول إنّها مربّية، تأتي وتأخذني للعناية بي خلال غياب والديّ. حين اصبحت في سنّ 5 أو 6 سنوات، دخلت الصف الأول الإبتدائي. كنت اذهب عصرا بعد انتهاء مدرستي إلى بيت بوب، الذي كان معي في نفس الصف وكان بيته مقابلا لمبنى مدرستي تماما. كانت أمّه تعتني بي إلى حين حضور والديّ بحدود الساعة 6:30 تقريبا بعد انتهاء الدوام في المدرسة العبرية، فيأخذاني إلى بيتنا. لم ندرس أنا وبوب في نفس المدرسة المتوسطة ولا الثانوية، وقليلا ما كنّا نرى بعضنا بعضا.

كانت عائلتينا صديقتين، لكنّها ما كانت صداقة حميمة، فلم تحظر عائلة بوب *إلى* بيتنا في المناسبات الاجتماعية. غير أنّه بعد سنوات، توفي والد بوب وتوفيت والدتي. وبطريقة ما التقت أمّ بوب بوالدي وقرّرا الزواج. كانت مسيحية أصلها من منطقة وسط غرب الولايات المتحدة. كانت لديها مشاعر معادية للسامية، لكنّها اعتبرت عائلتي استثناء. غير أنّها بشكل عام ما كانت تحبّ اليهود. لم تعتنق الديانة اليهودية بعد زواجها من أبي، رغم أنّه أصرّ على ذلك. كانت قضية معقدة، لكنّهما كانا سعيدين معا.

هل لديك خطط للاحتفال بعيد ميلادك؟

هذه مسألة شخصية لا اتحدّث عنها.

يولي الناس اهتماما كبيرا بالرجل تشومسكي.

ربّما يكون الأمر كذلك، لكنّني حرصت دائما أن أفصل ما بين حياتي الخاصّة وحياتي العامّة.

الحوار التاسع
نحو مجتمع أفضل

كيمبرج، ماسّچوسِت، 11 مارس 2016

كانت كلمة "الإشتراكية" من أكثر الكلمات، التي تردّد البحث عمّا تعنيه في قواميس اللغة عام 2015. واشار عدد من استطلاعات الرأي العام أنّ الشباب بين سنّ 18-29 عاما، لهم وجهات نظر تفضّل الإشتراكية.[146] هل تعتيبر هذا أمرا مدهشا بالنسبة لك؟

ليس مدهشا ولكن غير مؤكّد. السؤال هو ماذا يقصدون بالإشتراكية؟ أشكّ أنّهم يعنون شيئا يُشبه الديمقراطية الإشتراكية، التي تعني شيئا يشبه **الصفقة الجديدة** New Deal ودولة الرعاية الصحيّة الرأسمالية. وإذا كان الأمر كذلك، فليس مدهشا لأنّ استبيانات الرأي العام قد اشارت لعدة سنوات بأنّ هذا يعكس بشكل واسع اهداف غالبية المجتمع.

لقد شاركت في نضالات ونشاطات لا تُعدّ ولا تُحصى خلال الحقب الماضية. هل تشعر بوجود دروس تنطبق على ما يجري في ايامنا هذه؟

في الحقيقة كلها تقريبا. فلو اخذت مثلا تنظيم الناس الفقراء لوجدت أنّ حركة الحقوق المدنية لديها الكثير من الخبرات لتعلمّها للآخرين. وكذا الحال بالنسبة للحركة العمالية. هناك مبادئ أساسية عامة لكافة أشكال التنظيمات، والمطلوب أن تجد مواضيع تتوفّر فيها عدة شروط. أوّلا، يجب أن يهتمّ الناس بتلك المواضيع. ثانيّا، أنّ الحلول لها في حدود المستطاع، وثالثا، يجب أن يكون بالمستطاع اقناع هؤلاء الناس بأنّ الحلول ممكنة. سبب قولي هذا هو أنّ مِن بين العوامل المعيقة للتنظيم هو الشعور، "بأنّك لا تستطيع أن تقاوم بلدية المدينة وسلطتها،" Town Hall. المطلوب منك أن تظهِر للمواطنين بأنّك فعلا ***تستطيع مقاومة بلدية المدينة وسلطتها***. والطريقة الفضلى لفعل

ذلك هي التنظيم الناجح لإيجاد موضوع صغير يهمّ المواطنين ويمكن تحقيقه، ويجب أن ترفع بينهم الإحساس بإمكانية النجاح وتحقق ذلك، ثمّ تنتقل إلى موضوع آخر.

لنأخذ على ذلك مثلا قصة سمعتها قبل وقت قصير حول عدد من النسوة العاملات، اللواتي يسكنّ في منطقة عمالية تضمّ بعض المهاجرين في جنوب مدينة بوسطن. في البداية ومن أجل كسر حاجز اليأس، بدأت أولئك النسوة بمطلب بسيط. نظّمت هؤلاء النسوة أنفسهن وطالبن إدارة المدينة بوضع إشارة مرور على الشارع الذي يضطر فيه الأولاد والبنات من اطفالهن عبوره، كي يصلوا إلى المدرسة في الجانب الآخر من ذلك الشارع. قمن أوّلا بممارسة الضغط على المسؤولين المحليين وتمكّنّ من إقناعهم. أدركن أنّه بإمكانهنّ أن يطالبن بأمور أخرى إذا تكاتفن معا، ثمّ بدأت حملة مطالبة أخرى. هذه هي الطريقة، التي تبني فيها، وهي أساس التنظيم والإنخراط في النشاطات.

دعنا نتحدث عن أمريكا اللاتينية، وهي منطقة كانت من الناحية التاريخية في قبضة حكومة الولايات المتحدة. أنتُخِب هوگو *شافَز* رئيسا لفنزويلا عام 1999، واعقبه بعد وفاته *نِكولاس مَدورو*. ما هو تقييمك لما جرى في ذلك البلد؟

ما حدث في فنزويلا أوّلا وقبل كلّ شيء هو حالة متطرّفة لكلّ ما حدث في أمريكا اللاتينية بشكل عام. وهي حالة مأساوية للغاية. حاول *شافَز* نفسه أن يجري تغييرات هامّة إيجابية، لكنّ الطريقة، التي سلكها كانت تشوبها عيوب أساسية. أوّلا، أنّ التغيرات حدثت على مستوى القمة وليس على مستوى القاعدة. كانت هناك محاولات لتنظيم النشاطات الشعبية، لكنّها كانت محاولات محدودة. وعلى الأقل، أنّني شخصيّا لم أكن على اطلاع بتلك المحاولات وكم حققت من النجاح.

ثمّ كان هناك قدر كبير من الفساد وعدم الكفاءة، اللذين أدّيا إلى إفشال تلك الجهود بشكل جدّي. إلى أيّ مستوى كان ذلك الفساد وعدم الكفاءة متفشيين في هيكل السلطة؟ لا اعرف ذلك. وثالثا، لم تجرِ أيّة محاولات جادّة لتغيير طبيعة الاقتصاد القائم على عنصر واحد فقط، هو النفط. في الحقيقة، أصبحت فِنزويلا أكثر اعتمادا على النفط ممّا كانت عليه الحال من قبل. باستطاعة فنزويلا أن يكون لها اقتصاد زراعي وآخر صناعي منتجين. ولكن بدلا من ذلك، اصبح اعتمادها على النفط اعتمادا ساحقا.

أعتقد أنّ *شافَز* كان على علم بذلك. لقد القى خطابا هاما في اجتماع الأمم المتحدة، أشار فيه إلى أنّ فنزويلا مصدّر للوقود الإحفوري، واقترح أن يجتمع المنتجون والمستهلكون لإيجاد طريقة ما لتخليص العالم من هذا النوع من الوقود لأنّه مدمّر للبيئة. وهذا موقف غير عادي يتبناه شخص يعتمد اقتصاد بلده على انتاج هذا النوع من الوقود. تعرّض *شافَز* للسخرية الواسعة بسبب تسمية جورج *بُش الإبن* بأنّه "الشيطان" في مطلع خطابه المذكور، لكنّني لم اشاهد أيّة تقارير عن تعليقاته حول الوقود الإحفوري.[147]

إنّ المزج بين المبادرات التي قدّمتها القيادة والفشل في التحرك صوب تنويع مصادر الاقتصاد، والفساد وعدم الكفاءة، أدّت هذه مجتمعة إلى انهيار الاقتصاد في فنزويلا.

أمّا بالنسبة لما حدث في بقيّة بلدان أمريكا اللاتينية بشكل عام، فهو مهمّ للغاية. تتمتع أمريكا اللاتينية بفائض من الخيرات الطبيعية. كان يمكن أن تجعل هذه بلدان القارة في عداد البلدان الثرية المتقدّمة. وخلال القرن الماضي، كانت البرازيل تعتبر "عملاق قارة أمريكا الجنوبية،" وتقع في منزلة عمالقة أمريكا الشمالية. تتمتع كافة بلدان القارة بخيرات طبيعية وافرة ولا تتعرّض لأيّة تهديدات خارجية، وأمامها الفرص الكثيرة للنمو والتطور.

غير أنّ هذه الفرص اختفت واختفى معها التطور المنشود. والسبب في ذلك يعود إلى عوامل داخلية. عادة ما يكون قادة دول المنطقة ذوي توجّهات أوروبية واغلبهم من نخب البيض الإثرياء بشكل فاحش ولهم ارتباط وثيق بالغرب ثقافيا واقتصاديا. في الحقيقة، لم تمارس هذه النخب مسؤولياتها اتجاه بلدانها الأصلية. وهو الأمر الذي قاد إلى الفقر المدقع والقمع الرهيب. جرت محاولات للخروج على هذا الواقع المزري، ولكن تمّ سحقها بقسوة.

وعلى أيّة حال، جرت خلال السنوات الخمسة عشر الأخيرة، محاولات تتعلق بهذا الموضوع في عدد من البلدان ومنها البرازيل وفنزويلا وبوليفيا والإكوادور وأرِگوَي والأرجنتين، التي اطلق عليها "الموجة الوردية،" وحقق بعضها نجاحات متفاوتة. هناك ميل شديد، خاصّة حين تحصل على قدر من القوة، أن تمدّ يدك "في الكيس" وتبدأ العيش كما النخبة. وهذا هو السبب وراء تقويض الحكومات اليسارية وسقوطها، الواحدة تلو الأخرى. إنّ فنزويلا مثال على ذلك، والبرازيل مثل آخر. لقد كانت أمام **حزب الشغيلة** فرصة حقيقية لتغيير البرازيل ومعها كافة بلدان أمريكا اللاتينية. حقق الحزب بعض الإنجازات، لكنّه بالتأكيد ضيّع تلك الفرصة الكبيرة. وعليه، فإنّ

مشاعري هي أنّه تمّ تحقيق بعض الإنجازات الثابتة، ولكن حدثت بعدها خطوات للوراء ألغت بعض تلك الإنجازات. قد يكون هناك أساس للتحرك قدُما مرة أخرى في المستقبل، إذا تمّ حلّ المشكلات الجارية. لكنّني لست متأكّدا بأنّ تلك المشكلات ستُحلّ بالشكل المطلوب.

أصبح *لويز دا سِلفا*، قائد حزب الشغيلة، رئيسا للبرازيل عام 2003، وخلفته بعد ذلك في عام 2011 نائبته *دِلما روسِف*. إزدادت فضائح الفساد حدّة، خاصّة في شركة النفط الوطنية بِتراوس، التي تمتلكها الدولة. تسببت تلك الفضائح في تردّي نسبة التأييد للحكومة وحزبها. قبل ذلك بسنوات قليلة، كانت البرازيل ضمن كتلة البلدان ذات الاقتصاد القوي BRICS. ضمّت هذه الكتلة البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا، وكان من المتوقع أن تكون هذه الكتلة بديلا لهيمنة الولايات المتحدة.

نعم، وفي الحقيقة أنّ البرازيل وبطرق شتى كانت من الدول، التي حظيت باحترام كبير حول العالم. *لولا* نفسه حظي باحترام كبير في رأيي، أيضا. كان رجلا شريفا للغاية بين زعماء العالم. فوجئت كغيري بتهم الفساد، التي وُجّهت له وبعضها تهم محرجة يشوبها الشكّ. لا أدري إلى أيّ حدّ إن كانت تلك الإتهامات من اختلاق إنقلاب عسكري يميني تولى السلطة بعده، وإلى أيّة درجة تصحّ فيها تلك الإتهامات. الإتهامات العلنية الموجّهة له غير مقنعة تماما. وعليه يجب الإنتظار حتّى تتبيّن حقيقة الأمور. لا اعتقد أنّ الحقائق واضحة بمجملها، ولكن لا جدال بوجود فساد مستشر.

هناك قضايا متشابهة عمّا جرى في كلّ من البرازيل وفنزويلا. لم تستغلّ البرازيل هي الأخرى الفرصة المواتية للتقدم نحو اقتصاد متنوّع. في الحقيقة، إنّها ابتعدت عنه، حين استفادت بشكل مؤقت من التقدم السريع للغاية في الصين، وشهيتها للحصول على المواد الأولية لخامات الحديد، وكذلك بذور الصويا من البرازيل. وبطبيعة الحال، كان لهذا الإعتماد نتائجه على الاقتصاد البرازيلي، وكان معناه استيراد البضائع الصينية زهيدة الثمن واغراق السوق بها، فأضّر ذلك بما كان يوجد في البلد من الطاقات الصناعية المحلية. فكانت حتمية ذلك أن ظلّ الاقتصاد البرازيلي معتمدا على عنصر واحد بدلا من التنوّع. ويصدق هذا القول على ما جرى في الأرجنتين والبِيَرّو، إذ أنّ اقتصاد هذين البلدين بدأ يتهاوى هو الآخر لنفس الأسباب.

لو كانت الولايات المتحدة قد سلكت هذا الإتجاه بعد قيام الثورة الأمريكية، لكان اقتصادها الآن يقوم على الزراعة وصيد الأسماك وتجارة الفرو. في الحقيقة، كانت تلك عناصر الاقتصاد،

التي شدّد عليه الاقتصاديون في ذلك العصر، مثل *آدم سمِث*، الذي قدّم نفس المبرّرات، التي يقدّمها الآن صندوق النقد الدولي والاقتصاديون من اتباع الليبرالية الجديدة، الذين يحثّون بلدان العالم الثالث لنهج هذا السبيل. لحسن الحظ، لم تعمل الولايات المتحدة بتلك النصائح، لأنّها كانت تسعى للاستقلال.

في عام 2006 أنتُخِب *إيفو مورالِس* كأوّل رئيس لبوليفيا، ينحدر من سكان البلاد الأصليين، وأوّل رئيس من نوعه في عموم أمريكا اللاتينية. في عام 2016، فشلت محاولته لتمديد فترة رئاسته للمرة الرابعة.

في الأصل كانت مشاعر معادية للعجرفة. لا نريد العودة إلى نظام القائد القوي الجاثم في السلطة إلى الأبد. وبصفته قائدا، تقبّل *مورالِس* الهزيمة نتيجة للانتخابات العامة في البلاد. أعتقِد أنّ نفس المشكلات، التي تطرقت إليها خلال حديثي عن فنزويلا والبرازيل، والإنجازات التي تمّت فيهما، قد وُجِدت في بوليفيا أيضا.

دعنا ننتقل إلى الهند وحزب الهندوس الوطني الحاكم، المسمّى حزب بهراتيا جاناتا BIP وقائده رئيس الوزراء *نارِندرا مَودي*. ذكر تقرير لصحيفة الگارديَن، أنّ الحكومة تواجه اتهامات بكبت حرية الكلام وتشجيع العناصر المتطرفة في الحزب والتهديدات المنتظمة لمحاولات النقد. "الطلبة الذين يدرسون في جامعة جواهر لال نِهرو JNU، قد تعرضوا للإعتقالات ووُجّهت اليهم شتّى الإتهامات بمعاداة ناشطي الحزب الهندوسي الوطني، إضافة إلى إثارة الفِتن.[148] ما هو رأيك بما يجري هناك؟

الطلبة يطالبون بتحرير ولاية كشمير، وهم من المعارضين لإجراءات الحكومة القاسية واضطهادها للمواطنين في تلك الولاية. كانوا يتظاهرون تأييدا لناشط سياسي أتّهِم بشتى صنوف الجرائم، وتمّ تنفيذ حكم الإعدام بحقه.

إسمه *أفضل گورو*. [149]

نعم، أثار الطلبة المتظاهرون الشكوك بمصداقية التهم، التي وُجّهت إليه، فتمّ إرسال رجال الشرطة لقمع الاحتجاجات على تنفيذ حكم الإعدام فيه. إعتقلت الشرطة قائد الحركة الطلابية ومعه

بعض الأساتذة من اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة، الذين تعرّضوا جميعا لاستجوابات قاسية.[150]

حدث ذات الشيء في جامعات أخرى. تجري كافة هذه المضايقات في ضوء زيادة عنف الهندوس الوطنيين وقمعهم للمواطنين الآخرين. فمثلا، قتلوا مسلما وادّعوا أنّه سرق بقرة.[151] تجري حالات مشابهة لما ذكرت في كافة ارجاء البلاد.

إنّ بروز الهندوسية الوطنية المتطرفة، حالها كحال الجماعات المتطرفة الأخرى، ظاهرة تبعث على القلق وتخلق الخوف. هي واحدة من الحركات، التي تبغي فرض السيطرة الوطنية المتطرفة الممزوجة بمسحة الديانة المتطرفة أيضا. ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة حول العالم.

هل بإمكانك أن تتحدّث عن العلاقات العسكرية المتنامية بين حكومة الهند من جهة، وبين حكومتي الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى؟

هذا تغيّر حقيقي. احتلت الهند تحت قيادة *جواهر لال نهرو*، موقعا باعتبارها نواة لكتلة عدم الإنحياز (مع *عبد الناصر* في مصر و*سوكارنو* في أندونيسيا و*تيتو* في يوغسلافيا). كانت علاقة البلاد آنذاك اقرب إلى الإتحاد السوفياتي. غير أنّه في السنوات الأخيرة تحولت العلاقات بشكل متزايد صوب الولايات المتحدة وبدأت الهند تسير في فلكها. وهذا يعني طبعا علاقات وطيدة بإسرائيل.

السبب الرئيسي لهذا التحوّل في السياسة يعود إلى المشاعر المضادة للمسلمين في هذه البلدان الثلاث. في إسرائيل العداء ليس واضحا ضدّ المسلمين بل أيضًا ضدّ كلّ عربي ترى فيه تهديدا لوجودها (يوجد داخل حدود إسرائيل حوالي 1.89 مليون عربيا/فلسطينيا يمثلون 21% من مجموع سكان البلاد. أمّا في الضفة الغربية، فيوجد ما يقرب من 2.16 مليون عربيا/فلسطينيا.) في الهند توجد أقلية مسلمة يبلغ عددها حوالي 182 مليون مواطنا. في الولايات المتحدة يوجد 3.45 مليون مواطنا يعانون من مشاعر الكره للإسلام والمسلمين بين عامة الناس، نتيجة ما يُسمّى الحرب ضدّ الإرهاب. وهي حقيقة حرب موجّهة ضد المسلمين.

لقد ساعدت الولايات المتحدة عمليا في تطوير الأسلحة النووية في الهند، كما فعلت مع إسرائيل وپاكستان أيضا. وهي البلدان الثلاث، التي ترفض التوقيع على معاهدة عدم انتشارالأسلحة

النووية NPT. وفقا لنصوص هذه الإتفاقية، فإنّه يتعيّن على الولايات المتحدة **عدم تقديم أيّة مساعدة إلى أيّ بلد غير ملتزم بهذه الإتفاقية**. غير أنّه في فترة رئاسة جورج *بُش الإبن*، زوّدت الولايات المتحدة الهند بما تحتاجه من المواد لتطوير سلاحها النووي.[152] تدّعي الولايات المتحدة أنّها تقدّم العون للبرنامج الذري الهندي للأغراض السلمية. غير أنّ هذا الإدّعاء سخيف لا معنى له لأنّ الهند تستطيع تغيير تطوير عملياتها الذرية من الاستخدامات المدنية إلى الاستخدامات العسكرية. وثانيا، تساعد هذه المعونة الهند من أجل تخصيص المزيد من جهودها نحو تطوير الأسلحة النووية. كما استطاعت إدارة *بُش* المذكورة ليّ ذراع البلدان الأخرى كي تستطيع ***جماعات تزويد المواد النووية*** من المضي في جهودها لمساعدة الهند في بناء ترسانتها من الأسلحة النووية.

توجد الآن علاقات وطيدة تشبه التحالف النووي الأمريكي الهندي. كما أنّ الولايات المتحدة تقدّم العون لعدو الهند الأساسي، پاكستان، التي تحظى أيضًا بدعم من الصين. لپاكستان والصين مصالح في محاربة الإرهاب. في المنطقة التي يقطنها المسلمون الويگر في شمال غرب الصين، حيث تجري عمليّات إرهابية تنفذها جماعات اصولية لها علاقة بمنظمة طالبان في پاكستان. وعليه يوجد تعاون بين الحكومتين لملاحقة مثل هذه النشاطات الإرهابية.

هناك إمكانية حقيقية بأنّ معونة الصين لپاكستان تتخّذ طابع النمو والتطوّر. وهذا أمر أيجابي لدى المقارنة مع المعونة الأمريكية، التي تتسم بالطابع العسكري. إنّ خطط الصين للبنية التحتيّة التي يجري تنفيذها الآن تدريجيا عبر منطقة أوراسيا، ستصل قريبا إلى أوروپا. وهي تمثّل تطوّرا رئيسيا في الشؤون العالمية. فالسيطرة على أوراسيا معروفة لوقت طويل بأنّها أساسية في مسألة توازن القوى السياسية العالمية ويُنظر إليها أحيانا بأنّها المفتاح للقوة الدولية.

تركيا بلد آخر يتحول تدريجيا أكثر فأكثر ليصبح بلدا أوتوقراطيّا يقوم فيه نظام شموليّ متسلط. وغالبا ما تتمّ مداهمة مكاتب الصحف، ويخضع الصحفيون والأساتذة الجامعيون إلى شتى صنوف التهديد والإعتقالات. لقد ذكرك الرئيس *إردوان* بالإسم ودعاك لزيارة تركيا.[153] ما هي خلفيات هذه الدعوة؟ هل قمت بزيارة تركيا فعلا؟

لا، طبعا. أمّا بالنسبة إلى خلفية هذه الدعوى، فقد حصل تفجير إرهابي في العاصمة أنقره ذهب ضحيته عدد من المواطنين. رُبّما كانت داعش وراء ذلك التفجير، ومعروف أنّ تركيا تقدّم لهذه المنظمة العون ضمنيا وبطرق شتّى. لكنّ *اردوان* ألقى باللائمة على الأكراد.[154] أدّى هذا

الإتهام إلى اللجوء لقمعهم بشكل ملحوظ. فُرِض حظر التجول لعدة أشهر في جنوب شرقي تركيا، وهو الأمر الذي أثر على حياة مئات الآلاف من الناس، وكان حظرا قاسيا ووحشيّا.[155] مُنِع الناس من مغادرة بيوتهم وانتشر القناصة فوق اسطح البيوت والبنايات ودُفِع بالمعدات العسكرية والآليات الثقيلة إلى المنطقة، وجرت عمليات قتل وتُركت بعض جثث القتلى في داخل البيوت لأنّ الناس لم يستطيعوا دفن موتاهم.

توفر تركيا الممرات الآمنة للجهاديين وأسلحتهم ومعداتهم وآلياتهم عبر حدود تركيا الجنوبية وسهولة انتقالهم للدخول إلى سوريا في المناطق، التي سيطرت عليها ما تسمّى الدولة الإسلامية. كما أنّ داعش بدأت تصدر النفط المستخرج من الأراضي السورية وبيعه للخارج عبر الحدود وبواسط الوكلاء الأتراك. وأدّعى البعض أنّ المستشفيات التركية في المناطق الحدودية والجنوبية بشكل عام، أخذت تستقبل الجرحى والمصابين من مقاتلي داعش وتوفر لهم الخدمات العلاجية والصحية. لا اعرف إن كان ذلك فعلا صحيحا، لكنّ الصحفيين، الذين نقلوا تلك الأخبار قد ألقي القبض عليهم وأودعوا في السجون.[156] أدّت تلك الإعتقالات إلى قيام احتجاجات وتقديم التماسات بطلب اطلاق سراحهم، وقع عليها الآلاف من الأساتذة الجامعيين الأتراك والأجانب.[157] كنت ضمن من وقعوا على تلك الإلتماسات. حين ردّ *أردوان* بالهجوم على الأساتذة، كان الردّ يحمل في طياته الكثير من المخاطر عليهم. كما أنّه وجّه لي انتقادا شديدا لأنّي نلت من شرف تركيا! ولذلك قال، لماذا لا تأتي هنا وترى الحقيقة بنفسك؟ طُلِب منّي أن أكتب ردّا، فكتبت شيئا قصيرا للغاية.[158] وكانت تلك هي نهاية القصة.

يسكن الأكراد في مناطق سوريا الشمالية المحاذية لحدود تركيا ومركزها القامشلي، التي أشار إليها الكاتب والمفكر الأمريكي *موري بُكچِن*، الذي ينحدر أصلا من منبج وتوفي عام 2016.[159] ما الذي يجري هناك؟

ليس الأمر بهذا الوضوح. أوّلا يجب الإفصاح عن أنّ الوضع هناك فظيع للغاية. فسوريا تنهار تدريجيا وتزداد الأوضاع فيها تدهورا. هناك قتال مستمرّ، رغم وجود نوع من الهدنة بين الأكراد وحكومة *الأسد*، للحدّ الذي جعل الصدامات بينهما تنتفي تقريبا في الفترة الأخيرة.

لربّما يأتي الأكراد في طليعة القوات الرئيسية، التي تحمي السكان من وحشية داعِش. يقبع قائدهم *عبد الله أوچلان* المعروف عنه أنّه من المعجبين بشخصية *ستالِن*، في زنزانة انفرادية في أحد

السجون التركية. ولكن خلال فترة اعتقاله وبمضي الوقت بدأ يُظهر تغييرا في مواقفه، على الأقل فيما كتبه من زنزانته. يبدو أنّه اطلع على ما كتب *مَوري بُكچِن* عن نشاطات التمرد، التي تقوم بها الجماعات الكردية المسلحة وفي طليعتها حزب PKK وانصاره في شمال العراق والأكراد عموما في شمال سوريا. أظهرت كتابات *أوچلان* تأثره بأفكار *بُكچِن*، ولكن من الصعب القول أو إصدار حكم عن مدى هذا التأثر ودرجته، وحتى إنْ كان هناك فعلا تطبيق لبعض تلك الآراء ووضعها موضع التنفيذ. غير أنّ الجميع متفقون على وجود تأكيد على حقوق المرأة وانخراطها في العمليات القتالية، إضافة إلى مساهماتها في البرامج والنشاطات الاجتماعية. وهذه جميعا موضوعات تلفت النظر في ظلّ الظروف السائدة في المنطقة.

تعود الانتخابات الأمريكية مرّة أخرى إلى الواجهة. لماذا لا تجري هذه الانتخابات خلال عطلة نهاية الأسبوع، حين لا يذهب الناس للعمل، كما هو حال الانتخابات الهامة في البلدان الأخرى؟ وماذا عن الغاء نظام صفوة الناخبين Electoral College، التي تبدو أنّها فكرة قديمة؟ ولماذا لا يُسمح للمواطنين أن يُدلوا باصواتهم الانتخابية في مناطق سكناهم الحالية، بدلا من مناطق تسجيلهم؟

هناك بون شاسع بين الانتخابات في أمريكا والبلدان الديمقراطية الراسمالية الأخرى. أوّلا، إنّ الانتخابات في هذه البلاد قضية لا تنتهي، فما أن تنتهي جولة منها حتى تبدأ جولة أخرى مباشرة. وهذا يعني أنّك حين تذهب إلى مكتب عملك كشخص مُنتخَب، يجب أن تبدأ في ذات اليوم على جمع الأموال لحملتك الانتخابية القادمة. وبطبيعة الحال، فإنّ هذا يؤثر على سياسة اتخاذ القرارات. في البلدان الأخرى، تستمر الحملة الانتخابية لفترة قصيرة تتضمن بعض اللقاءات بين المتنافسين لمنقاشة بعض المواضيع الهامة، ويذهب الناس بعدها للإدلاء باصواتهم، وينتهي الأمر.

كما أنّ تمويل الانتخابات يلعب دورا كبيرا في السياسة الأمريكية يتعدّى ما تجده في البلدان الغربية الأخرى. إزدادت رقعة هذا الإختلاف بسبب قرار المحكمة العليا في البلاد بشأن قضية **بكلي ضدّ فالو** حول مسألة اعتبار التبرع للحملة الانتخابية مسألة حرية تعادل حرية الكلام والتعبير عن الرأي. ثمّ تبعها قرار ***لجنة اتحاد المواطنين***. وهذا يعود إلى وقت سابق حيث توجد أدلة مقنعة بأنّ تمويل الحملات الانتخابية يعتبر مؤشرا للتنبؤ بالقرارات السياسية.[160]

ثمّ حدثت قضية التلاعب المتعمّد بالحدود الجغرافية للمناطق الانتخابية قصد التدخل في عمليات الاقتراع لصالح حزب دون الآخر. يحدث هذا في الغالب على يد الجمهوريين بهدف حرمان المواطنين من الإدلاء باصواتهم الانتخابية. هناك سبب مقنع، بالنسبة لهم، وهو أنّ المواطنين الفقراء اقلّ تحمّسا وتأييدا لمرشحي الحزب الجمهوري. وعليه، فإنّ الجمهوريين يعارضون إجراء الانتخابات في يوم الأحد، لاعتقادهم أنّ كنائس السود ستنقل الناخبين مباشرة إلى مناطق صناديق الاقتراع للإدلاء باصواتهم. أضف إلى ذلك، أنّ الجمهوريين يطالبون بأن يبرز الناخبون هوية اثبات الشخصية للتأكّد من حقهم في عملية الاقتراع، خاصّة السود، الذين لا يحملون مثل هذه الوثائق أصلا. كافة هذه الإجراءات هي محاولات للإبقاء على تفردّهم بالسلطة، رغم عدم مساندة الأقليّات لهم.

ربّما من أبرز الأمثلة هو مجلس النواب، الذي يسيطر عليه الجمهوريون، رغم حصولهم على اقلية في الانتخابات. في عام 2014 جرت انتخابات عامة كان التصويت الشعبي فيها لصالح الحزب الديمقراطي، لكنّ الجمهوريين فازوا باغلبية مقاعد المجلس المذكور.[161]

لقد فازوا بمجلس الشعب نتيجة تلاعبهم بخرائط المناطق الانتخابية.

ليس فقط التلاعب بالخرائط الانتخابية. هناك تغيّر في تركيبة السكّان. الذين يصوّتون لصالح الحزب الديمقراطي يكونون عادة من ساكني المدن والمصوتون لصالح الحزب الجمهوري يكونون في العادة من ساكني الأرياف. هذا يعني أنّ التصويت لصالح الديمقراطيين يكون قويّا في المناطق، التي يقلّ فيها عدد النواب الممثلين. وهذ لا يعني إهمال مسألة التلاعب بالخرائط الانتخابية. ونظرا لأنّ المحكمة العليا لم توافق على تشريع **قانون حق الانتخاب**، الذي يحمي حقوق الأقليّات في الولايات ذات التاريخ الطويل في مسألة العنصرية وضغطها على الناخبين من أجل حرمانهم من التصويت، فقد ازدادت هذه الممارسات حدّة.[162] كافة هذه القضايا جميعا ذات تأثير أكبر من أهمية مسألة صفوة الناخبين Electoral College، رغم وجوب الإعتراف بوجود الكثير من نقاط الضعف في هذا النظام. غير أنّ تأثيره قليل، لا يمكن مقارنته بالعوامل الأخرى.

الشيء غير الإعتيادي في الولايات المتحدة أنّ الحزبين السياسيين لا يقومان على أسس طبقية. إنّهما يقومان عل أسس جغرافية وتحالفات غريبة. في الحقيقة وفي ضوء العديد من النواحي، لا يزال الحزبان يعكسان الأوضاع السائدة، التي سبقت الحرب الأهلية. يبدو الأمر بالغ الوضوح إذا

نظرت إلى خارطة الانتخابات لعام 2012. ستجد أنّها تعكس واقعي الكونفدرالية والإتحادية، لكنّهما بمسمّيات مختلفة. في دراسة حديثة قامت بها جامعة براندايس، وُجِدت علاقة واضحة بين نشاطات منظمة KKK العنصرية في السنوات القليلة الماضية، واتجاهات التصويت لصالح الحزب الجمهوري.[163]

أضف إلى ذلك، قضية عدم المشاركة في التصويت، التي تصل إلى نسبة عالية في الولايات المتحدة. قام *والتر دين برنهام*، وهو في طليعة المتخصصين في الأمور السياسية، بدراسة هامة في ستينات القرن الماضي لمعرفة الأشخاص، الذين لا يشاركون بإدلاء اصواتهم في انتخابات هذا البلد.[164] وجد أنّه حين أخذ بنظر الإعتبار الحالة الاجتماعية ـ الاقتصادية، فإنّ عدم المشاركين يتشابهون مع الناخبين الأوروپيين، الذين يصوتون لصالح الأحزاب الاجتماعية ـ الديمقراطية أو احزاب العمال. ونظرا لأنّ احزابا من هذا النوع لا يوجد لها مثيل في الولايات المتحدة، فإنّ الناس في أمريكا يفضّلون البقاء في بيوتهم ولا يشاركون للإدلاء باصواتهم.

وعليه، توجد عوامل عدة. إنّ قلة التمثيل النسبي لها أثر كبير، لأنّ معنى ذلك أنّ الفائز يفوز بكلّ شيء. كما يجب التذكير بأنّه ليس بالإمكان تأسيس احزاب مستقلة في هذه البلاد، فليس امامها أيّة فرصة للنمو تدريجيا حتى يصبح لها نفوذ أوسع وقوة أكبر بمرور الوقت.

ولكن مع ذلك هناك امور ايجابية في نظامنا السياسي. فمثلا حرية الكلام والتعبير عن الرأي لا مثيل لها في أيّ مكان في العالم. بالتأكيد هناك نواقص كثيرة تستدعي المعالجة وتتطلب إيجاد الحلول المناسبة.

ربّما تكون قد سمعت النكتة القائلة إنّه لو كان الربّ يريد منّا أن نساهم في الانتخابات لندلي بأصواتنا فيها، لكان بعث لنا بعض المرشحين.

نعم سمعتها واعتقد أنّ فيها الكثير من التهكم. هناك اختلافات بين المرشحين تكون احيانا هامة للغاية. بالمناسبة، لا يتوقف ذلك على مرشحي الحزبين. لقد صوّت شخصيّا لصالح الحزب الجمهوري في انتخابات الولاية خلال فترة ستينات القرن الماضي، لأنّ الجمهوريين كانوا من أقوى مناهضي الحرب في فيتنام.

غير أنّه في السنوات الأخيرة، أصبح الحزب الديمقراطي يميل إلى المركزية المعتدلة وتحوّل الجمهوريون إلى اقصى اليمين. هناك اختلافات هامة في موقفي الحزبين في الأمور التي تهدّد حياة البشر والكائنات الأخرى، لكنّ مثل هذه القضايا نادرا ما تُثار للنقاش من قبل الجانبين في فترة الانتخابات. فمثلا الاحتباس الحراري العالمي وموضوع زيادة الإنفاق العسكري (وعسكرة رجال الشرطة المُتغوّلين منذ عام 2011). هناك اختلاف جوهري بين موقفي الحزبين ازاء هذه المواضيع.

في مناقشة لك جرت لبرنامج اتحاد العمال في جامعة هارفرد، حضرها ناشطون من كافة انحاء العالم، سألك أحد الحاضرين عن الإشارات الإيجابية للمستقبل.[165] فوجئت بجوابك ردّا على ذلك السؤال. أشرت إلى مصر كمثال، واقتبست من كتاب *جاك شِنِكَر*، المراسل السابق لصحيفة الگاردين.[166] تمرّ مصر الآن في وقت عصيب.

هذا صحيح. حين قرأت كتاب *شِنِكَر*، لم تكن لدي قبله معلومات موثوقة عن مصر، ولم اعرف عنها الكثير. بعثت الكتاب المذكور لبعض الأصدقاء، الذين أثق بتحليلاتهم، فأخبروني أنّ ما ورد فيه مِن المعلومات دقيق للغاية. ذكر *شِنِكَر* أنّ نظام *السيسي* يقود البلاد إلى الكارثة. ومع ذلك هناك حركة ناشطة وحقق النظام بعض المنجزات فيما يتعلق بالربيع العربي، خاصّة موضوع الحركة العمالية، التي تناولها بالتفصيل. أعتقد أنّ ذلك إشارة إيجابية.

أوردت صحيفة نو يورك تايمز قصة محزنة لبعض افراد النخبة المصرية من ابناء الأثرياء، الذين استفادوا كثيرا من الحكم الدكتاتوري. كان هؤلاء منزعجين جدّا بسبب تأخّر وصول سيارات المرسيدس التي طلبوها من ألمانيا لمدة شهر عن الموعد المقرّر. كما عبّر البعض عن انزعاجهم لأنّ الموديلات التي اختاروها، لم يصل بعضها حسب الطلب، وعوّض عنها بموديلات أخرى من نفس الشركة. وبشكل عامّ، فإنّ المنافع، التي تعوّدت هذه الطبقة أن تجنيها، اصبحت صعبة المنال، خاصّة وأنّ البلد يمرّ بأزمة اقتصادية. أضف إلى ذلك، أنّ السعودية قد توقفت عن تقديم العون المالي لنظام *السيسي*، ولم يعد الأمر كما كان عليه في السابق.

لي صديق في غزة يتصل بي بالهاتف بشكل منتظم. يسكن قرب مدينة رفح الواقعة على حدود مصر وغزة. ذكر أنّه بالإمكان سماع اصوات التفجيرات والقصف بشكل متكرّر ودائم، لأنّه لم تستطع الحكومة المصرية بسط نفوذها الكامل على مناطق سكن البدو في صحراء سيناء، التي

تتواجد فيها التنظيمات الجهادية الإسلامية الأصولية. إدّعت تلك التنظيمات مسؤوليتها عن تفجير طائرة الركاب المدنية الروسية، التي اقلعت من أحد مطارات سيناء. أدى هذا العمل إلى مقتل أكثر من مئتي شخص من السيّاح. وكان له تأثير على قطاع السياحة وأضر به، خاصّة وأنّه جزء مهم يعتمد عليه اقتصاد البلد.[167]

لا شكّ أنّ النظام يواجه بعض الصعوبات. وإذا كان تحليل شِنِكَر سليما، وذلك ما اعتقده، فإنّ هناك بعض الدلائل، التي تشير إلى امكانية قيام نظام أكثر ديمقراطية في مصر.

بصدد الأسئلة التي طرحتها في كتابك المعنون، "أيّ نوع من البشر، نحن؟" بودي أن أسالك سؤالا ذا شطرين. أوّلا ما هي هيئة المجتمع المحترم decent society؟ وثانيا، ما الذي يحقق الإكتفاء لحاجاتنا الأساسية وحقوقنا كمواطنين في مثل هذا المجتمع؟[168]

لا اعتقد أنّني على درجة من الذكاء، ولا اعتقد أنّ أيّ شخص لوحده بإمكانه أن يرسم ملامح المجتمع المثالي. ولكن من الممكن أن نناقش فكرة ماهية المجتمع الأفضل. في ذهني، هو المجتمع الذي تكون فيه القرارات بيد الناس الواعين المهتمين بشؤون عامة الشعب. وهذا شرط مطلوب لكي تكون الخيارات معقولة ومنطقيّة. أمّا بالنسبة للمؤسسات، فإنها تعني أنّ العمال هم من يمتلكون وسائل الإنتاج ويديروها. تكون القيادة من بين صفوف المجتمع والمؤسسات الأخرى خاضعة للرقابة العامة وتحت محاسبتها. التبادل بين إتحادات المتطوعين سيقود إلى عملية اتخاذ القرارات الموسعة من قبل كافة الممثلين، الذين يخضعون للرقابة المباشرة من قبل القاعدة ومسؤولين أمامها بشكل دائم.

كما أنّ ذلك يجب أن يكون مصحوبا بتخفيف القيود والإجراءات بشأن الحدود. وهذا أمر قابل للتنفيذ بسهولة، كما لاحظنا في مسألة الإتحاد الأوروبي. وبشكل عام، فإنّ الأمر يعني نظاما عالميا يقوم على التبادل المشترك والتعاون المتقابل والإنتاج لأغراض الحاجة والاستعمال بدلا من تكديس الأرباح، والاهتمام بقضية بقاء الكائنات وحمايتها. باعتقادي الراسخ، فإنّ، كافة هذه هي مؤشرات نحو المجتمع الأفضل، وهي جميعا قابلة للتحقيق.

ذكرت لي حديثا، أنّ هناك الكثير من الوقود القابل للإشتعال بانتظار الشرارة.[169] أين ترى مثل هذا الوقود؟

تجده في كلّ مكان تقريبا. هناك قلق هائل يلف أرجاء هذه البلاد، بل ارجاء المعمورة بكاملها، بسبب الظلم والعنف والهيمنة والحكومات اللاشرعية. خُذ مثلا *بَرني ساندرز*، حين اقترح وضع سياسات تطالب بها غالبية كبيرة من الشعب منذ وقت طويل، لكنّه في نظامنا العاجز، لا وجود للتعبير عن طلبات الرأي العام في الساحة السياسية. ولكن حين طرح *ساندرز* ذلك، لقي طرحه دعما كبيرا. هذا دليل على وجود المناطق القابلة للإشتعال؟

الحوار العاشر
الانتخابات والتصويت

كيمبرج، ماسّچوسِت، 9 أيلول 2016

دعنا نتحدث عن انتخابات الرئاسة. ما هي أول انتخابات تتذكّرها؟

أتذكّر انتخابات عام 1936، وكنت حينها ابلغ من العمر 8 سنوات. كانت تجري حولها مناقشات كثيرة في المدرسة. في الحقيقة، أتذكّر مناقشات واسعة مع أحد زملائي في الصف. كان مؤيدا للمرشحين *ألِف لاندُن* ونائبه *فرانك نَوكس*. اتذكر أنّه كان يردّد هتافه المعهود، "يعيش *لاندُن* ويسقط *روزفَلت!*" وفي مجموعتنا كنّا خلف FDR بنسبة 100%.

كنت اتحدّث قبل بضع سنوات مع صديق بعمري حول طبيب العائلة، الذي لا أستطيع أن اتذكّر اسمه. الإسم الذي يخطر ببالي هو "*روزفَلت*". أدركت بعد مدة سبب ذلك. في كلّ مرة يمرض فيها أخي الصغير، كانت أمّي تعتقد أنّه على وشك أن يموت. تتصل بالطبيب، فيأتي إلى البيت كعادة الأطباء في ذلك الوقت. يتغيّر مزاج أمي ويهدأ روعها في اللحظة التي يصل فيها الطبيب. كان له صوت عميق نشاز وتحدّث بلهجة المتسلط. كلّ شيء على ما يُرام، فتشعر أمّي بالراحة في الحال.

كان *روزفَلت* في حينها يتحدّث إلى المواطنين عن طريق الراديو، في العادة مساء يوم الجمعة. كانت أمّي في الغالب عصبيّة للغاية حول كلّ شيء. وبطبيعة الحال كانت هناك مخاوف جمّة تتعلق بأطماع *هتلر* السياسية ومن قيام الحرب. غير أنّه حين يبدأ *روزفَلت* حديثه بصوته الهادئ الواثق، يطغى السكون على بيتنا، بالضبط كما يحدث عند زيارة الطبيب. وهذا هو السبب الذي يجعلني أفكّر بذلك الطبيب، كلما تذكّرت *روزفَلت*. لا أزال لحدّ الآن لا اتذكر اسم ذلك الطبيب.

هل تتذكّر فترة سياسيّة كان فيها الكثير من الحقد والإتهامات والضغينة والغضب، كما نرى في أيامنا هذه؟

الحقد والشرّ والإتهامات الشخصية في الانتخابات المبكّرة في هذا البلد كانت صادمة للغاية، ولكن ليس اطلاقا على المستوى الذي نجده في ايامنا هذه. الحملات الانتخابية الآن مدهشة تماما، ويعود ذلك جزئيا إلى أنّ المواضيع الأساسية، التي تواجهها البشرية لا تناقش اطلاقا. فمثلا في الانتخابات الأولية للحزب الجمهوري، لم يتطرّق أيّ من المرشحين إلى قضية احترار المناخ التي خلقها البشر. وببساطة هم ينكرون الأمر، رغم أنّ الحقائق العلمية واضحة وضوح الشمس. الاستثناء الوحيد بينهم كان *جون كاسِچ*، الذي اعترف بأنّ المشكلة موجودة، غير أنّه نصح بأنّنا يجب ألّا نقوم بأيّ شيء لمعالجتها. وهو أمر أسوأ من إنكار وجودها.[170]

كما لم تتطرق المناقشات أبدا إلى موضوع الحرب الذريّة، باستثناء تعليقات هامشيّة هنا وهناك، توضع في إطار العدوان الروسي، وكيف يجب أن نستجيب له بالمواجهة. إنّ حقيقة كون هذا جار في اقوى دولة في تاريخ العالم وفق المقاييس، إذ سكانها متعلمون ويتمتعون بامتيازات عديدة، يجعل الأمر شيء لا يُصدّق. في الحقيقة، لا يمكنّني أن أعلق على مسألة الإنكار الشامل لقضايا بهذه الأهميّة البالغة.

ليس هذا الإنكار مسألة سلوك تجريدي، بل تترتب عليه عواقب حقيقية. لو أخذنا على سبيل المثال مفاوضات باريس بشأن المناخ COP21، فرغم كون القرارات التي خرجت بها ليست قوية بالشكل المطلوب، لكنّها على الأقلّ خطوة على الطريق الصحيح رُبّما تكون أساسا لخطوات أخرى أبعد في المستقبل. غير أنّه لا يمكن إنكار أنّ المؤتمر لم يتمخّض عن اتفاقية يجري التحقق من تنفيذ بنودها، بل خرج باتفاق غير رسمي، وكان السبب واضحا. إنّ أيّة معاهدة بهذا الخصوص لن يُصادق عليها الكونگرِس الأمريكي، الذي يسيطر عليه الجمهوريون. وهذا اعتراف بوجود منظمة سياسية تقول في الأساس، "دعونا نتسابق نحو الهاوية بأسرع طريقة ممكنة".

يتعرّض *دونَلد ترامپ* إلى شتى صنوف الإتهامات من قبَل المعلقين اللِبراليين، ولكن دون الإشارة إلى أهمّ قضية، وهي سياساته بصدد المناخ. فهو يدعو إلى زيادة التنقيب عن الوقود الإحفوري واستخراجه وزيادة استخدام الفحم لتوليد الطاقة وانهاء مفعول تعليمات القيود المفروضة لحماية البيئة EPA والتخلص من كافة تبعاتها وإلغاءها بالكامل. كما أنّه يرغب أيضًا في تفكيك

اتفاقيات پاريس حول احترار المناخ وافشالها، والإمتناع عن تقديم العون للبلدان النامية، التي تحاول معالجة مشكلة المناخ هذه. وهذا يعني بالضبط، "دعونا نتسابق للوقوع في الهاوية". هذه مسألة جديّة والهاوية ليست بعيدة. في الحقيقة نحن على حافتها، وتجاوزنا الحدود المقترحة في مناقشات پاريس حول زيادة درجات الحرارة بمقدار 1.5 درجة.

ما الذي يقوله *ترامپ* عن تجاوب بعض المواطنين مع ما يقوله؟ التوضيح الشائع هو أنّ توفير فرص العمال باجور جيدة قد انتفى تماما، وتُرِك سكان مناطق التصنيع فيما يُسمى (حزام الصدأ) Rust Belt، أي ترك العمال، الذين فقدوا اعمالهم واسرهم غاضبين. وهؤلاء هم من يؤيدون سياساته.

بالتأكيد هناك حقيقة في مثل هذا التعليل. لقد تمّ التخلي عن الطبقة العمالية من البيض. لقد تخلى الحزب الديمقراطي عن هذه الطبقة منذ 40 عاما تقريبا، ولم يوفر لها أيّة فرص. الجمهوريون بدورهم لم يوفروا هم الآخرون أيّ شيء. في الحقيقة ما اعطوهم شيئا، بما فيهم *ترامپ* نفسه، سوى لكمة على الأنف. نظام الرعاية الصحية المشوب بالفضائح؟ يريدون أن يجعلوه في حال أسوأ. أقرّ *ترامپ* ميزانية، في الحقيقة وضعها *پول رايَن* رئيس مجلس النواب، مدمّرة لمصالح الطبقة العاملة. هناك زيادة كبيرة مخصصة للإنفاق العسكري وتخفيض نسب الضرائب المفروضة على الإثرياء. ثمّ لا يوجد أيّ شيء لنشاطات الحكومة البنائية.

غير أنّ الجمهوريين يمتلكون اسلوبا خطابيا يتظاهرون فيه بأنّهم يعملون لصالح الطبقة العاملة خلاصته "نحن نعمل من أجلكم". وهذا ليس صحيحا. الصحيح هو أنّ افراد الطبقة العاملة من البيض يشعرون بأنّ الجميع ضدّهم. لم يقدّم أيّ من الحزبين أيّة منافع لصالحهم.

كما أنّه صحيح أيضًا أنّ تحليلا جيّدا ودقيقا لمواقف مؤيدي *ترامپ* قد اظهر وجود علاقة قوية بين قبولهم وتأييدهم للشخصيات المتسلطة والعنصرية الوطنية المتطرفة وغيرها. وهذا أمر يجب ملاحظته أيضا.

لكنّني لن استبعد فكرة أنّ البعض من اعضاء الطبقة العمالية غاضبون للغاية، ولأسباب وجيهة. لقد ذهبت آمالهم وطموحاتهم مع الريح. الأجور الحقيقية لا تتجاوز ما كان العمال يتقاضونه في فترة الستينات، بل انخفضت إثر آخر فترة ركود اقتصادي.[171] وفي نفس الوقت هناك ثروة

طائلة تركّزت بشكل واضح جلي في يد قلة من الرأسماليين. فلماذا لا يكون ذلك سببا عقلانيا لغضب طبقة العمال المحرومة؟ الحلول التي يقترحها *ترامپ*، ستزيد المشاكل تعقيدا. غير أنّ هذا موضوع مختلف.

أنا متردد في استعمال مصطلح "فاشستي" لأنّها مرتبطة بشكل هادئ بسلوك غير قانوني. ولكن توجد نفحة من الفاشية في الجوّ. هل هناك ما يُدعم مثل هذا الإعتقاد بوجود ميول فاشية في حملة *ترامپ* الانتخابية؟

هناك شيء ما في حملة *ترامپ*، ولكن أن تصفه بأنّه فاشي ففيه قدر من التضليل. يرجع هذا الإنطباع لسلوكياته، التي لا اعتقد أنّها تقوم على قناعات أيديولوجية، ولا شيء سوى، "إعطوني ما أريد، وسأعمل شيئا ما من أجلكم. سأجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى". وخير مثال على ذلك، أنّه حين طُرح عليه سؤال خلال المناقشات عمّا سيفعله بخصوص داعش. كان جوابه شيئا يشبه القول، أوّلا سأجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى، وسأدعو جنرالاتي للاجتماع وسيعطونني خطة للتعامل مع هذه المشكلة. بطبيعة الحال، عندي خطتي الخاصّة. سأقارن وسأقرّر حينها أيّة خطة هي الأفضل، وسأعمل على تنفيذها لأتخلص من داعِش. ولكن يجب أوّلا أن أحقق هدفي بجعل أمريكا عظيمة من جديد.[172] ومهما كان القصد من هذا التصريح، فإنّه ليس تعبيرا عن الفاشية. إنّه لا يرتفع إلى ذلك المستوى. في الحقيقة لا يمكن تصنيف هذا النوع من الكلام تحت أيّ مُسمّى.

إنّ رفع شعار "أجعلوا أمريكا عظيمة مرّة أخرى" يتلاعب بمشاعر الحنين إلى ماض من صُنع الخيال، لأنّ أمريكا ما كانت قطّ عظيمة في تاريخها.

ليس من صنع الخيال تماما. كان هناك وقت تمتعت فيه الولايات المتحدة بقدر كبير من النفوذ على المشهد الدولي، أكثر ممّا تتمتع به الآن. كما ذكرت، أنّه خلال الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية، كانت للولايات المتحدة قوة كاسحة وكانت الأمم المتحدة أداة بيدها تناطح بها الإتحاد السوفيتي. لقد انتهى ذلك العصر.

حتى لو اخذت صندوق النقد الدولي، وهو المنظمة التي تديرها أصلا وزارة الخزانة الأمريكية وهي المسيطرة عليه والموجّهة لنشاطاته. القضايا الأوروپية تترَك للبلدان الأوروپية نفسها. أمّا بقية انحاء العالم، فإنّ الصندوق أداة بيد السيطرة الأمريكية. غير أنّ هذا الواقع قد تغيّر

هو الآخر بشكل كبير منذ الأزمة المالية، التي عاشتها آسيا في اواخر تسعينات القرن الماضي. بدأت بلدان تلك المجموعة ترفض قروض صندوق النقد الدولي وشروطه الجائرة. منذ بداية الألفية الثالثة، طردت بلدان أمريكا اللاتينية صندوق النقد الدولي، ورفضت عروضه لمنح القروض المشروطة المجحفة. كانت تلك خطوة جريئة، أدّت هي الأخرى إلى تقويض تسلط الولايات المتحدة وهيمنتها على الأوضاع المالية العالمية. وهذا شيء لا تراه في عناوين الصحف الكبرى، لكنّه هام للغاية. لقد بدأت هيمنة الولايات المتحدة على العالم تفقد قبضتها تدريجيّا.

ومن ناحية أخرى، إذا نظرنا إلى احتكارات الولايات المتحدة، فإنّ ملكيتها للعالم ظلت باقية على حالها. فإذا أخذنا شركة iPhone، نجد أنّ لشركة أپل فرع في تايوان إسمه فوكسكون ويدير مجمّعا كبيرا في الصين يستخدم عمالا صينيين يعملون في ظروف مزرية. إنّ القيمة المضافة من قبل iPhone لاقتصاد الصين محدودة للغاية. كافة الفوائد تقريبا تذهب إلى شركة أپل والشركات الفرعية التابعة لها. وهذا يعني أنّ قسما كبيرا من الناتج المحلي في الصين تعود ملكيته إلى شركة أپل وغيرها من الاحتكارات الأمريكية. بالرغم من ضعف قبضة الحكومة على الشؤون العالمية، فإنّ نفوذ احتكاراتها والقوة التي تتمتع بها ما زالت استثنائية.

وبطبيعة الحال، يوجد جانب آخر يمتاز بنوع من المصداقية في الحنين إلى الماضي. في فترة الخمسينات والستينات، بلغت الولايات المتحدة اقصى ذروتها في النموّ بتاريخ البلاد. هناك الكثير من الإضطرابات والصراعات وإلى غير ذلك. ولكن مع ذلك كان هناك إحساس أنّ البلد ينمو ويتطوّر. كان باستطاعة الشباب، خاصة شباب الكليات والجامعات أن يقولوا، "ستكون لنا وأمامنا حياة كريمة". لقد انتفى مثل هذا الأمل وحلت محله حالة من اليأس والإنحدار وشعور بأنّنا وصلنا القمة وبدأنا بالهبوط. الأجيال الحالية من الشباب والشابات لا يمكن أن تحقق الحياة، التي بلغها آباؤهم وأمهاتهم. وهذا الشعور واسع الإنتشار وفيه الكثير من الواقعيّة. وعليه فإنّ القول بأنْ، "نعيد لأمريكا عظمتها مرّة أخرى،" ليس كلاما فارغا برمّته.

ألف *تومَس فرانك* كتابا بعنوان ?What is the Matter with Kansas أوضح فيه كيف أنّ الطبقة العاملة قد صوّتت فعلا ضدّ مصالحها الاقتصادية. أخبرني منذ فترة قصيرة أنّ القضية ستموع بالكلام المعسول، الذي يتحدث به *ترامپ*، حين يخاطب الجماهير مرة تلو أخرى، "ولن يُغضب أحدا منهم".[173] إنّه ينظر للأمر كاحتمال مشؤوم.

لدينا الشخص المطلوب، واسمه *پول راين*. أعتقد أنّه أكثر خطورة من *ترامپ*، لأنّه يعطي الإنطباع بأنّه جادّ ومفكّر ويأتيك دائما بالأرقام والرسوم التخطيطية. ولكن حين تتأمّل برامجه، ستجد أنّها تخريبيّة. نعم، قد يترشح لرئاسة البلد في يوم ما. من جهة أخرى، فإنّ 4 سنوات من حكم *ترامپ* قد تضعنا في نقطة تحوّل، قدر تعلق الأمر بقضية تغيّر المناخ، وستفرض الإمتناع عن إثارة أيّة أسئلة بشأنها. قد يبدو الأمر مشوّشا، ولكن لو القيت نظرة على التطورات في هذه الأيام وسياسات *ترامپ*، على افتراض أنّ سيطبقها جميعا، فإنّ المزج بين صفات هذا الإنسان وسياساته مسألة خطيرة للغاية.

في الخطاب الذي القته هِلَري كلِنتُن في مؤتمر الفيلق الوطني الأمريكي، الذي انعقد في مدينة سِنسِناتي، لم تكتفِ بالخطاب الحامي، بل كررت كثيرا استعمال كلمة "استثنائي" و"الاستثنائية". قالت، "إنّ أمريكا هي الأمة، التي لاغنى للعالم عنها".[174] ما هو رأيك في هِلَري كلِنتُن؟

مَن لا يستعمل هذه الكلمات الآن؟ لقد اصبحت كلمات اساسية في الخطاب اللِبرالي الديمقراطي. قطعا لا يوجد انحراف عن "الأمة التي لا غِنى عنها،" التي تردّدت أيضًا في كلام *مادلِن أولبرايت* و*بِل كلِنتُن*.[175] أنظر إلى ما يقوله الصحفيون المثقفون اللِبراليون. كتبت *سَمَنثا پاوَرز* في مجلة نو يورك تايمز لمراجعة الكتب، فاستشهدت أولا بأقوال *هَنري كِسِنجر* الخطابية.[176] ذكرت أنّه غير مصيب في آرائه لأنّه لا يعترف بأهمية أن نعدّ قائمة بأسماء كافة البلدان التي حظيت واستفادت من جهودنا الرائعة حول العالم. يمكنك أن ترى ذلك في أيّ مكان.

ثُمّ خُذ مثلا الكلمة البسيطة "عدوان". لا يتردّد أحد في وصف قضية استيلاء *پوتِن* على منطقة القرم أو نشاطاته في شرق أوكرَنيا ووصفها بالعدوانية. وهي في حقيقة الأمر عدوانية. ولكن هل سمعت في حياتك استخدام مثل هذه الكلمة عن غزو أمريكا للعراق، مثلا؟ أبدا؟ هل باستطاعة المتحدثين بوضوح استخدام هذه الكلمة في الإعلام العام؟ هذا أمر لا يمكن تصوّره.

في الحقيقة، دعنا ننظر ثانية في مسألة القرم. مهما كانت وجهات نظرك فيما جرى، فإنّ الخطوة غير شرعية. السؤال هو، هل للولايات أدّعاء أفضل يخصّ خليج گوانتَنامو، ممّا لدى روسيا من الإدّعاء بصدد القرم؟ الجواب لا، لأنّ إدعاءنا أصلا أضعف من إدّعاء روسيا. لقد سيطرنا على الخليج المذكور بقوّة السلاح منذ أكثر من 100 عاما، وليس للمنطقة أيّة ارتباطات تاريخية

بالولايات المتحدة. رفضنا وقتها أن نعيدها إلى كوبا، رغم أنّ كوبا قد طلبت من الولايات المتحدة ذلك رسميّا بإعادتها مباشرة، إثر حصول الجزيرة على استقلالها.

لا يوجد قطعا أيّ مبرّر لذلك الرفض واستمراره. تسيطر الولايات المتحدة على خليج گوانتَنامو لتتمكّن من إعاقة حركة النمو وتعطيلها في الجزيرة. يوجد هناك ميناء رئيسي والمنطقة قاعدة عسكرية يتم بين جدرانها أفضع تجاوز لحقوق الإنسان في كوبا، بل في نصف الكرة الأرضية الغربي، باستثناء كولومبيا. هل يُعتبر هذا عدوانا؟ هل هذا أصلا سؤال مثار؟

إنّ انتقاء القدرة في مواجهة الحقائق الأساسية يصدق بشكل ساحق على اللِيراليين والمثقفين وقطاعات المتحدثين باسم الشعب، من الذين يعملون في مجالات الإعلام من خلال التعليقات والمناقشات. وما أشرت إليه من خطابية *هِلَري كلِنتُن* نابع من ذلك المورد.

أشار استطلاع گالوپ أنّ أكثر من ثلاثة ارباع المشاركين الأمريكيين بالقول، "إنّ الولايات المتحدة تسير على طريق الخطأ".[177] إنّ كلّا من *ترامپ* و*كلِنتُن* لا يتمتعان بشعبية كبيرة. كلاهما غير موثوق به وليس أمينا.[178] هل شاهدت مثل هذا الأمر في الحملات الانتخابية السابقة؟

لم ألاحظ مثل هذا الأمر بتاتا، لكنّه نموذج لشيء أكبر. لقد ظهرت وعلى مدى عدة حقب مواقف سلبية للغاية ازاء عدد من المؤسسات. التأييد للكونگرِس مثلا قد انحدر إلى نسبة أقلّ من 10%.[179] يكره الناس المصارف ومعها كافة الشركات الاحتكارية. بنك الاحتياط الفدرالي Federal Reserve، الذي لا يعرف المواطنون عنه أيّ شيء، يحظى بكره شديد. وبطبيعة الحال، الحكومة مكروهة. المؤسسة الوحيدة، التي تحظى بدرجة عالية من الثقة والتأييد، هي المؤسسة العسكرية لأسباب منفصلة.

أعتقد أنّ الكارثة بالنسبة للمرشحين هي فقط انعكاس لحالة "مرضيّة" شائعة، بأنّ كل شيء يمضي في طريق خاطئ، وأنّ هذه المشاعر قد تزايدت خلال السنوات القليلة الماضية. هناك استطلاعات تعود إلى حقب ماضية أشارت إلى أنّ 70% من المواطنين يعتقدون أنّ الحكومة لا تعمل لصالح الشعب "وتديرها فئة من ذوي المصالح الكبرى، تعمل فقط على تحقيق منافعها".[180]

هذه هي المشاعر التي يبني عليها *ترامپ* خطابيته لجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى. كلّ شيء يسير في اتجاه خاطيء والعالم بكامله يدفع بنا ذات اليمين وذات الشمال، ولم يعد أحد يستمع لما نقول. لقد احتج الكثير بقوّة لأنّه قال إنّ *پوتِن* قائد أقوى من *أوباما*، لأنّه يحقق ما يريد، في حين فشلنا نحن في تحقيق ما نريده.[181] هذا هو الشعور الطاغي لدى المواطنين، حول الأطراف المعنية في الشرق الأوسط ولماذا لا تعمل وفق ما نريده؟ ولماذا تستمر الصين في بناء قواعد لها في بحر الصين الجنوبي، في حين نعترض نحن على ذلك فقط ونكتفي بالكلام؟

تفترض كافة هذه الأفكار أنّ العالم ملك لنا، فبحر الصين الجنوبي يجب أن يكون بحيرة أمريكية. البلدان المحاذية لحدود روسيا، من حقنا أن نقودها ونوجّهها حسبما نريد. بطبيعة الحال، لا يمكن أن نتقبّل وجود قوات روسية في المكسيك، أو أن تبحر حاملة طائرات صينية قريبا من سواحل كالِفورنيا. من المفترض أن يكون العالم ملكا لنا، لكنّ الناس لا يستمعون لمثل هذه الأقوال. لماذا؟ ماذا يحدث؟ يجب أن نعيد لأمريكا عظمتها مرة أخرى. كافة هذه القضايا دلالات أنّ مسيرتنا تحثّ الخطى نحو الإتجاه المعاكِس.

وفي نفس الوقت، باستطاعة الآباء والأمهات رؤية أنّ أبنائهم وبناتهم سوف لن يكون باستطاعتهم تحقيق المستقبل الذي يتمنونه. في الحقيقة إنّ التحرّك/الصعود الاجتماعي social mobility في الولايات المتحدة يجري عكس ما طرحه *هوراشيو ألجر* في فرضيته، وهو منخفض للغاية مقارنة بالمجتمعات المتقدمة.[182]

هذا طبعا إضافة إلى مسألة الفقر المدقع. إذهب في جولة في مدينة بوسطن لترى بأمّ عينيك هذه الظاهرة. تبدو المدينة وكأنّها على وشك الإنهيار. باستطاعتي أن اتذكّر المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى أوروپا في مطلع خمسينات القرن الماضي، حين كانت القارة وقتها تحاول أن تستعيد عافيتها من ويلات الحرب. حين رجعت للولايات المتحدة إنتابني شعور بأنّني عائد إلى الجنة، مقارنة بواقع حال أوروپا. اصبحت الصورة الآن معاكسة تماما. حتى لو ذهبت إلى بلد فقير مثل البرتغال ورجعت إلى الولايات المتحدة، سترى أنّك قد رجعت إلى حطام. البنية التحتانية تتهاوى والطرق العامة لم تعد صالحة للاستعمال والجسور تتساقط تحت اثقال العربات، وليس لدينا نظام للرعاية الصحية ومستوى مدارسنا في انحطاط وانحدار.

كتب *جَون كِنِث گالبرَيث* في فترة الخمسينات عن "الثراء الخاص والقذارة العامة".[183] أمّا الآن فقد اصبح الأمر أكثر سوء. الثراء الخاص من نصيب قطاعات ضيقة وصلت ثروتها الفاحشة إلى أعلى المستويات، والقذارة العامة موجودة من حولك أينما نظرت. باستطاعة الجميع أن يروا ذلك. يستطيعون رؤية اطفالهم المثقلين بقروض الدراسة الجامعية وانتفاء فرص العمل الجيدة بعد تخرّجهم. من الأسهل أن نلقي اللوم على المهاجرين والأجانب والفقراء، الذين هم في أدنى مستوى منّا من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية. هذا هو مغزى النغمة التي يعزفها *ترامپ* ليل نهار، وهذا هو جوهر التوجّه الخاطئ. لكنّ الظاهرة الخلفية لكلّ ما ذكرت واقعية فعلا.

تبلغ ديون الطلبة ما مجموعه 1.3 ترِليون دولارا.[184] تحدثت إلى عدد من الشباب في مدينة بولدر في ولاية كولورادو، فأخبرني احدهم أنّه مدين بمبلغ 40 الف دولارا، وذكر آخر أنّ القرض الذي يجب عليه تسديده يبلغ 100 ألف دولارا.

أكثر من ذلك، أنّ قروض الطلبة قد صُمّمت بحيث لا يمكن التخلص منها. لا يجوز، مثلا أن يُعلن الطلبة الإفلاس كي يتخلصوا من دفع تلك القروض، كما هي الطريقة المتاحة لأصحاب الأعمال. وهي ما لجأ إليه *ترامپ* مرّة إثر أخرى، ثمّ يبدأ من جديد. وعليه سيبقى الدين قائما إلى الأبد. الآن باستطاعة الحكومة أن تستولي حتى على راتبك من الضمان الاجتماعي social security. وعليه تصبح هذه الديون اعباء دائمة، وخطوة قوية لأغراض التأديب. وهذا يعني أنّ خياراتك محدودة.

كان يوجد خلال فترة ستينات القرن الماضي شعور عام حول التوقف عن الدراسة لمدة عام أو عامين من أجل الإنخراط في النشاطات السياسية أو الاجتماعية، ثمّ يعود الشخص بعد ذلك لمواصلة خططه وحياته. لقد تغيّر الأمر واصبح الفرد يشعر أنّه واقع في شباك. إذا انقطعت عن الدراسة، فلا يمكنك العودة اليها. في الحقيقة لا تستطيع العودة إليها. ليس لديك الخيارات، التي توفرت لأمثالك من قبل. وعليه، يجب عليك أن تسلّم بالأمر الواقع وتتقرب من مراكز القوة الفاعلة.

ما رأيك في منظمتنا الثورية، التي تأسست إثر استبعاد برني *ساندرز* في الانتخابات الأولية للحزب الديمقراطي؟

شخصيّا، أفضّل أن يتوقف *برني* عن استعمال كلمة "ثورة" أثناء خطبه، لأنّ ما يقترحه حقيقة لا يتعدّى كونه مبادرات إصلاحية طفيفة. وهذا لا يعني أنّها مبادرات سيئة. بالمستطاع اللجوء إلى طرح مبادرات من هذا النوع، ولكن يجب ألّا نخلق في اذهان الناس أوهاما بأنّ تغيّرا كبيرا على وشك الحدوث. إنّ مبادرات *ساندرز* التي اساندها بقوة، هي في الحقيقة صورة من لِبرالية **الصفقة الجديدة**. سوف لن تبهر مثل هذه المبادرات *دوايت أيزنهاور*، الذي سبق أن قال، إنّ من لا يقبل الصفقة الجديدة ليس له مكان في ميدان السياسة الأمريكية.[185] كان هذا وقت مضى، ومن المهم أن يرفع *ساندرز* صوته الآن، رغم أنّ البعض يحكم عليه بأنّه صوت متطرف. إنّ مبادراته لا تتحدّى أو تثير الأسئلة حول النظام الرأسمالي واستبداديته. من الواضح أنّ هذا الموضوع ليس مطروحا للنقاش. ما يطرحه *بَرني* أساس جيّد للعمل الأفضل، ولكنّه ليس ثورة.

يوجد الآن عدد من الحركات الشعبية، التي نشأت وتبلورت وبدأت تنمو بفعل حملة *ساندرز* الانتخابية. من هذه الحركات حركة ***الكونگرِس الجديد*** المعقولة جدّا. كما نشأت حركات تطالب بالإصلاح، وهذه طبعا ليس فيها ضير إطلاقا.

هل يمكن أن نتحدث عن ستريتيجية انتخاب المرشحين الأقلّ شرّا؟ ماذا تقول للناس الذين يقولون إنّنا ننتخب وفق ما تمليه علينا ضمائرنا؟" أو العكس "إسرعوا بالانتخابات، لأنّني أريد أن أصوّت لصالح *ترامپ*، لأنّ ذلك سيهدم النظام ويعجّل بالثورة.؟"

التصويت لأقلّ الشرّين، يجب أن يُدعى عقلانية على المستوى الأولي أو أخلاقية بنفس ذلك المستوى. إذا كنت تسكن في ولاية "تتأرجح" فيها عملية التصويت ما بين مرشح هذا الحزب أو ذاك، فأمامك عدة خيارات. الأوّل أن تصوّت لصالح *ترامپ* لأنّك تعتقد بأمانة أنّه المرشح الأفضل. لا شيء في مثل هذا الأمر ستراتيجيّا. الإختيار الآخر أن تصوّت لصالح *كلِنتُن*، لأنّك تعتقد اعتقادا لا شائبة فيه، أنّها هي الأفضل، أو أنّك ترى في انتخاب *ترامپ* خطورة متناهية. الإختيار الثالث هو أن تقاطع الانتخابات أو تعطي صوتك للمرشحة المستقلة *جِل ستاين*، التي تعمل من أجل نفس الأهداف. وكمسألة رياضية، إذا وضعت رقما سلبيا في خانة *كلِنتُن*، فإنّك تسهّل على *ترامپ* أن يفوز. هذه مسألة أرقام فقط. إذا كنت تريد أن تصوّت بموجب ما يحثّك عليه ضميرك، فتصوّت لصالح *جِل ستاين*، فإنّ ما تقوله هو، "إنّ ضميري يفضّل *ترامپ*".

وهو نفس الشيء في قضية التصويت لصالح المرشح الأقلّ شرّا، السؤال عن دور مسألة الضمير في الانتخابات هو، هل أنّك معني بما سيحدث للعالم، أم أنّك تهتم فقط بما تشعر به أنت وحدك؟ إذا كنت تهتم بما تشعر به، فمعنى ذلك أنّك عديم الضمير وليس لديك ذرة من الأخلاق. وعليه يجب أن تتوقف عن الحديث عن مسألة الضمير. إذا كنت تهتم بما سيؤثر على الآخرين، فيجب عليك أن تطرح على نفسك هذا السؤال. ما هي النتائج المترتبة على إنقاص صوت شخص واحد، يمكن أن يسبب خسارة *ترامپ* في الانتخابات؟ مرّة أخرى، القضية مسألة حساب وعقلانية أساسية.

بصراحة، يجب ألا تأخذ مناقشة هذا الموضوع من وقتنا أكثر من 5 دقائق. لو تمعّنت فيه ستجد الحقائق واضحة. إذهب أبعد من ذلك للمشاركة في القضايا الأهمّ، مثل النشاطات السياسية وتنظيم المواطنين والحركات الشعبية. هذا ما يجب على المواطنين فعله، ربّما المشاركة في الحملة الانتخابية على المستوى الأدنى أو الترشح لعضوية مجلس المدرسة المحلية، أو الإنضمام للنشاطات الخاصة بحماية البيئة، وإلى غير ذلك. هذا ما يجب أن نمضي فيه وقتنا.

إنّ حقيقة عدم وجود نقاشات حول هذه المواضيع، هو مؤشر عن كيفية وقوع اليسار في شباك نظام الدعاية. يوجد في هذه البلاد نظام دعاية هائل، يحاول تركيز انتباه الناس وطاقاتهم على الجوقة الفنية المذهلة ولغطها الذي يستمر لمدة 4 أعوام. ليست انتخابات الرئاسة هامة، ولكنّها أيضًا ليست الحدث الرئيسي.

أمّا بالنسبة لما يقال، عجلوا بالانتخابات أو دعونا نظهر التناقضات في ادّعاءات الجانب الآخر، فقد عشنا كلّ ذلك وجرّبناه. الحزب الشيوعي في ألمانيا عام 1932 مثال جيد على ذلك.

هل صوّتوا لصالح هتلر؟

قالوا لأنفسهم بأنّه لا يوجد فرق بين الديمقراطيين والنازيين. هاتوا لنا النازيين حتى تتحقق ظروف الثورة وتنضج. نعم حدثت ثورة، لكنّها ما كانت الثورة، التي أرادوها.

ليست الولايات المتحدة في موقف ناضج من أجل قيام ثورة، بأي شكل من الأشكال. وإذا كنت تريد الوصول لتلك الغاية، فيجب أن تبني لها قاعدة شعبية. وإذا أخذت كلمة "ثورة" بشكل جدّي، وكنت تريد مثلا أنْ تتخلص من النظام الرأسمالي برمته، فيجب أن تركّز على الخيارات

والتناقضات ضمن النظام والاستفادة منها لأقصى حدّ ممكن. إذا اتفق الرأي العام على أنّه يريد الذهاب إلى هدف أبعد، وكانت مقاومة النظام شرسة وعنيفة للغاية، فإنّ الثورة ستحدث. ولكن ليس قبل ذلك، وليس من قبل فئة صغيرة تهتف، "دعونا نذهب لنكسر زجاج شبابيك المصارف".

ما هو رأيك في قضية انتخابات خروج بريطانيا من السوق الأوروپية، وارتفاع شعبية الأحزاب السياسية اليمينية في أوروپا؟

أولا وقبل كلّ شيء، ليس واضحا أنّ سياسة بريطانيا للخروج من الإتحاد الأوروپي Brext سيتم تنفيذها. هناك عدة ترتيبات يمكن التوصّل اليها، وعليه فإنّني أعتقد أنّ هذه المسألة منتهية وستخرج بريطانيا من الإتحاد. لن يكون ذلك شاملا وقد يكون في ميدان دون ميدان آخر.

هناك مشاعر في انگلترا، بما فيها مشاعر اليسار البريطاني، بأنّ الخروج سيحرّرهم من السياسات الرجعية للإتحاد الأوروپي. غير أنّ هذا فيه شيء من التضليل. أوّلا، إنّ بريطانيا هي من المؤيدين لتلك السياسات. ثانيا، إنّ الإتحاد الأوروپي ليس هو من يريد فرض هذه السياسات الرجعية على انگلترا. انگلترا، هي نفسها التي ساندت تلك السياسات ودفعتها للأمام. وأكثر من ذلك، إنّ ما يجري في انگلترا منذ أيام *مَرگَرَت ثاچر* و*توني بلّير* و*دَيفِد كامِرُن*، هو من تأثير السياسات الداخلية، وليس من تأثير الإتحاد الأوروپي. وعليه، فإنّ محاولة فصل أنفسهم من الإتحاد المذكور وبيروقراطية برُكسِل، ليس نوعا من الحل الناجع لمشكلاتهم. في الحقيقة، قد يؤدي الخروج إلى تفاقم تلك المشكلات وتعقيدها وسيضعِف انگلترا أمام تأثير الولايات المتحدة وهيمنتها.

أمّا مسألة بروز الأحزاب اليمينية وزيادة سطوتها فأمر مخيف. فمثلا، *نورترَت هوفر*، وهو شخصية من شخصيات النازية الجديدة، أوشك أن يصبِح رئيسا للنمسا في انتخابات عام 2016 [186] إنّ جزء كبيرا من السبب الرئيسي لهذا التوجّه هو المشاعر المعادية للمهاجرين. كما برزت في الدِنيمارك مشاعر مماثلة ازاء المهاجرين والمسلمين، وهم يمثلون قلة قليلة من السكان غير الشقر من ذوي العيون الزرقاء.

في رأيي أنّ أوروپا كانت دائما أشدّ عنصريّة من الولايات المتحدة. لم تظهر تلك العنصريّة للسطح في الغالب لأنّ السكان متجانسين. ولكن حين بدأ يحصل تغيّر في هذا التجانس، ولو بقدر ضئيل، أطلت العنصرية برأسها علنا.

لو أخذنا فرنسا، على سبيل المثال. يعيش السكان المنحدرون من اصول شمال إفريقيا ظروفا مريعة. هم يُشكّلون نسبة ضئيلة للغاية من مجموع السكان، لكنّ ما يقرب من 60% إلى 70% من الزيادة هم مسلمون ينحدرون في غالبيتهم من شمال إفريقيا.[187]

إنّ بروز الأحزاب اليمينية جاء إلى حدّ كبير على حساب رغبة احزاب الوسط الأوروپية، بما فيها احزاب الديمقراطية الاجتماعية في تحمّل السياسات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطبيعية التخريبية العالية. سياسات التقشف، التي فرضها الثلاثي المكوّن من المفوّضية الأوروپية وصندوق النقد الدولي والبنك المركزي الأوروپي، كانت ضارة للغاية. وهناك أدلة لا يرقاها الشكّ بأنّها سياسات مقصودة استهدفت تقويض برامج دول الرعاية الاجتماعية.[188] وكما قلت، فإنّ اسباب فرض التقشف ما كانت لغرض التنمية الاقتصادية. في الحقيقة، إنّ التقشّف ضار جدّا بمثل هذه التنمية. الهدف هو تخريب برامج دول الرعاية الاجتماعية، بما فيها رواتب المتقاعدين وتأمين ظروف العمل اللائقة وقوانين حماية حقوق العمال، وغيرها.

وترى أنّ ردود فعل اليمين هي نتيجة لذلك؟

نعم، ولكن من الضروري أن ترجع ذلك إلى رغبة الأحزاب المعتدلة والأحزاب اليسارية المعتدلة لقبول مثل تلك السياسات.

الحوار الحادي عشر
الأزمات والتنظيم السياسي

كيمبرج، ماسّچوسِت، 6 ديسمبر 2016

حدث أمران رئيسيان بتاريخ 8 تشرين الثاني من عام 2016. الواضح أنّ الأوّل منهما هو انتخابات الرئاسة الأمريكية. في نهاية ذلك الأسبوع نشرت صحيفة دَير شبيگِل الألمانية موضوعا بعنوان "نهاية العالم" صوّرت فيه ترامپ بهيئة نيزك متّجه نحو الأرض فاتحا فمه لالتهامها.[189] **هل يمكنك أن تتكلم عن الحدث الآخر، الذي جرى في نفس ذلك اليوم، ولم يحظَ بأيّة تغطية إعلامية إطلاقا؟**

أعتقد أنّ الحدث الآخر، الأهم في رأيي من انتخابات الرئاسة الأمريكية، هو انعقاد المؤتمر الذي حضره مندوبون من 200 دولة في مراكش في المغرب. اطلِق على المؤتمر اسم COP22، أي المؤتمر السنوي الثاني والعشرون للأطراف المعنيّة بمسألة تغيرّات المناخ. كان مؤتمرا لمتابعة مفاوضات پاريس، التي جرت في شهر ديسمبر من عام 2015، وانتهت باتخاذ قرارات والتزامات لفظية افتقرت إلى الوضوح حول تغيّرات المناخ. كان هدف مؤتمر مراكش هو تسمية إجراءات محدّدة تلتزم بتنفيذها كافة البلدان وتقوم بإجراءات فعلية لحلّ هذه المشكلة الملحّة.

أفتتح المؤتمر بشكل عاديّ صباح يوم 7 **تشرين الثاني**. وفي اليوم التالي قدّمت منظمة الأنواء الجوية العالمية تقريرها عن الوضع الحالي واطلقت عليه إسم الأنثروپوسين Anthropocene، بمعنى الفترة الجيولوجية التي يحدِث فيها البشر تعديلات جذرية على البيئة.[190] كان تقريرا رهيبا للغاية وأشار إلى أنّ الثلوج في المناطق القطبية قد انحسرت بنسبة 30% عن حدّها الإعتيادي. وهذا يعني قلة الإنعكاس وزيادة الإمتصاص لأشعة الشمس، وهو ما يزيد من

احترار العالم. أشير إلى أنّ اللقاء السابق COP21، قد وضع بعض الأهداف من أجل المحافظة على عدم زيادة درجة الحرارة حول العالم عن 1.5 درجة. لكنّنا وصلنا إلى هذا الحدّ بالفعل. إنّ أيّة زيادة طفيفة ستؤدي إلى اجتياز القدر الممكن، ولن يكون بالمقدور بعدها العودة عن تلك الزيادة. قدّم هذا التقرير بتارخ 8 تشرين الثاني.[191]

تمّ تأجيل انعقاد المؤتمر مؤقتا لكي تنتظر الوفود نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية. بتارخ 9 تشرين الثاني انهار ذلك المؤتمر. كان السؤال، الذي تردد على السنة المندوبين، هو أنّه الآن وكما يبدو فإنّ أكثر البلدان أهمية في العالم بصدد هذا الموضوع، من المحتمل أن ينسحب. فهل أنّ لمشروع انقاذ العالم من مشكلة الاحترار المناخي أيّة فرصة للاستمرار؟ انتهى المؤتمر، ولم يتوصّل إلى تحقيق أيّ شيء، باستثناء بعض الالتزامات اللفظية.[192]

كان المشهد مذهلا. هنا ونحن في اجتماع ممثلي ما يقرب من 200 بلدا، ممّا يعني كافة دول العالم تقريبا، نأمل ببروز قيادة تؤمن توجيه الجميع نحو فرصة لبقاء البشرية واستمرارها بصورة لائقة. إلى من تنظر هذه الدول؟ الصين. الصين هي القائد الذي يتوقعون منه أن ينقذ البشرية من التدمير، الذي تلحقه بنفسها. وفي الجهة المقابلة، يوجد بلد واحد يخشاه المؤتمرون بأنّه سيدمّر كلّ شيء. هو البلد المفترض فيه قيادة العالم الحرّ، واقوى بلد في تاريخ البشرية. كان مشهدا مثيرا. وما كان أقل إثارة هو عدم صدور أيّ تعليق من جانبه. ما حدث في مراكش كان امرا محزنا حقا، وهو ربمّا الذي برّر عنوان صحيفة دَير شبيگِل حول نهاية العالم، بالرغم من أنّه لم يكن ذلك ما عُني به.

يوجد ما يقرب من 10 ملايين مواطنا من بنگلادَش سيصبحون لاجئين بسبب تغيّرات المناخ المتمثلة بارتفاع مناسيب مياه البحر والتقلبات الجوية المستمرّة. ذكر *عاتق رحمن*، وهو أكبر علماء بنگلادَش بأمور المناخ، "إنّ من حقّ المهاجرين أن يتوجّهوا للسكن في البلدان، التي تسببت في قضية الاحتباس الحراري وارتفاع نسب غازات الدفيئة greenhouses gases. يجب أن يكون بإمكان الملايين من هؤلاء اللاجئين أن يتوجّهوا إلى الولايات المتحدة".[193]

أشير إلى تعليقه المذكور بجملة واحدة نشرتها نو يورك تايمز. كان يجب أن تكون العنوان الرئيسي لصفحتها الأولى، لأنّها مهمة توضح ما يُدعى أزمة الهجرة. في الحقيقة أنّ *البابا فرانسس* قد عبّر عن الموقف بشكل دقيق، حين قال إنّ المهاجرين ليسوا سببا في الأزمة، بل هم ضحاياها.[194]

لماذا يُنظر للقضية باعتبارها أزمة، حين يصل 80 ألف شخصا من التعساء إلى بلد غنيّ وقوي مثل النمسا، التي يصل عدد سكانها حوالي 8 ملايين شخصا؟ بعض البلدان الأقل ثروة قد استقبلت اللاجئين. في لبنان مثلا، ربّما وصلت نسبة اللاجئين إلى 40% من مجموع سكان البلد. وهؤلاء اللاجئون فرّوا من بلدانهم لجريمة أو لأخرى، حديثا من العراق وسوريا خاصّة.[195] بعض اللاجئين في لبنان يعودون إلى عام 1948، وهم الفلسطينيون، الذين طُردوا من اراضيهم وحقولهم وقراهم حين تأسست إسرائيل. هذا هو لبنان الفقير، الذي لم يرسل لاجئا واحدا، بل ارسل مغتربين لطلب الرزق. نعم مغتربون، ولكنّهم ليسوا لاجئين فرّوا من قسوة الأنظمة السياسية وتغوّلها.

كما قام الأردن باستقبال اعداد كبيرة من اللاجئين، وقبله سوريا، التي استقبلت أيضًا لاجئين من الدول المجاورة، حتى لحظة حلت بها الكارثة الكبرى والخراب الشامل. في الحقيقة، أنّ البلدان الغنية، التي لها القدرة على استيعاب اللاجئين، هي التي لعبت دورا كبيرا في خلق الظروف لنزوح اللاجئين وفرارهم من بلدانهم الأصلية. ترفض هذه الدول الغنيّة استقبال اللاجئين الآن. يوجد بلد واحد فقط في أوروپا يُعتبر استثناء لأنّه سطّر سجلّا مشرفا في هذه القضية. ألمانيا وزعيمتها *أنكِلا مَركِل*، قد قبلت ما يقرب من 800 ألفا من اللاجئين.[196]

وباستثناء ألمانيا، فإنّ كلّ ما عملته أوروپا ومعها الولايات المتحدة هو تقديم الرشوة للآخرين للإبقاء على اللاجئين في تلك البلدان. المثال على ذلك تركيا، التي استقبلت اعدادا كبيرة من اللاجئين الفارين من جحيم العراق وسوريا وأفغانستان، قد يصل عددهم إلى أكثر من مليوني لاجئا. إنّ *أردوان*، ليس من الأشخاص المفضّلين عندي، لكنّه حين اشار إلى النفاق الأوروپي، فمن الصعب أن تختلف معه في الرأي.[197]

تقوم الولايات المتحدة باللجوء إلى نفس الأسلوب في أمكنة أخرى. حين يهرب الناس في القسم الشمالي من قارة أمريكا الوسطى من جحيم بلدانهم، التي دمّرتها فظائع سياسات *رَيگِن*، وهي السفادور وگواتِمالا وهَندَورَس، فمن المتوقع من المكسيك أن توقف سيل اللاجئين وتمنع وصولهم إلى حدود بلادنا الجنوبية. هذه هي مسؤولية المكسيك.

من الجدير بالذكر، أنّ بلدا واحدا في المنطقة لا يفرّ منه المواطنون، وهو نيكَراگوا. فما هو السبب؟ قامت الولايات المتحدة بحملات إرهابية داخل البلاد واستهدفت الهجوم على الحكومة واسقاطها فلم تفلح. غير أنّه في البلدان الثلاثة المذكورة، اصبحت الحكومات تحت سيطرة سلطات

إرهابية بدعم من الحكومة الأمريكية ومساندتها. أتذكّر أنّني كنت في مَناگوا عاصمة نيكَراگوا والتقيت بالقس *سيزار هَريَز*، عميد الجامعة اليسوعية وشخص معروف في كافة ارجاء أمريكا الوسطى. هرب أوّلا من بلده گواتيمالا إلى السلفادور، وهرب ثانية منها إلى نيكَراگوا. كنّا نتمشّى في أحد الشوارع في احدى الأمسيات وتوقفنا ليتحدّث مع بعض رجال الشرطة. أشار *هَريَز* قائلا إنّ نيكَراگوا هي البلد الوحيد في المنطقة، الذي يجب ألّا تخشى فيه من رجال الشرطة ولا يصيبك الرّوع حين تتحدث معهم.

نعود إلى النظر في مستقبل تأثير التغيّرات المناخية، فنرى أنّ عشرات الملايين من البشر سيفرّون من بنگلادَش. أين سيذهب هؤلاء؟ وهذه فقط هي بداية قصة لاجئي المناخ. لقد بدأت المنطقة الثلجية المتجمدة على قمم جبال الهمَلايا بالذوبان السريع. وكما تعرف، إنّها مصدر المياه لكلّ من الهند وپاكستان. أشارت التقارير أنّ ما يقرب من 75 مليون شخصا في الهند يعانون من قلة توفر مياه الشرب النظيفة.[198] ما الذي سيحدث حين تبدأ هذه الأعداد بالتزايد؟ السيناريو الوحيد المتوقع هو نشوب صراع بين الهند وپاكستان حول مصادر مياه الشرب، التي يعتمد عليها كلا البلدين. وهما كما تعرف قوّتان نوويتان، وفي حالة حرب افتراضية. ماذا يحدث حين تندلع الحرب فعلا حول المياه؟ ستتحوّل بسرعة إلى حرب نووية، قد يقود اندلاعها بين الجانبين، إلى ما حذرنا منه العلماء على مدى عقود طويلة. سيحلّ الشتاء النووي وسيؤدي إلى مجاعات حول العالم، تشمل كافة سكان المعمورة ونحن من ضمنهم. وعليه، فهناك نقطة يلتقي فيها كلا التهديدين، المناخي والنووي لبقاء الحياة وديمومتها.

ومرة أخرى، لن تجد شيئا يُذكر عن هذه التهديدات في صحف العالم، باستثناء إشارات طفيفة هنا وهناك. إنّ القضية شاخصة أمام أبصارنا، لكنّنا مشغولون بتغريدات *ترامپ*.

من الصعب أن تجد الكلمات لوصف ما يجري.

بالتأكيد، أنا شخصيّا لا أستطيع وصف الوضع.

في ضوء فوز *ترامپ* في انتخابات رئاسة الجمهورية لعام 2016، ذكّرنا البعض باقوال *جَو هِل*، ومنها "لا تحزنوا، بل نظّموا صفوفكم".

نعم هذا هو التشخيص الصائب الصادق والعملي، وأنّنا يجب أن ندرك أنّ هناك فرصا حقيقية. لو تأملت التصويت الشعبي في آخر انتخابات لوجدت أنّ *هِلَري كلِنتُن* قد فازت بأكثر من 2.7 مليون صوتا على منافسها *ترامپ*. والأكثر أهميّة أنّها فازت بفارق أكبر بين الشباب. ومن الأهمية أن نُذكّر بحدوث اشياء هامة عديدة خلال الانتخابات الأولية، منها فوز *سانَدرز* بفارق ساحق بين صفوف الشباب. هذا هو الأمل للمستقبل، إذا كان بالإمكان تنظيم هؤلاء الشباب وتحريكهم. وهما أمران ممكنان.

ما هي الطرق التي توصي بها للتنظيم ضدّ *ترامپ*؟

أوّلا، أعتقد أنّ بعض مبادرات *ترامپ* يجب أن تلقى التشجيع والمساندة ولكن بشكل يختلف عن اقتراحاته. من أحد اهدافه الرئيسية، إن كان صادقا، هو تطوير البنى التحتية الحيوية في الولايات المتحدة، وهي حقا في وضع مزر. وعليه، دعونا نصلح الجسور المتهاوية والطرق القديمة وشبكات انابيب مياه الشرب وشبكات الخدمات الكهربائية والطاقة. هذه سياسات يجب مساندتها.

وعلى أيّة حال، يجب أن نتذكّر دائما أنّ هذه المقترحات هي حقا سياسات *أوباما* المطروحة خلال فترة حكمه. انصبّت جهود الجمهوريين المخرّبة على عرقلتها وقتلها. حين استلم *أوباما* دفة الحكم، لم تخفِ قيادة الحزب الجمهوري نواياها لعرقلة كافة مشاريعه المقترحة، كي يفشل ويعودون للحكم.[199] أمّا الآن فهم من يشغل البيت الأبيض، ولا يوجد سبب في جعبة الكونگرِس لوقف عجلة الحكم، بحيث لم تعد قادرة على الحركة. لقد انتهت الإعذار والمبررات.

غير أنّ هناك اختلافات رئيسية بين خطط *أوباما* للبنى التحتية الحيوية مقارنة بخطط *ترامپ*. أوّلا، إنّ خطط الرئيس السابق ما كانت لها تكلفة مالية سنوية. أمّا خطط الرئيس الحالي فهي قائمة أصلا على السياسات، التي وضعها *پول رايَن*، الذي اعتقد أنّه أخطر شخص في السياسة الأمريكية. تستند خطط هذا على منح تخفيضات ضريبية عالية للإثرياء وقطّاع الاحتكارات، وعدم تأمين مصادر مالية جديدة، إضافة إلى بناء حشد عسكري ضخم، للتعويض عمّا يسمّيه نظامنا العسكري المُستنفذ depleted، علما بأنّ موسستنا العسكرية هي في طليعة الأنظمة العسكرية وأقواها.[200] كما أنّ هناك كلام حول إغاثة الطبقة الوسطى، لكنّ هذا كلام على الهامش، في أحسن الأحوال.

إنّ تكلفة هذه المقترحات وفق تقديرات مختلفة، ستكون عالية جدّا. فما الذي سيحدث إذن؟ إنّه أمر متوقع. لو تذكّرنا توجيهات *دِك چَيني* لوزير الخزانة الأمريكي في حينها *پَول أونيل* في عام 2002، حين كانت إدارة *بُش الإبن* غارقة في برامجها "إصرف واستقرض،" قال له بالحرف الواحد. "لقد أوضح لنا *رونَلد رَيگِن* أنّ العجز في الميزانية مسألة لا تهمّ". لقد عنى العجز المالي، الذي يخلقه الجمهوريون ويلقون باللائمة على عاتق الآخرين، أي الديمقراطيين. حبن يكون الديمقراطيون في السلطة، فإنّ العجز المالي يصبح قصة مرعبة، يجب ألّا نسمح بحدوثها. ولكن حين يتولى الجمهوريون السلطة، ولنأخذ على ذلك كافة الرؤساء من جانبهم، باستثناء *أيزنهاور*، سنرى أنّهم تركوا السلطة والبلاد تعاني من عجز مالي هائل أورثوه لمن يأتي بعدهم كي يتولى معالجة الفوضى. هذا هو الفرق بين مرشحي الحزبين.

الإختلاف الآخر هو ما يصفه *ترامپ*، على الأقلّ لحدّ الآن، إنّه ليس محفزات حكومية، ولكن إعانة من قبل المواطنين دافعي الضرائب للشركات الاحتكارية الخاصّة من أجل معالجة مشكلة البنى التحتية الحيوية وجني الأرباح والفوائد من هذه القضية. وإذا حدث ذلك، فإنّنا لن نرى إعادة بناء شبكات توزيع مياه الشرب المتهالكة ولا نصب ألواح جمع الطاقة الشمسية من أجل توليد الطاقة الكهربائية. ما سنرى هو بناء ومدّ طرق يدفع مَن يستعملها رسوما خاصّة تفرضها الشركات التي ستنفذ بناء تلك الطرق Toll Roads، وإلى غير ذلك. إنّ تطوير البنى التحتية الحيوية بهذا الشكل، ليس ما يحتاجه البلد. لكنّه يتناسب مع تفاني الحزب الجمهوري و*ترامپ* بالذات لخدمة ارباب الشركات الخاصة والأرباح، التي سيجنونها. يقولون إنّ المنافع، التي تعود على بقية المواطنين ليست إلّا كلاما خطابيا. يلجأ أحدهم إلى الخطابات الشعبوية لجلب انتباه المواطنين فقط، ومن ثمّ ركلهم في الوجه.

في الحقيقة، إنّ النخب الثرية financial elites سعيدة الآن للغاية والسبب هو أنّ *ترامپ* يعمل بالضبط عكس ما وعد به أثناء حملته الانتخابية. لقد أتى بنخبة المؤسسة المالية، التي هاجمها أثناء تلك الحملة مثل گولدِن ساك وجَي پي مورگِن وغيرهما، إلى البيت الأبيض وعيّنهم مستشارين ووزراء في حكومته. لقد أظهر سوق الأموال Stock Market أنّ رجال الأعمال يتفهمون جيدا وعلى دراية بما يجري. في اللحظة، التي انتهت فيها الانتخابات بفوز *ترامپ*، إرتفعت أسهم شركات الطاقة الاحتكارية والمصارف والصناعات العسكرية. من إحدى هذه الشركات شركة Peabody

Energy، وهي من أكبر الشركات الخاصة في العالم لاستخراج الفحم. كانت في الحقيقة وسط إجراءات لإعلان إفلاسها، غير أنّ اسهمها ارتفعت بفعل ذلك الفوز بنسبة 50% ثم ازدادت أكثر فيما بعد.[201]

إنّ هذا الإرتفاع في السوق هو انعكاس لما كان عالم الأعمال يتوقع من سياسات *ترامپ*، التي سينفذها. فالإرتفاع الحادّ في أسهم المصارف يعني رفع القيود المالية، التي ستكون الأساس للكساد الاقتصادي القادم، حيث سيتوجب على المواطنين من دافعي الضرائب أن يُنقذوا الشركات والمصارف من الإفلاس. كما أنّ الإرتفاع في اسهم شركات الطاقة يعني تدمير البيئة. وأنت تعرف جيّدا الأخبار الحسنة التي تلقتها الصناعات العسكرية والاحتكارات، التي تديرها. كافة هذه النشاطات، هي التي تنذر بالمستقبل وترسمه.

غير أنّه من الممكن تقييد كافة هذه النشاطات وفرض السيطرة عليها وإعادة توجيهها بشكل معاكس. خُذ مثلا الطبقة العاملة من البيض التي اعطت صوتها للجمهوري *ترامپ*. إنّ عددا كبيرا من هؤلاء كانوا قد صوّتوا لصالح *أوباما* عام 2008. لقد صوتوا له لسبب واحد فقط. كان شعار حملته "الأمل والتغيير" وكانوا يتعطشون للتغيير ويحلمون بالأمل لأسباب مشروعة وجادة. في عام 2007، أي قبل عام من الكساد الاقتصادي، الذي ضرب البلد، كان العمال يتلقون أجورا منخفضة، تقلّ في الواقع عن معدّل ما كانوا يتقاضونه في عام 1979 [202] وعليه فإنّ الدعوة للتغيير أوقدت في نفوسهم شعلة الأمل باحداث التغيير المرجو.

غير أنّ آمالهم تلاشت ولم تأتِ لهم إدارة *أوباما* بالتغيير، الذي وعدت به وكانوا يتوقعونه. ولذلك فإنّهم في عام 2016 صوتوا لصالح رجل وعدهم أن يحقق لهم ما يريدون ويعوّض عن خيبتهم بالإدارة السابقة. وهذا يعني فرصا لتوفير برامج واقعية وعملية تحقق الآمال فعلا وتحدث التغيير المرجو. في الحقيقة، أنّ مثل هذه القضايا قد كانت مشتركة بين المصوتين لصالح *ترامپ* والمصوتين لصالح *ساندرز*، لأنّ مثل هذه الفرص يمكن متابعتها.

دعنا نتحدث عمّا يُسمّى gig economy، الذي يعني انتفاء وجود الوظائف الدائمة الإعتيادية بين 9 صباحا إلى 5 مساء. وهي الوظائف، التي تضمن للعاملين بعض المنافع مثل الإجازات المرضية المدفوعة أو أجازات الراحة والاستجمام المدفوعة لفترة اسبوعين سنويا. لقد أصبحت هذه الإمتيازات من ذكريات الماضي السحيق وحلّت محلها الوظائف المؤقتة حسب الحاجة. على العاملين أن يفرحوا لأنّهم الآن "متعاقدون مستقلون". أعتقد أنّك ترى مثل هذه

الحالات في الجامعات والكليات، لأنّ التوظيف الآن يقتصر على الأساتذة المساعدين والمحاضرين المؤقتين، الذين لا تتوفر لهم الإمتيازات المذكورة.

من الأمور التي طغت على البلد خلال فترة اللِبرالية الجديدة هي الزيادة الملحوظة في فرض نماذج العمل business models على الجامعات. وهذا يعني فرض سياسات من النوع الذي أشرت اليه. توظيف العاملين بشكل مؤقت لا يضمن لهم الأمن الوظيفي ويجبرهم على ظروف عمل رديئة ورواتب واجور منخفضة للغاية. الأستاذ المثبّت في الوظيفة tenured يتمتع بالحماية، ولكن بالإمكان فصل أو طرد الأستاذ المساعد أو المحاضر بكلّ سهولة. إنّها خسارة لكلّ العاملين وحتى للطلبة أنفسهم، لكنّ مثل هذه الإجراءات تعود بالمنفعة المالية لإدارة الكليات والجامعات.

لقد اطلقوا على هذه الفئة من العاملين إسم "المتعاقدون المستقلون" علما بأنّهم ليسوا كذلك. غير أنّ الهدف هو شقّ صفوف الطبقة العاملة والتركيز فقط على أوضاعهم الشخصية، وهو أمر يفتقر إلى الاستقرار. لا يتوفر لهم الأمن الوظيفي ولا يمكنهم أن يخططوا للمستقبل، وبطبيعة الحال هم محرومون من التنظيم أو الإنتماء للإتحادات أو النقابات أو المساهمة في مجتمع ديمقراطي فعّال. وهذه جميعا تصبّ في مصلحة السلطة المركزيّة. النخبة الثريّة لا تريد مجتمعا يقوم على الديمقراطية الفعالة. تريد مجتمعا يغلب عليه الخوف، في حالة ذعر وعوز وتردد، ويكون الفرد فيه بانتظار وصول الشيك في نهاية الأسبوع.

ما هو رأيك في ظاهرة السيارات الشخصية الخاصة، التي تُستعمل للقيام بخدمات سيارات الأجرة في العادة، مثلما تفعل أوبر ولِفت Uber&Lyft؟ يعتقد البعض أنّها تقدّم خدمات مناسبة، لكنّها في الحقيقة تهديد لحياة سائقي سيارات الأجرة.

بالتأكيد هم كذلك، كما تفضلت. سائقو سيارات الأجرة يعملون بجهد كبير ويدفعون مبالغ كبيرة للحصول على رخص العمل في المدن والضواحيٍ. وهذه هي استثماراتهم ومورد رزقهم في الحياة اليومية. لقد تمّ تقويض هذه الاستثمارات وسُلِب منهم عملهم من قبل السواق الخصوصيين، الذين يعملون بدوام جزئي. كما يجب أن تعرف أنّ هؤلاء السواق المزاحمين يحتاجون هم أيضًا إلى الدخل، لكنّه يجب فهم مخاوف سائقي سيارات الأجرة من اعضاء النقابات، الذين امضوا جزء كبيرا من حياتهم وهم يتمتعون بدخل "مضمون" من مهنتهم.

خلال حملة انتخابات الرئاسة، جرى تأكيد كثير على الطبقة الوسطى واحوالها ومشاكلها، ولم يرد ذكر للطبقة الفقيرة، باستثناء ما أثاره *ساندرز*. وفي الوقت الذي قُدّمت فيه الاقتراحات بقطع مخصصات الإعانة الطبية Medicaid وبرنامج هَيد ستارة Head Start، الذي يقدم الرعاية الصحية للأطفال الصغار ويضمن لهم وجبات غذائية داخل المدارس وبرنامج *پِل گرانتس* Pill Grants، الذي يؤمن المنح الدراسية للطلبة المتفوّقين من الطبقة الفقيرة، ونظام بطاقات تأمين الغذاء المجاني Food Stamps، وغيرها من البرامج لمكافحة الفقر. إنّ قطع تمويل هذه البرامج سيضع الطبقة الفقيرة في موقف لا تُحسد عليه. لماذا تُهّمّش هذه الطبقة من الشعب من الناحية السياسية؟

لأنّهم لا حول لهم ولا قوّة وغير منظّمين ولا تتوفر لهم المصادر المطلوبة. الأمّهات العازبات والمهاجرون يتشبّثون بكلّ شيء من أجل البقاء، وكثير من البرامج، التي أشرت إليها من أجل دعم الفقراء، قد حوربت لأسباب عنصريّة. ثمّ هناك مشكلة صعوبة تنظيم هؤلاء الناس لأغراض العمل السياسي. وعليه، أصبح من السهل اهمالهم وعدم الإلتفات إلى حاجاتهِم.

هناك دراسة هامة قامت بها *آرلي هَوچشيلد*، وهي عالمة اجتماع مرموقة عاشت لمدة 5 سنوات في منطقة تُعتبر مركزا هاما لحزب الشاي Tea Party في ولاية لِوزيانا. حاولت أن تتفهم وجهة نظر المواطنين هناك.[203] أرادت أن تحلّ ما وصفته بالتاقض الكبير، الذي تحدّث عنه سابقا *تَومَس فرانك* وآخرون. لماذا يصوّت المواطنون لمرشحين هدفهم تدمير حياتهم؟ يعيش هؤلاء المواطنون في ***منطقة بايو*** ويعتمدون على صيد الحيوانات والأسماك، ولديهم ذكريات جميلة عن حياة هانئة في تلك البيئة الخصبة. لقد تمّ الآن تدميرها بفعل الفضلات الكيمياوية، التي تلقيها مصانع تصفية النفط وتنقيته هناك. تُسمّى تلك المنطقة الآن "زقاق السرطان" Cancer Alley. يطغى على سكنة المنطقة بسبب ذلك غضب عارم، لكنّهم صوّتوا في انتخابات الرئاسة لصالح *ترامپ*، الذي يخطط لزيادة الأضرار التي تلحق بالبيئة.

تعطي *هَوچشيلد* صورة مثيرة للاهتمام. قالت إنّ الذين تكتب عنهم يرون أنفسهم واقفين في الطابور. لقد عملوا بجهد طوال حياتهم وأدّوا ما ترتب عليهم من واجبات خير أداء. لقد تردّدوا على الكنائس ودرسوا الكتاب المقدّس وكوّنوا أسرا، حيث يذهب الأزواج إلى العمل وتبقى الزوجات في البيوت للعناية بالأطفال. عملوا كلّ شيء بطريقة جيدة، كما سبقهم في ذلك آباؤهم وامهاتهم. كانوا

يتحركون ببطء نحو تحقيق الحلم الأمريكي. وفجأة توقف الطابور عن الحركة وعادت حياتهم إلى الوراء، كما كانت عليه قبل 25 عاما أو أكثر.

كانت سبقتهم فئة قليلة، لكنّ ذلك لم يزعجهم في شيء لأنّ أساس الحلم الأمريكي، أنّه إذا كانت لديك ميزة معينة فإنّك ستحصل على موقع متقدّم، حالك حال الآخرين. الذي أزعجهم هذه المرّة أنّ الناس، الذين وقفوا خلفهم من الفقراء و"عديمي القيمة" الذين لم يبذلوا جهدا أو يقوموا بعمل مثمر، جاءت الحكومة وانتشلتهم ووضعتهم في مقدمة الواقفين في الطابور.

هذه طبعا أسطورة، ولكن هناك بعض من الحقيقة فيها، وهذا البعض هو ما يجعلها شيئا يمكن تصديقه. هل تتذكّر عبارة "ملكات الرفاه" Welfare Queens، اللواتي يذهبن إلى دوائر المعونة الحكومية بسيارات فارهة ويسرقن ما يدفعه الشعب من الضرائب؟ تضم هذه الفئة الآن المهاجرين والسود ومن هنّ من أصل لاتيني، وغيرهم من مختلف المستغلين. اصبح الفرق بين من "يعمل ويكسب ويدفع الضرائب" وبين تلك الفئة "التي تأتي وتستولي" على ما يمكن الاستيلاء عليه. الحكومة المركزية هي الملامة في خلق هذا الوضع وجعل "فئة المستولين" في طليعة الناس المحترمين الرصينين، الذين يبذلون الجهود للقيام بواجباتهم وأعمالهم.

لذلك فهم يكرهون الحكومة المركزية. لقد دمّر حياتهم التلوّثُ الذي تطرحه معامل تصفية النفط، ولكن تعيش في اذهانهم صورة ممثل وكالة حماية البيئة EPA ببدلته غالية الثمن، حين أتى ليخبرهم أنّه لا يُسمح لهم بصيد الأسماك هناك، لكنّه لم يفعل شيئا لحماية البيئة من المقذوفات الكيمياوية الضارة، التي تلقيها المصانع في مياه المنطقة. هذه التّصرفات تتفق تماما مع المعتقدات الدينية وبعض اقوال العنصريين البيض والالتزام، الذي تربّى عليها أولئك الناس. هذا طبعا اضافة للمنطق الداخلي المعقول، رغم أنّه بشكل عامّ مدمّر للذات.

ولكن حتّى في وضع كهذا، هناك إمكانية للتغيير، وتوجد فرص للتنظيم من أجل إحداث مثل ذلك التغيير.

تفحّصت قبل فترة قصيرة برنامج الحزب الشعبي لعام 1982 في مدينة أومَها في ولاية نِبراسكا. دعا إلى تأميم خدمات سكك الحديد والبواخر التجارية، كما دعا إلى تأميم دوائر البرق والبريد وخدمات الهاتف.[204] كيف تصنّف ما يُسمّى "الشعبية" اليوم؟

تلك كانت أسس الحركة الشعبية. بدأت كحركة للفلاحين الناشطين في ولاية تكسَس ثمّ انتشرت إلى ولاية كنزَس، ومنها إلى كافة انحاء وسط البلاد وغربها. كان المجتمع الزراعي قد هُمّش لصالح توجه الدولة الرأسمالي نحو التصنيع. كان الفلاحون مخنوقين بديون المؤسسات المالية واصحاب البنوك والتجار في مناطق شمال البلاد، الذين فرضوا على أولئك الفلاحين العمل تحت ظروف استغلالية بشعة. حافظ الفلاحون على مفاهيم الشخصية، بأنّ الإنسان حرّ ما دام لا يتلقى أمرا من شخص آخر. كانت اجور العمال لا تختلف كثيرا عن واقع العبودية. ورغم أنّ الوضع كان طارئا مؤقتا ويمكن للمرء أن يفلت من مخالبه، لكنّ الفلاحين شعروا بالتعسّف، فعبّروا عن رفضه.

كانت تلك الأرضية وراء بروز الحركة الشعبية الراديكالية، التي جمعت شمل الفلاحين مع افراد الطبقة العاملة الجديدة في المصانع. ولكن تمّ سحق هذه الحركة الشعبية عن طريق القوّة المفرطة في بعض الأحيان. ومع ذلك، تبقى تلك الحركة من أهم الحركات الديمقراطية في تاريخ الولايات المتحدة. غير أنّه اصابها الإنحطاط فاصبحت ميدانا للعنصرية ومعاداة الأجانب وإرهابهم ومعاداة السامية. إنّ كلّ هذه النشاطات لا تنفي جذورها في الأساس كونها حركة تقدّمية للغاية، ساعدت على تشكيل الحركة التقدميّة في مطلع القرن العشرين.

أمّا ما يُسمّى بالشعبوية اليوم فهي مختلفة تماما. إنّها تعني معارضة كافة المؤسسات القائمة، وتأخذ أشكالا عديدة تتفاوت بين التطرف اليساري من جهة وبروز حركة النازية الجديدة من جهة أخرى.

هل اعجبتك وقفة المقاومة، التي ابدتها قبائل السيوكس الأصلية وتحرّكها ضد خطط مدّ أنابيب نقل النفط التابعة لشركي كي ستّون Key Stone عبر أراضي تلك القبائل؟

نعم، رغم أنّ إدارة *ترامپ* الجديدة قد صرّحت بأنّها ستوافق على الخطط الحالية للشركة، كي تمضي في بناء شبكة الأنابيب المذكورة.[205]

ومع ذلك، كان هناك تحالف قويّ مع الأقليّات، التي تتعرّض للظلم في هذه البلاد، وهم سكانها الأصليّون.

نعم، التحمت عدة منظمات سوية، وشملت هذه حركة حقوق السكان الأصليين والالتزام بالمعاهدات التي وُقعت معهم وتمّت مخالفتها. كما انضم المدافعون عن البيئة بسبب التأثيرات

الناجمة عن مدّ هذه الشبكة من الأنابيب النفطية. أضف إلى ذلك وجود نقطة أوسع، وهي المطالبة بابقاء النفط في بُركِه الطبيعية تحت سطح الأرض. ولسوء الحظّ، فإنّه حتى لو تمّ تغيير مسار تلك الشبكة من الأنابيب، وهو أمر غير متوقع، فإنّ النفط سوف لن يُترك على حاله.

الحوار الثاني عشر
رئاسة ترامپ

رسائل إلكترونية متبادلة بتاريخ 20 حزيران 2017

تحدثت سابقا عن الاختلاف بين تهريجات *ترامپ*، التي تحظى بتغطية إعلامية لا نهاية لها، وبين السياسات الفعلية لسن القوانين والأنظمة بشأنها. وهذه تحظى بانتباه قليل محدود. هل تعتقد أنّ لديه سياسة متماسكة ذات أهداف في المجالات الاقتصادية والسياسية، الداخلية والعالمية؟ ماذا حقق *ترامپ* فعلا خلال الأشهر الأولى من دخوله للبيت الأبيض؟

هناك نشاطات مختلفة جارية بعضها وفق تخطيط مرسوم والآخر نتيجة طبيعة نزوات شخص وجد نفسه وسط المسرح، بينما الآخرون يعملون من خلف الستار.

فمن جهة يؤكّد *ترامپ* شيئا معروفا عنه، وهو تركيز الإنتباه عليه. وهو ماض في ذلك حسب ما كان عليه في السابق. هل يستطيع أحد أن يتذكّر الإتهامات بأنّ الملايين من المهاجرين غير الشرعيين قد صوتوا لصالح *كلِنتُن*، ممّا أحدث شرخا كبيرا في ***النصر العظيم***، لهذا الرجل الصغير؟[206] ثمّ هل يستطيع أحد أن ينسى الإتهامات بأنّ *أوباما* قد وضع شبكة تجسس عليه داخل مبناه، برج ترامپ؟ مثل هذه الإتهامات حقيقة، لا تعني شيئا. يكفي أنّ الإنتباه قد تمّ تحويله عمّا يجري خلف الكواليس. وهناك بعيدا عن الأضواء، تعمل فئة صغيرة هامشية من الحزب الجمهوري لدفع السياسات المُعدّة لإثراء العاملين في دوائرهم الانتخابية Constituency. وهذه هي فئة الأثرياء ذوي النفوذ القويّ، الذين اطلق عليهم *آدم سمِث* عبارة "سادة البشرية".

ممّا لا شكّ فيه أنّ السياسات المشار إليها ستلحق الأذى بعامة الشعب وتدمّر مستقبل الأجيال القادمة. لكنّ هذا لا يثير مخاوف الجمهوريين إطلاقا. لقد حاولوا على مدى سنوات عديدة دفع

سياسات تخريبيّة من هذا الصنف. *بول برايَن*، على سبيل المثال، يعلِن عن افكاره الافتراضية بالغاء دور الحكومة المركزية، كجزء من خدمته للفئة المشار اليها. وبطبيعة الحال قد لفّ مقترحاته باشكال وتخطيطات ومعادلات رياضية وارقام، كي يجعلها جذابة لأعين المعلقين. الآن والإنتباه منصبّ على آخر شطحات *ترامپ* الجنونية، فإنّ *رايَن* والزمرة المحيطة به ضمن السلطة التنفيذية العليا، يعبثون بالتشريعات القانونية لإضعاف ما يتعلق منها بحقوق العمال وحماية المستهلكين والحاق الأذى بالمجتمعات الريفية. إنّهم يسعون لتدمير البرامج الصحية والغاء الضرائب المفروضة على ذوي الدخول العالية، بقصد إثراء اصحابهم أكثر فأكثر، وبالتالي نزع الشرعية عن ***قانون دَود ـ فرانك***، الذي فرض وضع قيود على الأنظمة والمؤسسات المالية المتغوّلة، التي في حالة تخمة متناهية نتيجة جني الأموال والأرباح خلال فترة سيطرة افكار اللِبرالية الجديدة.[207]

هذه عيّنة عن كيفية إطلاق آلات التدمير، التي حرّكها الحزب الجمهوري ووفّر لها القوّة. في الحقيقة، لم يعد هذا الحزب حزبا سياسيّا وفق المفهوم التقليدي. المحللان السياسيّان المحافظان، *تومَس مان* و*نورمَن أورنستين*، وصفا الحالة بشكل دقيق بأنّها "تمرّد راديكالي Radical Insurgency، تخلى عن السياسات البرلمانية الإعتيادية وتجاوزها".[208]

لقد تمّ تنفيذ ذلك بأساليب سريّة، خلال لقاءات مغلقة، لم يُعلن عنها شيء للرأي العام. غير أنّ بعض الجمهوريين تجنّبوا السريّة واعلنوا صراحة الإنسحاب من اتفاقية پاريس حول المناخ، وعزلوا بذلك الولايات المتحدة عن بقية انحاء العالم وجعلوها دولة منبوذة ترفض الإشتراك في الجهود العالمية لمواجهة أزمة تغيّر المناخ، التي تلوح في الأفق وتهدّد بخلق كوارث بيئية مدمّرة للغاية. وأسوأ من ذلك، فإنّهم يحاولون زيادة أقصى حدّ ممكن لاستخراج الوقود الأحفوري وتوفيره لأغراض توليد الطاقة، والغاء كافة اللوائح المتعلقة بحماية البيئة، وقطع تمويل البحوث وتطوير بدائل مصادر الطاقة، التي ستكون خلال وقت قصير من مستلزمات العيش الكريم.

الأسباب وراء هذه السياسات مختلطة. بعضها ببساطة خدمة الموالين للحزب الجمهوري، وبعضها الآخر وليد مخاوف تراود "سادة العالم،" لكنّها تأخذ بالباب قطعات من الناخبين، الذين رصّ الحزب الجمهوري صفوفهم، لأنّ سياسات هذا الحزب أخذت تجنح نحو اقصى اليمين، علما أنّ طروحاتهم لا تروق لبعض الناخبين. فمثلا الغاء الدعم المالي للتخطيط الأسري، ليس خدمات تقدّم للموالين لهم. ربّما يميل بعضهم إلى هذه الخدمات ويؤيّدها. لكنّ إلغائها اجتذب بقوة جموع

المسيحيين الإنجيليين. ليس هذا سوى اغلاق العيون ازاء حقيقة قائمة، وهي أنّهم يزيدون بشكل فعّال عدد حالات الحمل غير المرغوب فيها، وبالتالي يزيدون عدد حالات اللجوء إلى الإجهاض، تحت ظروف خطيرة، وربّما مهلكة.

لا يمكن بطبيعة الحال إلصاق كافة التهم والحاق الأضرار بإلقائها على عاتق رجل واحد يتمتع في العادة بالمسؤولية، أو حتى على تعييناته الغريبة، أو مؤيديه في الكونگرِس، الذين أطلق لهم العنان. إنّ اكثر التطورات الخطيرة في عهد *ترامپ* يمكن إرجاعها إلى مبادرات *أوباما*، التي تمت المصادقة عليها بالتأكيد تحت ضغط من الكونگرِس، الذي غلبت عليه قوة أكثرية جمهورية الهوى.

نادرا ما أشير في الصحف إلى أخطر هذه المبادرات. غير أنّ دراسة هامة نُشِرت في ***مجلة علماء الذرة*** في شهر مارس من عام 2017، كشفت عن برنامج *أوباما* لتحديث السلاح النووي. وهو "البرنامج الذي زاد من قدرة القتل الشامل، التي تمتلكها قوّات الصوارخ النووية الأمريكية، بمقدار 3 اضعاف ما كانت عليه تقريبا في وقتها. تخلق هذه الزيادة ما يتوقعه المرء، وهو أنّ الدولة النووية تخطط لتكون لها القدرة في المبادرة، فتحارب وتنتصر وتجرّد العدو من سلاحه بضربة نووية استباقية مفاجئة".[209] وكما أشار المحللون، فإنّ هذه القابلية الجديدة ستقوّض الاستقرار الستراتيجي القائم، والذي يعتمد عليه بقاء البشرية واستمرارها. إنّ السجلّ المرعب حول الاقتراب من الكوارث النووية والتصرّفات المتهورة للقادة في السنوات الأخيرة، يظهران كيف أنّ قضية بقاءنا كجنس بشري، هشة للغاية. أصبح هذا البرنامج الآن تحت تصرّف *ترامپ*، إضافة إلى أنّ كافة التطوّرات والتهديدات بحدوث الكوارث البيئية، تطغى بظلها الأسود على كلّ شيء آخر. ومن النادر أن تجد مناقشة لهذا الموضوع، في حين أنّ الإنتباه بكامله منصبّ على الأداء الاستعراضي لرجل مهرّج يحتلّ وسط المسرح.

لا نعرف إنْ كان لدى *ترامپ* أيّة فكرة من بنات افكاره أو وليدة افكار أيّ من اتباعه والمحيطين به، حول ماذا سيفعل بتوفر مثل هذا البرنامج. لربّما هو لا يخفي نواياه وجاهل مصاب بجنون العظمة وأيديولوجيته الوحيدة هي نفسه ونفسه فقط. غير أنّ ما سيحدث تحت سيطرة الجناح المتطرف في منظومة الحزب الجمهوري سهل وواضح.

هل ترى أيّ نشاط مشجع في جانب الديمقراطيين؟ أم أنّ الوقت قد حان لنبدأ التفكير بتأسيس حزب ثالث؟

هناك الكثير من التفكير بشأن هذا الأمر. من الظواهر البارزة في انتخابات عام 2016، هي ما جاءت بها حملة *بَرني ساندرز*، التي كسرت الجمود السياسي، الذي استولى على تاريخ الولايات المتحدة لمدة قرن تقريبا. هناك الكثير من البحوث في ميدان العلوم السياسية، قد أظهر بشكل مقنع أنّ الانتخابات قد تمّ شراؤها إلى حدّ كبير، وأنّ التبرعات للحملات الانتخابية اصبحت المؤشر القوي لمن يفوز في الإنخابات التالية، سواء كانت لعضوية الكونگرس أو إشغال المكتب البيضوي. في الغالب، أنّ تلك التبرعات السخيّة هي ما سيؤثر على قرارات الأشخاص المُنتخَبين بشأن مختلف القضايا.

وبالتالي، فإنّ الغالبية الكبرى من المواطنين، خاصّة من ذوي الدخل الواطئ، هم في الحقيقة محرومون بشكل فعّال من المساهمة في الانتخابات. في ضوء ذلك، ليست هناك مفاجأة بفوز بليونير ونجم تلفزيون يحظى بإسناد إعلامي حقيقي ودعم مباشر من مالك محطة تلفزيون فوكس الرائدة *رَوپَرت مَردوخ*، إضافة إلى شخصيّات يمينيّة متطرفة ومؤثرة تقدّم برامج وندوات إذاعية عن طريق الراديو في مختلف انحاء البلاد. وبطبيعة الحال، يتمتع بدعم ملحوظ من بقيّة قنوات الإعلام الأخرى، التي جلبت شخصية *ترامپ* لها الكثير من الموارد المالية العالية لتغطية الإعلانات، التي تعرضها عنه.

تمرّدت حملة *ساندرز* بشكل حادّ على نموذج الحملات الانتخابية. ما كان الرجل معروفا على نطاق واسع، وليس لديه أيّ دعم مالي من الجهات المعنية في الحزب الديمقراطي، وتمّ تجاهله وحتى بشكل مقصود من قبل أجهزة الإعلام، أضف إلى ذلك أنّه اطلق على نفسه صفة "إشتراكي". ومع ذلك، فهو الآن أكثر الشخصيات السياسيّة شعبيّة في هذه البلاد بفرق شاسع.[210]

أظهر نجاح حملة *ساندرز*، على الأقلّ أنّ هناك عدة خيارات يمكن متابعتها حتى في وجه العوائق المؤسساتية، التي تقف في وجه التحرّر منها. تفكّك الحزب الديمقراطي خلال فترة رئاسة *أوباما* على المستويين المحلي ومستوى الولايات، منذ تخلى عن الطبقة العاملة منذ سنوات عديدة، خاصّة خلال فترة رئاسة *بِل كلِنتُن*. ألحقت سياسته التجارية والمالية السنوية، ضررا كبيرا وعميقا بعمليات التصنيع وتسبّبت في انتفاء الوظائف المستقرّة نوعمّا.

لا يوجد نقص في طرح المقترحات من أجل سياسات تقدّمية. فمنها ما ذكره *رَوبَرت پولِن* في البرنامج، الذي ضمّنه في كتابه "إكتساب الاقتصاد العالمي للون الأخضر" Greening the Global Economy. وهو أحد السبل الواعدة.[211] كما أنّ عمل *گار الپيروفِتز* حول بناء الديمقراطية الأصيلة، التي يقودها العمال أنفسهم،[212] جهد مكمّل. إنّ التطبيقات العملية لهذه السبل والأفكار القائمة عليها، تأخذ أشكالا متنوّعة ومختلفة. فمثلا، تقوم المنظمات الشعبية، التي كان بعضها وليد حملة *ساندرز*، بدور فعّال قصد الاستفادة من الفرص العديدة المتاحة.

وفي نفس الوقت، فإنّ الإطار السياسي القائم على حزبين فقط ليس مُصانا أو أنّه منقوش على الحجر. وليس سِرّا أنّه في السنوات الأخيرة بدأت المؤسسات السياسية التقليدية تنهار في بلدان الديمقرطيات الصناعية، تحت تأثير ما يُسمّى "الحركات الشعبويّة". مع العلم أنّ هذا المصطلح قد استخدِم بشكل غير دقيق للإشارة إلى موجة الاستياء والغضب والاحتقار للمؤسسات، التي روّجت لِلبرالية الجديدة وهجومها على الجيل الماضي. وهي التي قادت إلى حالات الركود الاقتصادي بين غالبية المواطنين وتجمّع الثروة وتكدّسها بيد قلة محدودة العدد.

لقد تآكلت الديمقراطية الفاعلة نتيجة للتأثير الطبيعي جرّاء تركّز القوة الاقتصادية، التي تتحوّل مباشرة إلى قوّة سياسية من خلال الوسائل المعروفة، ولكن أيضًا لأسباب عميقة ومبدأيّة. يتباهى الإدّعاء العقائدي بأنّ انتقال عملية اتخاذ القرارات الهامّة من القطاع العام إلى "السوق،" هو الذي يكفل الحرية الفردية. غير أنّ الحقيقة تناقض ذلك جملة وتفصيلا. إنّ الإنتقال قد تمّ من المؤسسات العامة، التي يكون للناخبين فيها صوت، إنْ كان النظام ديمقراطيا ساري المفعول حقا، إلى الاستبداد الخاصّ المتمثل في الاحتكارات، التي تسيطر على الاقتصاد، ولا يكون لأصوات الناخبين أيّ تأثير عليها. في أوروپا، اصبح الوضع أكثر تهديدا للديمقراطية، بسبب وضع القرارات الهامة في يد "الثلاثي غير المُنتخَب" المتمثل في صندوق النقد الدولي والبنك المركزي الأوروپي والمفوضيّة الأوروپية. يوجّه هذا الثلاثي البنوك جميعا والمؤسسات التي تمنح القروض في شمال القارة، ولا سلطة للناخبين عليه.

لقد اختيرت هذه السياسة عمدا لضمان تغييب المجتمع والغاء دوره، حسب وصف *مارگرِت ثاچر* للعالم الذي تراه، أو بالأحرى ما طمحت إلى تحقيقه، حيث لا وجود للمجتمع بل تأكيدا على الأفراد فقط. لقد كانت تلك محاولة غير ذكية لإعادة تفسير إدانة *كارل ماركس* القوية للقمع في

فرنسا، الذي ترك المجتمع وكأنّه "كيس من البطاطس" أو كتلة غير متبلورة عاجزة عن العمل.[213] وفي وقتنا هذا فإنّ الطاغية في العالم الغربي، على الأقلّ، ليس الحاكم المستبدّ بل هو فئة صغيرة تتركّز القوة بيدها وتتمسك فيها بشدّة وعناد.

إنّ انهيار المؤسسات الحكومية المركزية قد تجلى من خلال الانتخابات في فرنسا في منتصف عام 2017. وفي الولايات المتحدة وقبل أشهر قليلة من ذلك، كان المرشحان اللذان حرّكا القوى الشعبية، هما *ساندرز* و*ترامب*، رغم أنّ الأخير لم يفوّت أيّة فرصة لإظهار زيف "شعبيته" عن طريق التأكيد السريع على أنّ العناصر الفعّالة في المؤسسة القديمة لا تزال تتشبّث بقوة في "مستنقع" الترف، الذي خلقته لنفسها.

إنّ ادّعاءات من هذا القبيل قد تقود إلى تفكك النظام السياسي الأمريكي الراسخ من خلال سيادة حزب واحد يتنافس فيه على السلطة جناحان له، بحيث تنحاز الكتل الانتخابية لهذا الجناح أو ذاك من حملة انتخابية إلى حملة أخرى. لربّما سيسمح التنافس بين هذين الجناحين بايجاد فرصة لبروز "حزب شعبي". حزب يحظى بتأييد الكتل الانتخابية الفعلية وتكون له قيم تستدعي الاحترام.

كانت رحلة *ترامپ* الخارجية الأولى هي للسعودية. ما الأهمية التي تراها لتلك الزيارة، وماذا تعني في الإطار السياسي الأوسع لمنطقة الشرق الأوسط؟ وكيف تفسّر عدوانية *ترامپ* اتجاه إيران؟

السعودية هي البلد الذي لا يشعر فيه *ترامپ* بالغربة ويُقابل فيها بالترحيب البالغ، رغم ما يجري هناك من امور غير خافيّة في نواحي شتّى. إنّها أكبر بلد منتج للنفط، علما بأنّ الولايات المتحدة قد تجاوزتها في هذه الناحية واصبحت المنتج الأكبر بالمقارنة. كما أنّ رصيد البلد من العملة النقدية هائل. وقد نجم عن هذه الزيارة عقود للأسلحة العسكرية بقيمة يسيل لها لعاب الاحتكارات المعنيّة. كما أنّ الهدايا السخيّة، التي أسبِغت على *ترامپ* وحاشيته عبّرت عن مدى الصداقة العميقة والمحبة اللامتناهية. أعطيَ اللون الأخضر للعمليات العسكرية ضدّ اليمن بالاستمرار، والتكاتف مع المملكة في خلافها مع قطر، التي تحاول أن تشق لنفسها سياسة مستقلة عن باقي دول الخليج. كما كانت إيران حاضرة في أذهان الجانبين المجتمعين في الرياض، خاصّة وأنّ قطر تشترك مع إيران في تقاسم حقل للغاز الطبيعي تحت مياه الخليج، وتقوم بينهما علاقات تجارية وثقافية لا تتفق مع مزاج السعوديين.

تُعتبر إيران ومنذ زمن في رأي القادة الأمريكيين ومعلقي الإعلام، بأنّها بلد بالغ الخطورة، لربّما أخطر بلد على وجه الكرة الأرضية. وهذا العداء المستحكم قد سبق وصول *ترامپ* إلى البيت الأبيض بزمن طويل. وفق النظام العقائدي Doctrinal System لهذه البلاد، فإنّ ايران عدوّ مزدوج. أوّلا، إنّها بلد يدعم الإرهاب ويقدّم له المساعدة. وثانيا، إنّ طموحها للحصول على السلاح النووي يشكّل تهديدا وجوديّا لإسرائيل، ولربّما لكافة انحاء العالم. إنّها خطيرة للغاية إلى الحدّ، الذي جعل *أوباما* يبني شبكة من أسلحة الدفاع المتقدمة قرب الحدود الروسية لحماية أوروپا من الصوارخ النووية الإيرانية بعيدة المدى. وهذه الصواريخ بطبيعة الحال لا وجود لها أصلا، والتي يعرف القادة الإيرانيون أنّ مثل حماقة افتراضية كهذه، ستؤدي إلى حرق بلدهم في الحال وجعله مساحة جرداء.

هذا هو النظام العقائدي، الذي يبسط ظله على هذه البلاد. في عالم الحقيقة، إنّ مساعدة إيران للإرهاب تتمثّل في واقع دعمها لحزب الله. جريمة هذا الحزب الرئيسية، أنّه كان الرادع الوحيد، الذي أوقف الغزو الإسرائيلي المدمّر للبنان. أضف إلى ذلك، إنّ إيران تقدّم الدعم أيضًا لحركة حماس، التي فازت في انتخابات حرّة في قطاع غزّة. وهذه "جريمة" دفعت الولايات المتحدة لفرض مقاطعة قاسية واستعدادها للتحضير لانقلاب عسكري هناك. صحيح أنّ كلتي المنظمتين قد ارتكبتا فعلا بعض الأعمال، التي يمكن تصنيفها بأنّها إرهابية. لكنّ هذه لا يمكن قطعا مقارنتها بجرائم إسرائيل، ولا بجرائم شبكات المنظمات الجهادية.

أمّا بالنسبة لبرامج سلاح إيران النووي، فإنّ المخابرات الأمريكية قد أكّدت ما يمكن لأيّ فرد أن يتوقعه، بإنّ مثل هذا السلاح، حتى وإن وُجدَ، فإنّه سيكون سلاحا ذا طبيعة رادعة، وفق سياسة إيران الستراتيجية. كما توجد حقيقة لا يأتي أحد على ذكرها، بأنّ أيّة مخاوف من أسلحة إيران ذات القدرة على الدمار الشامل WMDs، يمكن أن تنتهي حالا، بموجب قبول اقتراح إيران البسيط بأن تكون منطقة الشرق الأويط منطقة منزوعة لا مكان فيها للأسلحة التدميرية الشاملة. تؤيد غالبية الدول العربية وكافة بلدان العالم هذا التوجّه، لكنّ الولايات المتحدة تغلق الطريق بوجه هذا الحلّ مدفوعة برغبتها في الدفاع عن امتلاك إسرائيل لأسلحة الدمار الشامل وقدرتها المعروفة/غير المعلنة في هذا المجال.

نظرا لأنّ مثل هذا النظام العقائدي يتفكك حين يخضع للتحليل، فيتوجّب علينا أن نجد الأسباب الحقيقية لعداء الولايات المتحدة المستحكم لإيران. تخطر للذهن في الحال عدة اسباب منها،

أنّ الولايات المتحدة ومعها إسرائيل لا تستطيعان تحمّل وجود قوة مستقلة في المنطقة، التي يعتقدان أنّها ملك شائع لهما، ولهما فقط بدون منازع. فإيران النووية بسلاحها الرادع ليست مقبولة، ولذلك فهي دولة مارقة خارجة على القانون الدولي، وتريد أن تعيث في الشرق الأوسط فسادا. ثانيا، لا يمكن الغفران لإيران أو مسامحتها لأنّها اسقطت نظام دكتاتور أعادت الولايات المتحدة تنصيبه على عرشه، عن طريق انقلاب عسكري خططت له ودعمته عام 1953. وهو الإنقلاب، الذي قضى على الحكم البرلماني الإيراني، ومعه على حقّ إيران في وضع يدها على مصادر ثروتها الطبيعية. صحيح أنّ العالم معقد للغاية بحيث يصعب توصيفه بشكل مبسّط، ولكن يبدو لي أنّ هذا هو لبّ القضية.

كما أنّه يجب أن نتذكّر بأنّه خلال الحقب الست الماضية، لن يمرّ يوم دون أن تحاول واشنطن فيه أن تعذّب إيران وتستفزّها. بعد الإنقلاب العسكري عام 1953، الذي أعاد الدكتاتور إلى عرشه، وصفته منظمة العدل الدولية بأنّه أفضع منتهك لحقوق الإنسان. وبعد سقوطه، سارعت الولايات المتحدة لدعم *صدام حسين* في غزو إيران. وهذه مغامرة ما كان لها أن تمرّ بسهولة. قتِل مئات الآلاف من الإيرانيين ضحايا لاستعمال الغازات الكيمياوية، التي وفّرتها إدارة *رَيگِن* وحلفاؤها للصديق *صدّام*، لحدّ أنّ العراق حين هاجم البارجة الأمريكية **ستارك** في مياه الخليج وقتل 37 من بحارتها، اكتفت أمريكا "بضربة خفيفة على اليد". كما أنّ إدارة *رَيگِن* ألقت باللائمة على إيران حين ارتكب *صدام* واحدة من جرائمة الكبرى بضرب الأكراد بالأسلحة الكيمياوية (بحجة أنّهم ساعدوا الإيرانيين في الوصول إلى سدّ دربندخان، الذي يزوّد بغداد والمنطقة الوسطى من العراق بالكهرباء).

لقد تدخّلت الولايات المتحدة تدخلا مباشر في الحرب العراقية الإيرانية، أدّى في النهاية إلى قبول إيران بوقف اطلاق النار صاغرة. قام بعدها جورج *بُش الأب* بدعوة عدد من مهندسي بحوث الذرة العراقيين للمجيء إلى الولايات المتحدة للحصول على تدريبات متقدمة في صنع الأسلحة الذرية، فكان ذلك تهديد غير اعتيادي لإيران، إضافة إلى تداعياته الأخرى.[214] وبطبيعة الحال، كانت الولايات المتحدة ولا تزال المحرّك الفعال من أجل فرض مقاطعة اقتصادية شاملة على إيران حتى يومنا هذا.

إنضمّ *ترامپ* إلى جوقة الدكتاتوريين والمتسلطين، الذين تتعالى اصواتهم لتصفية النظام الإيراني. وكما جرى، قامت انتخابات في إيران خلال زيارته المذهلة للشرق الأوسط. وهو انتخاب، مهما كانت درجة عيوبه، لا يُمكن أن يُقارن بالسياسات، التي تبثّ سموم الأصولية والتطرف في المنطقة. ولكنّ معاداة الولايات المتحدة لإيران تصل إلى أبعد من *ترامپ* نفسه. إنّها تشمل حتى من يُقال بأنّهم "ناضجون" في إدارته، مثل *جَيمس مادِسُن* الملقب بـ"الكلب المسعور،" الذي يترأس وزارة الدفاع، ومعه قائمة أخرى طويلة لمسؤولين في الإدارات الأمريكية المتعاقبة لوقت طويل. (أمده 40 عاما).

ما هي المواضيع الستراتيجية التي تتعلق بمسألة كوريا؟ هل يمكن القيام بأيّ شيء لنزع فتيل الصراع المتنامي هناك؟

لا تزال كوريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، مشكلة جرح متقيّح. حين طمح الكوريون لتوحيد شعبهم في شبه الجزيرة الكورية، حدث تدخّل خارجي من قبل الدول الكبرى، وكانت في طليعتها الولايات المتحدة، التي أخذت على نفسها مسؤولية تحمّل هذا التدخل.

قد يفوز النظام الدكتاتوري في كوريا الشمالية بجائزة القسوة والتعسّف، لكنّه في ذات الوقت يسعى لتطوير اقتصاد البلد، رغم اعباء تكلفة بناء نظام عسكريّ كبير في البلاد. ويشمل هذا بطبيعة الحال ترسانة الأسلحة النووية والصواريخ الحاملة لها بمختلف الحجوم والقياسات، والتي لا شكّ تشكّل تهديدا للمنطقة، وعلى المدى البعيد للبلدان الأخرى خارجها. لكنّ دورهذه الأسلحة حقيقة هو الردع. وهذا مبدأ لا نعتقد أنّ النظام في كوريا الشمالية سيتخلى عنه، ما دامت البلاد واقعة تحت التهديد المستمرّ بالدمار.

يخبروننا اليوم أنّ أكبر تهديد يواجهه العالم، هو كيفية إجبار كوريا الشمالية كي تجمّد برامجها النووية والصاروخية الحاملة لهذا النوع من السلاح. يقترحون فرض المزيد من العقوبات الاقتصادية المتشدّدة واللجوء إلى الحرب الإلكترونية لتخريب تلك البرامج، والتخويف ببناء شبكة دفاع في طبقات الجو العليا لاقتناص الصواريخ وتدميرها قبل الوصول إلى اهدافها THAAD. وهذا ما تعتبره الصين تهديدا خطيرا لمصالحها، وحتى هجوما مباشرا على كوريا الشمالية. وهذا ما سيؤدّي إلى امكانية قيام الأخيرة بقصف مدفعي انتقامي شامل وواسع يدكّ عاصمة الجنوب، سول وغالبية أراضيه دون اللجوء إلى استخدام السلاح النووي.

ولكن هناك رأي آخر، يبدو أنّه قد تمّ تجاهله كاملا. ببساطة، يمكننا قبول عرض كوريا الشمالية استجابة لما نطلبه منها. لقد اقترحت الصين وكوريا الشمالية بأن تجمّد الأخيرة تطوير برامجها النووية والصاروخية، لكن الاقتراح رُفِض ثانية، مثلما رُفِض قبل عامين، لأنّه يتضمّن شروطا مقابلة. إنّه يدعو إلى أن توقف الولايات المتحدة تمارينها العسكرية المهدّدة، بما فيها غارات القاصفات الأمريكية B52s، التي من المفترض أن تكون غارات نووية.[215]

في اعتقادي، أنّ الاقتراح المُشترك للصين وكوريا الشمالية معقول. يتذكّر الكوريون الشماليون جيدا كيف سوّي بلدهم بفعل غارات سلاح الجو الأمريكي، التي دمّرت كافة السدود بعد أن فرغت من تدمير كافة اهدافها الأخرى.[216] توجد تقارير عسكرية أمريكية طافحة بالإبتهاج لروية المناظر المثيرة للفيضانات الطاغية، التي اغرقت حقول زراعة الرزّ ودمّرتها. من المعروف، أنّ محاصيل تلك الحقول، هي التي يعتمد عليها "الآسيويون" للبقاء على قيد الحياة.[217] إنّ هذه التقارير جديرة بالقراءة والإطلاع عليها لأنّها جزء مفيد من الذاكرة التاريخية.

إنّ عرض كوريا الشمالية لتجميد برامجها النووية والصاروخية مقابل إيقاف المناورات الاستفزازية على حدودها الجنوبية، بغية التوجّه إلى مفاوضات قد تقود إلى تخفيض مستويات التهديد باستعمال الأسلحة النووية، لربّما سيضع نهاية لأزمة كوريا الشمالية. وبعكس التعليقات النارية الملتهبة، هناك سبب معقول أنّ مثل هذه المفاوضات ستكلل بالنجاح. ورغم أنّ برامج كوريا الشمالية توصف دائما بأنّها ربّما أخطر تهديد نواجهه، فإنّ الاقتراح المشترك للصين وكوريا الشمالية غير مقبول لدى واشنطن، وتمّ رفضه على لسان المعلقين الأمريكيين، الذين أبدوا إجماعا مثيرا للإعجاب بشأن هذه القضية. وهذا مدخل آخر مخز ومحزن في ذات الوقت لسجل ما يمكن توصيفه بأنّه تفضيل شبه انعكاسي للقوة، حين تتوفر خيارات أخرى وطرق يمكن أن تفضي إلى السلام، ويتمّ للأسف تجاوزها، أو في الحقيقة تضييعها.

قد توقد الانتخابات في كوريا الجنوبية لعام 2017 جذوة الأمل. فالرئيس الجنوبي المُنتخب *مون جَي - إن*، يبدو عازما على المضي عكس سياسات المواجهة الشرسة للرئيسة، التي سبقته.[218] لقد دعا إلى استكشاف خيارات دبلوماسية واقدم على اتخاذ خطوات من أجل التصالح والتسوية مع "الأخوة في الشمال". وهذه بلا شكّ تخلق أجواء أفضل من الغضب والتلويح بقبضات الأيدي تهديدا قد يقود إلى كارثة حقيقية.

لقد عبّرت في الماضي عن مخاوفك حيال الإتحاد الأوروبي. ماذا تعتقد أن يحدث حين تصبح أوروبا أقلّ اعتمادا على الولايات المتحدة والمملكة المتحدة؟

يواجه الإتحاد الأوروبي مشاكل اساسيّة، في طليعتها العملة الموحدة وعدم وجود اتحاد سياسي. والحق يُقال إنّ للإتحاد جوانب إيجابية، فهناك افكار معقولة هدفها الإبقاء على الجيد وتحسين الضّارّ. المبادرة، التي قدّمها *يانِس فاروفاكِس* DiEM25 من أجل أوروبا ديمقراطية، مبادرة واعدة.[219]

حافظت المملكة المتحدة على دورها كتابع للولايات المتحدة، حين يتعلق الأمر بالسياسة الأوروبية. وهو اتجاه قد يتسارع بفعل سياسات *ترامب*، التي تزيد من عزلتنا عن العالم. بالرغم من صراخه العالي والعصا الغليظة، التي يلوّح بها، فإنّ الصين قد تأخذ دورا قياديا فيما يتعلق بسياسات الطاقة العالمية وتوسيع نفوذها في الغرب، وبالتالي في أوروبا اعتمادا على **منظمة شنگهاي للتعاون** و**طريق الحرير الجديد**.

أنْ تصبح أوروبا "قوّة ثالثة" مستقلة، مسألة تثير مخاوف المخططين الأمريكيين منذ الحرب العالمية الثانية. جرت مناقشات مطوّلة حول **المفهوم الديگولي** عن أوروبا الممتدة ما بين المحيط الأطلسي وسلسلة جبال الأورال في روسيا، والتي تفصل بين قارتي أوروبا وآسيا. وكذلك ما عبّر عنه گُربَچوف في نظرته لأوروبا الممتدة ما بين مدينتي بروكسِل وفلادِفُستُك.

ومهما حدث، فإنّ ألمانيا ستحافظ على دورها المسيطر في القضايا الأوروبية. إنّه لأمر مفاجئ نوعمّا أن تسمع المستشارة الألمانية المحافظة *أنگلا مَركِل*، وهي تحاضر أمام ضيفها الأمريكي عن حقوق الإنسان، وتقوم بدوري قيادي، على الأقلّ في الوقت الحاضر، لمواجهة مشكلة اللاجئين، مشكلة أوروبا الأخلاقية العميقة. ومن جهة أخرى، فإنّ إصرار ألمانيا على اتباع سياسات التقشف وإثارة الذعر حول التضخم المالي وسياساته لتشجيع التصدير والحدّ من الاستهلاك المحلي، لا تلعب دورا، ولو بسيطا، في الضائقة الاقتصادية التي تعيشها أوروبا، خاصّة الموقف العصيب لاقتصاد الدول الهامشية. وعلى أيّة حال، فإنّ أفضل قضية غير بعيدة عن التصوّر هي كون ألمانيا قد تؤثّر لجعل أوروبا قوة ايجابية في مواجهة قضايا العالم.

ما رأيك في الصراع القائم بين إدارة *ترامپ* ومنظومات الأمن والمخابرات في الولايات المتحدة؟ هل تعتقد بوجود "الدولة العميقة"؟

توجد داخل أجهزة الأمن الوطنية الأمريكية بيروقراطية أمسكت بها منذ الحرب العالمية الثانية. كما أنّ العاملين في شؤون تحليل المعلومات الأمنية الوطنية، أثناء عملهم وحتى بعد تقاعدهم، قد عبّروا عن امتعاضهم من شطحات *ترامپ* الغريبة. يشترك معهم في مثل هذا الإمتعاض الخبراء المعنيّون والموثوق بهم من المشرفين على ساعة يوم الفناء، الذين دفعوا بعقاربها فترة دقيقتين ونصف قبل أن تدّقّ ساعة منتصف الليل، حين استلم *ترامپ* مقاليد الحكم. وهذا أقرب إنذار لساعة الخطر الكارثي منذ عام 1953، حين فجّرت كلٌّ من الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي القنبلة النووية الحرارية.[220] لكنّني أرى إشارة قليلة بأنّ الأمر سيصل إلى ذلك الحدّ، وأنّه لا يوجد سرّ حول مؤامرة "الدولة العميقة".

في الختام وأنت تقترب من عيد ميلادك التاسع والثمانين، يدور في ذهني سؤال هو إنْ كانت لديك نظرية حول مسألة طول العمر؟

نعم، وهي نظرية بسيطة للغاية حقا. إذا كنت تركب دراجة هوائية ولا تريد السقوط على الأرض، فيجب عليك المضيّ إلى الأمام، وبسرعة.

مشروع الإمبراطورية الأمريكية

في فترة زمنية لا مثيل لها من ناحية القوة العسكرية وقيادة الولايات المتحدة والقوة المفرطة على المستوى العالمي، زاد الاعتناق والتشبّث بالطموحات الإمبراطورية. كيف أصبح مثل هذا التحوّل الهام في الأهداف والسياسة حقيقة؟ وماذا سيكون في الانتظار عند نهاية الطريق؟

إنّ مشروع الإمبراطورية الأمريكية هو ردّ فعل للتغيّرات، التي حدثت في ميدان التفكير الستراتيجي الأمريكي، إضافة إلى الموقفين العسكري والاقتصادي في البلاد. اعتُبِرت فكرة الإمبراطورية، ولوقت طويل، هجوما على التراث الديمقراطي الأمريكي. وهي تهدّد الآن بأن تكون هي ما يحدّد العلاقة ما بين بلدنا وبلدان العالم الأخرى. قام ناشرو الكتب المتعلقة بمشروع الإمبراطورية الأمريكية، بإثارة الأسئلة حول هذا التطور وتفحّصوا أصول هذه الطموحات الأمريكية وحللوا على ما سيترتب على ذلك في داخل البلاد وخارجها، وناقشوا البدائل لهذه الميول الخطيرة.

كان *توم إيگلهارت* و*ستيف فرّيزر*، هما المحررين المشرفين على هذا المشروع, وكما هو معروف، فإنّهما كاتبان ومتخصصان في القضايا التاريخية. قامت دار متروپوليتَن للكتب بنشر عدد من المؤلفات شملت:

Hegemony or Survival and Failed States by Noam Chomsky نعوم تشومسكي، The Limits of Power and Washington Rules by Andrew J. Bacevich أندرو جَي باسَفِچ، Blood and Oil by Michael T. Klare مايكل تي كلَير، Kill Anything That Moves by Nick Turse نِك تورس، A People’s History of American Empire by Howard Zinn هَوَرد زِنّ Empire’s Workshop by Greg Grandin گرَگ گراندِن and No Good Men Among the Living by Anand Gopal أناند گوپال.

لمزيد من المعلومات حول مشروع الإمبراطورية الأمريكية، وقائمة الكتب التي ستصدر فيما بعد، يُرجى زيارة الموقع التالي:

americanempireproject.com.

(**ملاحظة**: الكتب المذكورة أعلاه ليست مترجمة للغة العربية، ولذلك تُرِكت عناوينها بلغتها الأصلية).

Notes

[1←]

James Risen and Nick Wingfield, "Silicon Valley and Spy Agency Bound by Strengthening Web," New York Times, 20 June 2013, A1.

[2←]

Alfred W. McCoy, Policing America's Empire: The United States, the Philippines, and the Rise of the Surveillance State (Madison: University of Wisconsin Press, 2009).

[3←]

Glenn Greenwald and Ewen MacAskill, "NSA Prism Program Taps In to User Data of Apple, Google and Others," Guardian, 7 June 2013. Available online at:

https://www.theguardian.com/world/2
.jun/06/us-tech-giants-nsa-data/013

[4←]

Bruce Schneier, "Online Nationalism," MIT Technology Review 116:3 (May-June 2013): 12.

[5←]

Noam Chomsky et al., Trials of the Resistance (New York: New York Review, 1970).

[6←]

Charlie Savage, "Drone Strikes Turn Allies into Enemies, Yemeni Says," New York Times, 23 April 2013. The testimony of Farea al-Muslimi is available online at: "Yemeni Man Brings the Horror of Drone Strikes Home to the US Senate," Independent (London), 24 April 2013.

[7←]

Adam Liptak, "Justices Uphold a Ban on Aiding Terror Groups," New York Times, 22 June 2010, A1. The published opinion for Attorney General NOTES 020-70361_ch01_5P.indd 195 10/5/17 11:14 AM notes - 196 - Holder v. Humanitarian Law Project is available online at:

https://www.supremecourt.gov/opinio
.ns/09pdf/08-1498.pdf

[8←]

Caitlin Dewey, "Why Nelson Mandela Was on a Terrorism Watch List in 2008," Washington Post, 7 December 2013. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
the-fix/wp/2013/12/07/why-nelson-m/
andela-was-on-a-terrorism-watch-lis
./t-in-2008

[9←]

http://www.gallup.com/poll/1714/taxSee Gallup poll data available at:
.es.aspx

[10←]

Newsweek poll/Princeton Survey Research Associates International, "Obama/Muslims: Final Topline Results," 27 August 2010. Available online at:

http://nw-assets.s3.amazonaws.com/p
.df/1004-ftop.pdf

[11←]

Ezra Klein, "Rand Paul: Obama Is Working with 'Anti-American Globalists Plot[ting] Against Our Constitution,'" Washington Post, 11 May 2013. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
obama-isworking-with-anti-american-globalists-wonk/wp/2013/05/11/rand-paul/
plotting-against-our-constitution/.

[12←]

William Jay, The Life of John Jay (New York: J. & J. Harper, 1833), vol. 1, ch. 3.

[13←]

James Madison, quoted in Notes of the Secret Debates of the Federal Convention of 1787, Taken by the Late Hon Robert Yates, Chief Justice of the State of New York, and One of the Delegates from That State to the Said Convention, 26 June 1787. Available online at:

http://avalon.law.yale.edu/18th_cen
.tury/yates.asp

[14←]

Noam Chomsky, "Cambodia," special supplement, New York Review of Books 14, no. 11 (June 4, 1970): 39-50.

[15←]

Robert Fisk, "Iran to Send 4,000 Troops to Aid President Assad Forces in Syria," Independent (London), 16 June 2013.

[16←]

Barak Ravid and Reuters, "WikiLeaks: Israel Weapons Manufacturer Listed as Site Vital to U.S. Interests," Haaretz, 6 December 2010. Available online at:

/http://www.haaretz.com/israel-news
wikileaks-israel-weapons-manufactur
er-listed-as-site-vital-to-u-s-inte
.rests-1.329222

[17←]

ed. (Chicago:rdFor analysis, see Noam Chomsky, The Culture of Terrorism, 3
Haymarket Books, 2015).

[18←]

Elise Ackerman, "Israeli Software Maker Varonis Systems Files for IPO," Forbes, 23 October 2013. 020-70361_ch01_5P.indd 196 10/5/17 11:14 AM notes - 197-

[19←]

Emily Greenhouse, "The Armenian Past of Taksim Square," New Yorker, 28 June 2013. Available online at:

http://www.newyorker.com/culture/cu
lture-desk/the-armenian-past-of-tak
.sim-square

[20←]

Vincent Boland, "Journalist Killed by Gunman in Istanbul," Financial Times, 19 January 2007. Available online at:

https://www.ft.com/content/6b6f26ea
.a7d0-11db-b448-0000779e2340-

[21←]

Sebnem Arsu and Ceylan Yeginsu, "Turkish Leader Offers Referendum on Park at Center of Protests," New York Times, 12 June 2013. Available online at:

http://www.nytimes.com/2013/06/13/w
-orld/europe/taksim-square-protests
.istanbul-turkey.html

[22←]

Amnesty International, "Turkey Accused of Gross Human Rights Violations in Gezi Park Protests," 2 October 2013. Available online at:

https://www.amnesty.org/en/latest/n
ews/2013/10/turkey-accused-gross-hu
man-rights-violations-gezi-park-pro
./tests

[23←]

Committee to Protect Journalists, "Turkey's Crackdown Propels Number of Journalists in Jail Worldwide to Record High," 13 December 2013. Available online at:

https://www.cpj.org/reports/2016/12
journalists-jailed-record-high-tur/
.key-crackdown.php

[24←]

David Hume, "Of National Character," I.XXI.14. Available online at:

http://www.econlib.org/library/LFBo
.oks/Hume/hmMPL21.html

[25←]

John Bellamy Foster and Robert W. McChesney, The Endless Crisis: How Monopoly Finance-Capital Produces Stagnation and Upheaval from the U.S.A. to China (New York: Monthly Review Press, 2012).

[26←]

See Manufacturing Consent, directed by Mark Achbar and Peter Wintonick (Zeitgeist Films, 1993), and the accompanying book of the same title, published by Black Rose Books in Montreal in 1994.

[27←]

See Rudolf Rocker, Anarcho-Syndicalism: Theory and Practice (1938; repr., Oakland: AK Press, 2004), with a preface by Noam Chomsky.

[28←]

Ibid., 74.

[29←]

Noam Chomsky, "Notes on Anarchism," in The Essential Chomsky, ed. Anthony Arnove (New York: New Press, 2008), 104.

[30←]

Chomsky, "Language and Freedom," in The Essential Chomsky, 89.

[31←]

Steve Horn, "ALEC Model Bill Behind Push to Require Climate Denial Instruction in Schools," Desmog Blog, 26 January 2012. Available online at:

https://www.desmogblog.com/alec-mod
el-bill-behind-push-require-climate
.denial-instruction-schools-

[32←]

Lisa Graves, "ALEC Exposed: The Koch Connection," Nation, 12 July 2011. Available online at

https://www.thenation.com/article/a
. 020-70361_ch01_5P.indd 197 10/5/17 11:14 AM/lec-exposed-koch-connection
notes - 198 -

[33←]

See Adam Davidson, "How AIG Fell Apart," Reuters, 18 September 2008. Available online at:

http://www.reuters.com/article/us-h
ow-aig-fell-apart-idUSMAR8597272008
.0918

[34←]

Ellen Cantarow, "No Pipe Dream: Is Fracking About to Arrive on Your Doorstep?" TomDispatch.com, 30 January 2014. Available online at:

http://www.tomdispatch.com/blog/175
_frontlines_of_fracking.tomgram%3A_ellen_cantarow,_the/800

[35←]

IPCC, Climate Change, Fifth Assessment Report, p. 15. Percentage figures of certainty are given on p. 4, footnote 2. See a comparison to the 2007 report by Dana Nuccitelli, "Global Warming: Why Is IPCC Report So Certain About the Influence of Humans?" Guardian, 27 September 2013. Available online at:

https://www.theguardian.com/environ
-97-per-cent/2013/sep/27/global-warming-ipcc-report-ment/climate-consensus
humans.

[36←]

Glenn Scherer, "Climate Science Predictions Prove Too Conservative," Scientific American, 6 December 2012. Available online at:

http://www.scientificamerican.com/a
-rticle/climate-science-predictions
./prove-too-conservative

[37←]

Andres Schipani, "Ecuador Admits Defeat in Plan to Keep Oil in the Ground for a Fee," Financial Times, 16 August 2013. Available online at:

https://www.ft.com/content/99e438ae
.0691-11e3-ba04-00144feab7de-

[38←]

Amos 7:14.

[39←]

Telegram from the Department of State to the Embassy in South Africa, 25 October 1961, Department of State, Central Files, 611.70X/10-2461; Memorandum of Conversation Between South African Representatives and the Security Council, 17 July 1963, Department of State, Central Files, POL 1 S AFR. See entire declassified record from this period, available online at the U.S. Department of State Archive,

https://2001-2009.state.gov/r/pa/ho
.frus/kennedyjf/50766.htm/

[40←]

"Hill Overrides Veto of South Africa Sanctions," 1986, CQ Almanac,

https://library.cqpress.com/cqalman
-1149011.ac/document.php?id=cqal86

[41←]

Caitlin Dewey, "Why Nelson Mandela Was on the Terrorism Watch List in 2008," Washington Post, 7 December 2013.

[42←]

Richard Boudreaux, "Mandela Lauds Castro as Visit to Cuba Ends," Los Angeles Times, 28 July 1991. Available online:

http://articles.latimes.com/1991-07
news/mn-519_1_leader-nelson-man/28-
.dela

[43←]

William M. LeoGrande and Peter Kornbluh, Back Channel to Cuba: The Hidden History of Negotiations Between Washington and Havana (University of North Carolina Press: 2015), 145-48. 020-70361_ch01_5P.indd 198 10/5/17 11:14 AM notes - 199 -

[44←]

Noam Chomsky, Fateful Triangle: The United States, Israel, and the Palestinians, rev. ed. (Chicago: Haymarket Books, 2014), 74-75.

[45←]

Isabel Kershner, "Netanyahu Criticizes Kerry over Boycott Remarks," New York Times, 2 February 2014.

[46←]

Barak Ravid, "Denmark's Largest Bank Blacklists Israel's Hapoalim over Settlement Construction," Haaretz, 1 February 2014. Available online at:

/http://www.haaretz.com/israel-news
.1.571849

[47←]

Harriet Sherwood, "EU Takes Tougher Stance on Israeli Settlements," Guardian, 16 July 2013. Available online at:

https://www.theguardian.com/world/2
jul/16/eu-israel-settlement-exc/013
.lusion-clause

[48←]

For more on the academic, cultural, and athletic boycott movement, see Dennis Brutus, Poetry and Protest: A Dennis Brutus Reader, edited by Aisha Karim and Lee Sustar (Chicago: Haymarket Books, 2006).

[49←]

United Nations Security Council Resolution 418, 4 November 1977. Available online at:

http://www.un.org/en/sc/documents/r
.esolutions/1977.shtml

[50←]

American Studies Association, Council Resolution on Boycott of Israeli Institutions, 4 December 2013. Available online at:

http://www.theasa.net/american_stud
ies_association_resolution_on_acade
_israel.mic_boycott_of

[51←]

Howard Zinn, You Can't Be Neutral on a Moving Train: A Personal History of Our Times (1994; repr., Boston: Beacon Press, 2002), 208.

[52←]

Pamela K. Starr, "Mexico's Problematic Reforms," Current History 113, no. 760 (February 2014): 51-56.

[53←]

Ezgi Basaran interview with Graham Fuller, "Former CIA Officer Says US Helped Create IS," Al-Monitor, 2 September 2014. Available online at:

http://www.al-monitor.com/pulse/pol
itics/2014/09/turkey-usa-iraq-syria
.isis-fuller.html-

[54←]

On the sanctions as "genocide," see Denis Halliday interview with David Edwards, Media Lens, May 2000,

/http://www.medialens.org/index.php
alerts/interviews/77-an-interview-w
. On Hans von Sponeck's resignation, see Ewen MacAskill,ith-denis-halliday.html
"Second Official Quits UN Iraq Team," Guardian, 15 February 2000,

https://www.theguardian.com/world/2
.feb/16/iraq.unitednations/000

[55←]

Noam Chomsky and Edward S. Herman, Manufacturing Consent: The Political Economy of Mass Media (1988; repr., New York: Pantheon, 2002), 37. 020-70361_ch01_5P.indd 199 10/5/17 11:14 AM notes - 200 -

[56←]

This quote was a response to the House Intelligence Committee asking how Kissinger could justify the betrayal of the Kurds; see Daniel Schorr, "Telling It Like It Is: Kissinger and the Kurds," Christian Science Monitor, 18 October 1996.

[57←]

Joost R. Hiltermann and International Herald Tribune, "Halabja: America Didn't Seem to Mind Poison Gas," New York Times, 17 January 2003. Available online at:

http://www.nytimes.com/2003/01/17/o
pinion/halabja-america-didnt-seem-t
.o-mind-poison-gas.html?mcubz=1

[58←]

Douglas Frantz and Murray Waas, "U.S. Loans Indirectly Financed Iraq Military," Los Angeles Times, 25 February 1992. Available online at:

http://articles.latimes.com/1992-02
.news/mn-2628_1_foreign-policy/3/25-

[59←]

Noam Chomsky, Deterring Democracy (London: Verso, 1991), ch. 6.

[60←]

Micah Zenko, Between Threats and War: U.S. Discrete Military Operations in the Post-Cold War World (Palo Alto: Stanford University Press, 2010), ch. 3.

[61←]

Jake Hess, interview on Democracy Now!, 23 August 2010, transcript available online https://www.democracynow.org/2010/8at:
_journalist_deported_from_turkey.exclusive_us/23/

[62←]

Tamar Gabelnick, William D. Hartung, and Jennifer Washburn, "Arming Repression: U.S. Arms Sales to Turkey During the Clinton Administration," Joint Report of the World Policy Institute and the Federation of American Scientists, October 1999. Available online at:

https://fas.org/asmp/library/report
.s/turkeyrep.htm#arms

[63←]

See table I ibid.

[64←]

"Unperson" is a Newspeak term from George Orwell's 1984 (original ed.: London: Harvill Secker, 1949).

[65←]

For example, see Mohammed Omer, "Gaza's Shejaiya Carnage at Shifa Morgue," Middle East Eye, 20 July 2014. Available online at:

http://www.middleeasteye.net/news/g
azas-shejaiya-carnage-fills-shifa-m
-1250285665.orgue

[66←]

Keith Wallis, "Kurdish Oil Cargo Unloaded at Sea, Destination a Mystery," Reuters, 21 July 2014. Available online at:

http://www.reuters.com/article/us-i
raq-oil-kurdistan-asia-idUSKBN0G019
./720140731

[67←]

Sharon Behn, "Unpaid Kurdish Fighters Sign of Economic Woes," Voice of American News, 3 September 2014. Available online at:

http://www.voanews.com/a/hard-press
ed-kurdistan-cannot-pay-security-fo
.rces/2944122.html

[68←]

Nicholas Kristof, "Iran's Proposal for a 'Grand Bargain,'" New York Times, 28 April 2007. Available online at:

https://kristof.blogs.nytimes.com/2
irans-proposal-for-a-gran/007/04/28
. 020-70361_ch01_5P.indd 200 10/5/17 11:14 AM notes - 201 -/d-bargain

[69←]

Prashad interviewed by Jessica Desvarieux for the Real News Network, 25 September 2014. Transcript available online at:

/http://www.truth-out.org/news/item
turkish-syrian-border-a-great-26430
.hole-in-obama-s-un-speech-

[70←]

David Ignatius, "A War of Choice, and One Who Chose It," Washington Post, 2 November 2003, B1.

[71←]

Catherine Collins, "U.S., Turkey Can't Get over Iraq Question," Chicago Tribune, 26 May 2003.

[72←]

Steven Erlanger and Rachel Donadio, "Greek Premier Pledges Vote in December on Debt Deal," New York Times, 2 November 2011. Available online at:

http://www.nytimes.com/2011/11/03/w
orld/europe/greek-cabinet-backs-cal
l-for-referendum-on-debt-crisis.htm
.l

[73←]

Chris Mooney, "The Arctic Climate Threat That Nobody's Even Talking About Yet," Washington Post, 1 April 2015. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
energy-environment/wp/2015/04/01/t/
he-arctic-climate-threat-that-nobod
_term=.6577644e7a68.ys-even-talking-about-yet/?utm

[74←]

Carl Zimmer, "Ocean Life Faces Mass Extinction, Broad Study Says," New York Times, 15 January 2015. Alex Morales, "2014 Was World's Hottest Year Since Record Keeping Began in 1880, UN Says," Bloomberg News, 2 February 2015. See also Justin Gillis, "2014 Breaks Heat Record, Challenging Global Warming Skeptics," New York Times; available online at:

http://www.nytimes.com/2015/01/17/s
-cience/earth/2014-was-hottest-year
.on-record-surpassing-2010.html

[75←]

Annual Global CEO Survey 2015: A Marketplace[th]PricewaterhouseCoopers, 18 Without Boundaries? Responding to Disruption, released 13 January 2015. Available online at:

https://www.pwc.com/gx/en/ceo-surve
y/2015/assets/pwc-18th-annual-globa
.l-ceo-survey-jan-2015.pdf

[76←]

Quotation from Davi Kopenawa's autobiography The Falling Sky and a series of interviews, excerpted by John Vidal, "'People in the West Live Squeezed Together, Frenzied as Wasps in the Nest': An Indigenous Yanomami Leader and Shaman from Brazil Shares His Views on Wealth, the Environment and Politics," Guardian, 30 December 2014.

[77←]

John Vidal, "Bolivia Enshrines Natural World's Rights with Equal Status for Mother Earth," Guardian, 10 April 2011. Available online at:

https://020-70361_ch01_5P.indd 201 10/5/17 11:14 AM notes - 202 -
www.theguardian.com/environment/201
-apr/10/bolivia-enshrines-natural/1
.worlds-rights

[78←]

Noam Chomsky, Power Systems: Conversations on Global Democratic Uprisings and the New Challenges to U.S. Empire (New York: Metropolitan Books, 2013), 161.

[79←]

Arthur Schlesinger, Robert Kennedy and His Times, vol. 1 (1978; repr., New York: Mariner/Houghton Mifflin, 2002), 480.

[80←]

Keith Bolender, Voices from the Other Side: An Oral History of Terrorism Against Cuba (London: Pluto, 2010).

[81←]

Noam Chomsky, At War with Asia (Oakland: AK Press, 2004).

[82←]

ed.[nd]Fred Branfman, ed., Voices from the Plain of Jars: Life Under an Air War, 2 (Madison: University of Wisconsin Press, 2013). Introduction available online at:

https://zinnedproject.org/materials
./voices-from-the-plain-of-jars/

[83←]

Fred Branfman, "When Chomsky Wept," Salon.com, 17 June 2012,

http://www.salon.com/2012/06/17/whe
./n_chomsky_wept

[84←]

Alfred W. McCoy, "Foreword: Reflections on History's Largest Air War," in Branfman, Voices from the Plain of Jars, xiii.

[85←]

The "battle lab" terminology was used by major generals in Guantánamo and revealed by the commander of the army’s Criminal Investigative Task Force; see Mark P. Denbeaux, Jonathan Hafetz, Joshua Denbeaux, et al., "Guantanamo: America’s Battle Lab," Center for Policy and Research, Seton Hall University School of Law, January 2015. Report available online at:

https://law.shu.edu/policy-research
-upload/guantanamo-americas-battle/
.lab-january-2015.pdf

[86←]

Senate Select Committee on Intelligence, Committee Study of the Central Intelligence Agency’s Detention Interrogation Program, released on 3 April 2014. Available online at:

/http://www.nytimes.com/interactive
world/cia-torture-report/2014/12/09
.document.html-

[87←]

Floyd Abrams, letter to the editor, New York Times, 8 January 2015.

[88←]

See Noam Chomsky, Who Rules the World? (New York: Metropolitan Books, 2016), 209.

[89←]

Richard A. Oppel Jr., "Early Target of Offensive Is a Hospital," New York Times, 8 November 2004. The photograph that appeared in the print edition was by Shawn Baldwin for the New York Times.

[90←]

See Zach Campbell, "Spain Is Sending This Basque Activist to Jail for Writing an Op-Ed," New Republic, 11 November 2014. Available online at:

https://newrepublic.com/article/120
-spanish-journalist-julen-orbea/216
. See also Noam Chomsky, Necessary Illusions,awaits-prison-sentence-eta-article

[91←]

Kevin Sullivan, "Flogging Case in Saudi Arabia Is Just One Sign of a New Crackdown on Rights Activists," Washington Post, 21 January 2015. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/worl
d/middle_east/a-flogging-in-saudi-a
rabia-is-just-one-sign-of-a-new-cra
/ckdown-on-rights-activists/2015/01
e9c50f86-9da0-11e4-86a3-1b56f649/20
?utm_term=.d7bf18f53448.25f6_story.html

[92←]

Andrew Higgins and Dan Bilefsky, "French Police Storm Hostage Sites, Killing Gunmen," New York Times, 9 January 2015, A1. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2015/01/10
world/europe/charlie-hebdo-paris-sh
.ooting.html

[93←]

Andrew Shaver, "You're More Likely to Be Fatally Crushed by Furniture Than Killed by a Terrorist," Washington Post, 23 November 2015. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
monkey-cage/wp/2015/11/23/youre-mo/
-re-likely-to-be-fatally-crushed-by
furniture-than-killed-by-a-terroris
.t/?utm_term=.51dc230bba8a

[94←]

Steven Simon, "What Was Behind Israel's Strike in Syria That Killed an Iranian General?" Reuters, 23 January 2015. Available online at:

http://blogs.reuters.com/great-deba
te/2015/01/23/what-was-behind-israe
./ls-strike-in-syria

[95←]

Robert Fisk, "Charlie Hebdo: Paris Attack Brothers' Campaign of Terror Can Be Traced Back to Algeria in 1954," Independent (London), 9 January 2015.

[96←]

Senator Tom Cotton, interviewed by Bob Schieffer, Face the Nation, CBS News, 15 March 2015. Transcript available online at:

http://www.cbsnews.com/news/face-th
-e-nation-transcripts-march-15-2015
./kerry-cotton-manchin

[97←]

Hunter Schwarz, "Who Is Tom Cotton?" Washington Post, 4 November 2014. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
post-politics/wp/2014/11/04/who-is/
./tom-cotton-

[98←]

Mairav Zonszein, "Binyamin Netanyahu: 'Arab Voters Are Heading to the Polling Stations in Droves,'" Guardian, 17 March 2015. Available online at:

https://www.theguardian.com/world/2
mar/17/binyamin-netanyahu-israe/015
.l-arab-election

[99←]

Amira Hass, interviewed by Amy Goodman, "After Netanyahu Wins Israel Vote with Racism & Vow of Permanent Occupation, How Will World Respond?" Democracy Now! 18 March 2015. Available online at:

https://www.democracynow.org/2015/3
after_netanyahu_wins_israel_vot/18/
. 020-70361_ch01_5P.indd 203 10/5/17 11:14 AM notes - 204 -e_with

[100←]

John Dewey, "The Breakdown of the Old Order," New Republic, 25 March 1931: 150-52.

[101←]

Tim Worstall, "It's Not the IMF Demanding Greek Austerity—Quite the Contrary, the Demands Are Not Credible," Forbes, 13 December 2016. Available online at:

https://www.forbes.com/sites/timwor
stall/2016/12/13/its-not-the-imf-de
manding-greek-austerity-quite-the-c
ontrary-the-demands-are-not-credibl
.e/#480470ef56a8

[102←]

John Cassidy, "Greece’s Debt Burden: The Truth Finally Emerges," New Yorker, 3 July 2015. Available online at:

-http://www.newyorker.com/news/john
cassidy/greeces-debt-burden-the-tru
.th-finally-emerges

[103←]

Tim Worstall, "It’s Not the IMF Demanding Greek Austerity—Quite the Contrary, the Demands Are Not Credible," Forbes, 13 December 2016. Available online at:

https://www.forbes.com/sites/timwor
stall/2016/12/13/its-not-the-imf-de
manding-greek-austerity-quite-the-c
ontrary-the-demands-are-not-credibl
.e/#480470ef56a8

[104←]

John Cassidy, "Greece’s Debt Burden: The Truth Finally Emerges," New Yorker, 3 July 2015. Available online at:

-http://www.newyorker.com/news/john
cassidy/greeces-debt-burden-the-tru
.th-finally-emerges

[105←]

Eric Toussaint, "The Cancellation of German Debt in 1953 Versus the Attitude to the Third World and Greece," 18 August 2014. Available online at:

=http://www.cadtm.org/spip.php?page
.imprimer&id_article=10546

[106←]

David Montgomery, The Fall of the House of Labor: The Workplace, the State, and American Capitalism (Cambridge: Cambridge University Press, 1987).

[107←]

George Orwell, "Why I Write," Gangrel (Summer 1946).

[108←]

Noam Chomsky, What Kind of Creatures Are We? (New York: Columbia University Press, 2016).

[109←]

"Autonomous Weapons: An Open Letter from AI and Robotics Researchers," announced July 28, 2015, at the International Joint Conference on Artificial Intelligence. Available online at the Future of Life Institute site:

http://futureoflife.org/open-letter
./autonomous-weapons-

[110←]

Kenneth Roth, "The Refugee Crisis That Isn't," Huffington Post/WorldPost, 3 September 2015,

http://www.huffingtonpost.com/kenne
th-roth/the-refugee-crisis-that-isn
.t_b_8079798.html

[111←]

See, for example, ongoing research on Iraqi refugees done by the Costs of War project at the Watson Institute of International and Public Affairs at Brown University,

/http://watson.brown.edu/costsofwar
.costs/human/refugees/iraqi

[112←]

Jamey Keaten, "UN Humanitarian Aid Agency: Record $22.2B Needed in 2017," Associated Press, 5 December 2016. Available online at:

204 10/5/17 11:14 AM notes - 205-http://020-70361_ch01_5P.indd
bigstory.ap.org/article/b595079f0f254ad5b8264d591d934330/un-humanitarian-aid-agency-222b-funds-needed-2017.

[113←]

Joseph Nevins, "How US Policy in Honduras Set the Stage for Today's Mass Migration," Conversation, 1 November 2016. Available online at:

http://theconversation.com/how-us-p
olicy-in-honduras-set-the-stage-for
.todays-mass-migration-65935-

[114←]

Nick Turse, Tomorrow's Battlefield: US Proxy Wars and Secret Ops in Africa (Chicago: Haymarket Books, 2015).

[115←]

Quoted in a December 30, 2009, cable from Clinton when she was the U.S. secretary of state, released by WikiLeaks in December 2010.

[116←]

Claude Moniquet and the European Strategic Intelligence and Security Center (Belgium), "The Involvement of Salafism/Wahhabism in the Support and Supply of Arms to Rebel Groups Around the World," commissioned by the European Parliament's Commission on Foreign Affairs, June 2013. The study is available online at:

http://www.europarl.europa.eu/RegDa
ta/etudes/etudes/join/2013/457137/E
457137_EN.pdf.(XPO-AFET_ET(2013

[117←]

Mark Curtis, Secret Affairs: Britain's Collusion with Radical Islam (London: Serpent's Tail, 2010).

[118←]

"US Household Income," Department of Numbers. Available online at:

http://www.deptofnumbers.com/income
./us/

[119←]

"Iran, France Sign Agricultural Cooperation Agreement," Tehran Times, 22 September 2015. Available online at:

http://www.tehrantimes.com/news/249
Iran-France-sign-agricultural-c/566
.ooperation-agreement

[120←]

Jennifer Agiesta, "CNN/ORC Poll: Majority Want Congress to Reject Iran Deal," CNN.com, 28 July 2015. This poll found that 44 percent of Americans approved of the deal and 52 percent said Congress should reject it.

[121←]

Joan McCarter, "Scott Walker Says Maybe He'll Have to Bomb Iran First Day of His Presidency," Daily Kos, 20 July 2015. Available online at:

/http://www.dailykos.com/story/2015
Scott-Walker-says-may-/7/20/1403921
be-he-ll-have-to-bomb-Iran-first-da
.y-of-his-nbsp-presidency

[122←]

Noam Chomsky, "The Election, Economy, War, and Peace," ZNet, November 25, 2008. Available online at:

./https://chomsky.info/20081125

[123←]

UN News Centre, "United States Vetoes Security Council Resolution on Israeli Settlements," 18 February 2011. Available online at:

http://www.un.org/apps/news/story.a
.sp?NewsID=37572#.WOLwUBhh1E4

[124←]

See Chomsky, Who Rules the World?, 140-41, 221. 020-70361_ch01_5P.indd 205 10/5/17 11:14 AM notes - 206 -

[125←]

Pope Francis, Laudato Si': On Care for Our Common Home, encyclical letter, 24 May 2015. Available online from the Vatican:

http://w2.vatican.va/content/dam/fr
ancesco/pdf/encyclicals/documents/p

_20150524_enciclica-laudato-si_en.pdf.apa-francesco

[126←]

Suzanne Goldberg, "Exxon Knew of Climate Change in 1981, but It Funded Deniers for 27 More Years," Guardian, 8 July 2015.

[127←]

Bill McKibben, Naomi Klein, and Annie Leonard, "Shell's Arctic Drilling Is the Real Threat to the World, Not Kayaktivists," Guardian, 9 June 2015. Available online at:

https://www.theguardian.com/environ
ment/2015/jun/09/shell-oil-greed-un
-deterred-by-science-climate-change
bill-mckibben-naomi-klein-annie-leo
.nard

[128←]

Christian is quoted in Chris Isidore and Evan Perez, "GM CEO: 'People Died in Our Cars,'" CNN Money, 17 September 2015.

[129←]

For a comprehensive overview of lawsuits against Johnson & Johnson, including pending suits about improperly labeled drugs like Levaquin, see:

http://www.johnsonandtoxin.com/laws
.uits.shtml

[130←]

Noam Chomsky, "The Responsibility of Intellectuals," New York Review of Books, 13 February 1967. Available online at:

http://www.nybooks.com/articles/196
a-special-supplement-the-re/7/02/23
./sponsibility-of-intelle

[131←]

Noam Chomsky, interviewed by Steven Shalom and Michael Albert, ZNet, 30 March 2011.

[132←]

وودرو وُلسُن (1856-1924) هو الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة. شغل منصب الرئآسة بين السنوات (1913-1921). وعليه هو من قاد البلاد خلال الحرب العالمية الأولى بين الأعوام (1914-1918) كان داعية للديمقراطية وللسلام العالمي. يصنّفه المؤرخون باعتباره واحدا من اعظم رؤساء البلاد.

[133←]

Noam Chomsky, interviewed by C. J. Polychroniou, Truthout, 3 December 2015.

[134←]

Andrew Cockburn, Kill Chain: The Rise of the High-Tech Assassins (New York: Henry Holt, 2015).

[135←]

Dan Bilefsky and Mark Landler, "As U.N. Backs Military Action in Libya, U.S. Role Is Unclear," New York Times, 17 March 2011. Available online at:

http://www.nytimes.com/2011/03/18/w
.orld/africa/18nations.html

[136←]

Ian Black, "Bashar al-Assad Implicated in Syria War Crimes, Says UN," Guardian, 2 December 2013.

[137←]

Brian Delay, "Indian Polities, Empire, and the History of American Foreign Relations," Diplomatic History 39, no. 5 (November 2015): 927-42.

[138←]

Richard W. Van Alstyne, The Rising American Empire (New York: Norton, 1960). 020-70361_ch01_5P.indd 206 10/5/17 11:14 AM notes - 207 -

[139←]

The United Nations Human Development Index is available online at:

.http://hdr.undp.org/en/data

[140←]

Keith Bradsher, "China's Renminbi Is Approved by I.M.F. as a Main World Currency," New York Times, 30 November 2015. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2015/12/01
business/international/china-renmin

.bi-reserve-currency.html

[141←]

Motoko Rich, "Japan Vote Strengthens Shinzo Abe’s Goal to Change Constitution," New York Times, 10 July 2016. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2016/07/11
world/asia/japan-vote-parliamentary
.elections.html-

[142←]

تتوزع القوات الأمريكية في اليابان USFJ، بما فيها من الجنود والأسلحة في 7 قواعد. وهي قاعدة ميساوا في شمال اليابان، وقاعدتي يوكوتا وآتسوجي قرب طوكيو والقاعدة الجوية في إيواكوني في جنوب اليابان والقاعدتين البحريتين في ساسيبو ويوكوسوكا في أوكيناوا. هذا اضافة إلى بعض المنشئات العسكرية الأخرى في الجزيرة ذاتها.) المترجم

[143←]

"Protests Erupt as Work Resumes on Futenma Air Base Replacement in Okinawa," Japan Times, 6 February 2017. Available online at:

http://www.japantimes.co.jp/news/20
national/protests-erupt-wo/17/02/06
rk-resumes-futenma-air-base-replace
.ment-okinawa/#.WUbvXcaZNE4

[144←]

John Mitchell, "‘Seconds Away from Midnight’: U.S. Nuclear Missile Pioneers on Okinawa Break Fifty Year Silence on a Hidden Nuclear Crisis of 1962," The Asia-Pacific Journal, vol. 10, issue 29, no. 1, July 16, 2012. Available online at:

http://japanfocus.org/-Jon-Mitchell
.3798/

[145←]

Noam Chomsky, Middle East Illusions: Including Peace in the Middle East? Reflections on Justice and Nationhood (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2004).

[146←]

Merriam-Webster, "Gallery: Word of the Year 2015." Available online at:

https://www.merriam-webster.com/wor
-2015. Catherine Rampell, "Millennials Have a Higherds-at-play/word-of-the-year
Opinion of Socialism Than of Capitalism," Washington Post, 5 February 2016.
Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
-rampage/wp/2016/02/05/millennials/
-have-a-higher-opinion-of-socialism
./than-of-capitalism

[147←]

United Nations General Assembly, 20 September st Statement by Hugo Chávez at 61
2006. Available online at:

http://www.un.org/webcast/ga/61/pdf
.s/venezuela-e.pdf

[148←]

Mark Tran, "Indian Student Leader Accused of Sedition 'Beaten Up by Lawyers,'"
Guardian, 17 February 2016.

[149←]

Arundhati Roy, et al., The Hanging of Afzal Guru and the Strange Case of the Attack on the Indian Parliament, rev. ed. (Delhi: Penguin India, 2016).

[150←]

BBC News, "India Student Leader Held on Sedition Charges," 12 February 2016.
Available online at:

-http://www.bbc.com/news/world-asia
-35560518. 020-70361_ch01_5P.indd 207 10/5/17 11:14 AM notes - 208 -india

[151←]

David Barstow and Suhasini Raj, "Indian Muslim, Accused of Stealing a Cow, Is Beaten to Death by a Hindu Mob," New York Times, 4 November 2015. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2015/11/05
-world/asia/hindu-mob-kills-another
indian-muslim-accused-of-harming-co
.ws.html

[152←]

Leonard Weiss, "What Do Past Nonproliferation Failures Say About the Iran Nuclear Agreement?" Bulletin of the Atomic Scientists, 1 September 2015. Available online at:

http://thebulletin.org/what-do-past
nonproliferation-failures-say-abou-
.t-iran-nuclear-agreement8706

[153←]

Matthew Weaver, "Chomsky Hits Back at Erdoğan, Accusing Him of Double Standards on Terrorism," Guardian, 14 January 2016. Available online at:

https://www.theguardian.com/us-news
jan/14/chomsky-hits-back-erdo/2016/
gan-double-standards-terrorism-bomb
.istanbul-

[154←]

Tuvan Gumrukcu and Orhan Coskun, "Turkey's Erdogan Blames Kurdish Militants After Bomb Kills at Least 13, Wounds 56," Reuters, 17 December 2016. Available online at:

http://www.reuters.com/article/us-t
.urkey-blast-idUSKBN14605H

[155←]

Human Rights Watch, "Turkey: Mounting Security Operation Deaths," 22 December 2015. Available online at:

https://www.hrw.org/news/2015/12/22
turkey-mounting-security-operation/
.deaths-

[156←]

Agence France-Presse, "Turkish Journalists Charged over Claim That Secret Services Armed Syrian Rebels," Guardian, 26 November 2015. Available online at:

https://www.theguardian.com/world/2
nov/27/turkish-journalists-char/015
ged-over-claim-that-secret-services
.armed-syrian-rebels-

[157←]

Reporters Without Borders, "RSF Launches International Appeal for Release of Cumhuriyet Journalists," 1 December 2015. Available online at:

https://rsf.org/en/news/rsf-launche
s-international-appeal-release-cumh
.uriyet-journalists

[158←]

Noam Chomsky and Christophe Deloire, "Turkey Continues to Muzzle Democracy's Watchdogs," Washington Post, 12 November 2015. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/opin
ions/turkey-muzzles-democracys-watc
-895d-11e5-be8b -1ae2e4f50f76_story.html?hdogs/2015/11/12/09c55400
utm_term=.1d13e370ae26.

[159←]

Wes Enzinna, "A Dream of Secular Utopia in ISIS' Backyard," New York Times Magazine, 24 November 2015. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2015/11/29
.magazine/a-dream-of-utopia-in-hell
.html

[160←]

Thomas Ferguson, Golden Rule: The Investment Theory of Party Competition and the Logic of Money-Driven Political Systems (Chicago: University of Chicago Press, 1995).

[161←]

Lee Fang, "Gerrymandering Rigged the 2014 Elections for GOP Advan020-70361_ch01_5P.indd 208 10/5/17 11:14 AM notes - 209 - tage," BillMoyers.com, 5 November 2016. Available online at:

http://billmoyers.com/2014/11/05/ge
-rrymandering-rigged-2014-elections
./republican-advantage

[162←]

Adam Liptak, "Supreme Court Invalidates Key Part of Voting Rights Act," New York Times, 25 June 2013. Available online at:

http://www.nytimes.com/2013/06/26/u
.s/supreme-court-ruling.html

[163←]

Rory McVeigh, David Cunningham, and Justin Farrell, "Political Polarization as a Social Movement Outcome: 1960s Klan Activism and Its Enduring Impact on Political Realignment in Southern Counties, 1960- 2000," American Sociological Review 79, no. 6 (2014): 1144-71. Available online at:

http://www.brandeis.edu/now/2014/de
.cember/cunningham-kkk-impact.html

[164←]

Walter Dean Burnham, "The Changing Shape of the American Political Universe," American Political Science Review 59, no. 1 (March 1965): 7-28.

[165←]

Noam Chomsky, "2016 Harvard Trade Union Program," 22 January 2016. Transcript and audio available from Alternative Radio:

https://www.alternativeradio.org/pr
.oducts/chon247

[166←]

Jack Shenker, The Egyptians: A Radical Story (New York: New Press, 2016).

[167←]

Neil MacFarquhar and Merna Thomas, "Russian Airliner Crashes in Egypt, Killing 224," New York Times, 31 October 2015. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2015/11/01
world/middleeast/russian-plane-cras
.hes-in-egypt-sinai-peninsula.html

[168←]

Noam Chomsky, What Kind of Creatures Are We? (New York: Columbia University Press, 2015).

[169←]

Noam Chomsky interviewed by David Barsamian, "The Multiple Crises of Neoliberal Capitalism and the Need for a Global Working Class Response," International Socialist Review 101 (Summer 2016). Available online at:

http://isreview.org/issue/101/multi
ple-crises-neoliberal-capitalism-an
d-need-global-working-class-respons
.e

[170←]

Ben Geman, "Ohio Gov. Kasich Concerned by Climate Change, but Won't 'Apologize' for Coal," Hill, 2 May 2012. Available online at:

http://thehill.com/policy/energy-en
vironment/225073-kasich-touts-clima
te-belief-but-wont-apologize-for-co
.al

[171←]

Drew DeSilver, "For Most Workers, Real Wages Have Barely Budged for Decades," Pew Research Center, 9 October 2014. Available online at:

http://www.pewresearch.org/fact-tan
-k/2014/10/09/for-most-workers-real
wages-have-barely-budged-for-decade
./s

[172←]

Ryan Teague Beckwith, "Read Hillary Clinton and Donald Trump's Remarks at a Military Forum," Time, 7 September 2016. Available online at:

http://time.com/4483355/commander-c
./hief-forum-clinton-trump-intrepid

[173←]

Thomas Frank interviewed by David Barsamian, "What's the Matter with the Democratic Party?," Alternative Radio, 25 June 2016. Transcript and audio available from Alternative Radio:

https://www.alternativeradio.org/co
llections/spk_thomas-frank/products

.frat005/

[174←]

Daniel White, "Read Hillary Clinton's Speech Touting 'American Exceptionalism,'" Time, 31 August 2016. Available online at:

http://time.com/4474619/read-hillar
./y-clinton-american-legion-speech

[175←]

Bob Herbert, "In America: War Games," New York Times, 22 February 1998. Available online at:

http://www.nytimes.com/1998/02/22/o
.pinion/in-america-war-games.html

[176←]

Samantha Power, "US Diplomacy: Realism and Reality," New York Review of Books 63, no. 13 (18 August 2016). Available online at:

http://www.nybooks.com/articles/201
us-diplomacy-realism-and-re/6/08/18
./ality

[177←]

Michael Smith and Jeffrey M. Jones, "U.S. Satisfaction Remains Low Leading Up to Election," Gallup, 13 October 2016. Available online at:

http://www.gallup.com/poll/196388/s
atisfaction-remains-low-leading-ele
.ction.aspx

[178←]

Frank Newport, "As Debate Looms, Voters Still Distrust Clinton and Trump," Gallup, 23 September 2013. Available online at:

http://www.gallup.com/poll/195755/d
ebate-looms-voters-distrust-clinton
.trump.aspx-

[179←]

Frank Newport, "Congressional Approval Sinks to Record Low," Gallup, 12 November 2016. Available online at:

http://www.gallup.com/poll/165809/c
-ongressional-approval-sinks-record
.low.aspx

[180←]

Pew Research Center, "Beyond Distrust: How Americans View Their Government," 23 November 2015. Available online at:

http://www.people-press.org/2015/11
beyond-distrust-how-americans-v/23/
. 020-70361_ch01_5P.indd 210 10/5/17 11:14 AM notes - 211/iew-their-government
-

[181←]

BBC News, "Trump Says Putin ‘A Leader Far More Than Our President,’" 8 September 2016. Available online at:

http://www.bbc.com/news/election-us
.2016-37303057-

[182←]

Elise Gould, "U.S. Lags Behind Peer Countries in Mobility," Economic Policy Institute, 10 October 2012. Available online at:

-http://www.epi.org/publication/usa
. David Leonhardt, "The American Dream, Quantified/lags-peer-countries-mobility
at Last," New York Times, 8 December 2016. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2016/12/08
opinion/the-american-dream-quantifi
.ed-at-last.html

[183←]

John Kenneth Galbraith, The Affluent Society (1958; rpt., New York: Mariner Books, 1998), 191.

[184←]

Council of Economic Advisers, "Investing in Higher Education: Benefits, Challenges, and the State of Student Debt," report for the Executive Office of the President, July

2016. Available online at:

https://www.whitehouse.gov/sites/de
fault/files/page/files/20160718_cea
debt.pdf.student

[185←]

Dwight D. Eisenhower, letter to Edgar Newton Eisenhower, 8 November 1954. Available online at:

/http://teachingamericanhistory.org
library/document/letter-to-edgar-ne
./wton-eisenhower

[186←]

Alison Smale, "Austria Rejects Far-Right Presidential Candidate Norbert Hofer," New York Times, 4 December 2016. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2016/12/04
-world/europe/norbert-hofer-austria
.election.html

[187←]

Molly Moore, "In France, Prisons Filled with Muslims," Washington Post, 29 April 2008. Available online at:

http://www.washingtonpost.com/wp-dy
n/content/article/2008/04/28/AR2008
.html.042802560

[188←]

Mark Weisbrot, Failed: What the Global "Experts" Got Wrong About the Global Economy (New York: Oxford University Press, 2015).

[189←]

Image available online at:

http://www.spiegel.de/spiegel/print
-2016-46.html.index/

[190←]

World Meteorological Organization, The Global Climate in 2011-2015, WMO-No. 1179. Available online at:

_num.php?explnum_id=3103.http://library.wmo.int/opac/doc

[191←]

United Nations News Centre, "Past Five Years Hottest on Record, Says UN Weather Agency," 8 November 2016. Available online at:

http://www.un.org/apps/news/story.a
.sp?NewsID=55503#.WFhHtpKkdRk

[192←]

John Vidal, "'There's No Plan B': Climate Change Scientists Fear Consequence of Trump Victory," Guardian, 12 November 2016. Available online 020-70361_ch01_5P.indd 211 10/5/17 11:14 AM notes - 212 - at:

https://www.theguardian.com/environ
ment/2016/nov/12/climate-change-mar
.rakech-no-plan-b--trump-victory

[193←]

Gardiner Harris, "Borrowed Time on Disappearing Land," New York Times, 28 March 2014. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2014/03/29
world/asia/facing-rising-seas-bangl
adesh-confronts-the-consequences-of
.climate-change.html-

[194←]

Pope Francis, "Migrants and Refugees Challenge Us: The Response of the Gospel of Mercy," 17 January 2016. Available online at:

https://w2.vatican.va/content/franc
esco/en/messages/migration/document
s/papa-francesco_20150912_world-mig
.rants-day-2016.html

[195←]

United Nations High Commissioner for Refugees, Global Trends: Forced Displacement in 2015. Available online at:

.http://www.unhcr.org/576408cd7.pdf

[196←]

Ben Dreyfuss, "Germany Has Taken In 800,000 Refugees. Guess How Many the US Has Taken In?" Mother Jones, 3 September 2015. Available online at:

http://www.motherjones.com/mojo/201
germany-has-taken-800000-refug/5/09
.ees-guess-how-many-us-has-taken

[197←]

Vince Chadwick, "Erdoğan Slams 'Hypocritical' EU over Human Rights Criticism," Politico (European edition), 21 March 2016. Available online at:

http://www.politico.eu/article/rece
tical-eu-over-human-rights-criticism-turkey-p-tayyip-erdogan-slams-hypocri
migration-crisis-europe-refugees/.

[198←]

WaterAid released a report in March 2016 for World Water Day. See Bihuti Agarwal, "Indians Have the Worst Access to Safe Drinking Water in the World," Wall Street Journal, 22 March 2016.

[199←]

Andy Barr, "The GOP's No-Compromise Pledge," Politico, 28 October 2010. Available online at:

/http://www.politico.com/story/2010
the-gops-no-compromise-pledge-04/10
.4311

[200←]

Andy Barr, "The GOP's No-Compromise Pledge," Politico, 28 October 2010. Available online at:

/http://www.politico.com/story/2010
the-gops-no-compromise-pledge-04/10
.4311

[201←]

Patti Domm, "Peabody Energy Shares Rocket After Trump Wins Presidency," Market Insider, CNBC, 9 November 2016,

http://www.cnbc.com/2016/11/09/peab
ody-energy-shares-rocket-after-trum
.p-wins-presidency.html

[202←]

Lawrence Mishel, Elise Gould, and Josh Bivens, "Wage Stagnation in Nine Charts," Economic Policy Institute, 6 January 2015. Available online at:

http://www.epi.org/publication/char
. 020-70361_ch01_5P.indd 212 10/5/17 11:14 AM notes - 213/ting-wage-stagnation
-

[203←]

Arlie Hochschild, Strangers in Their Own Land: Anger and Mourning on the American Right (New York: New Press, 2016).

[204←]

The Omaha People's Party Statement is collected in Howard Zinn and Anthony Arnove, eds., Voices of a People's History of the United States (New York: Seven Stories, 2004).

[205←]

Brady Dennis and Steven Mufson, "As Trump Administration Grants Approval for Keystone XL Pipeline, an Old Fight Is Reignited," Washington Post, 24 March 2017. Available online at:

tonpost.com/news/energy-environment/wp/2017/03/24/trump-https://www.washing
administration-grants-approval-for-keystone-xl-pipeline/?utm_term
=.dabc79d21200.

[206←]

Kevin Liptak and Dan Merica, "Trump Believes Millions Voted Illegally, WH Says—but Provides No Proof," CNN, 25 January 2017. Available online at:

http://www.cnn.com/2017/01/24/polit
ics/wh-trump-believes-millions-vote
.d-illegally/index.html

[207←]

Alan Rappeport, "Bill to Erase Some Dodd-Frank Banking Rules Passes in House," New York Times, 8 June 2017. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2017/06/08
business/dealbook/house-financial-r
.egulations-dodd-frank.html

[208←]

Thomas E. Mann and Norman J. Ornstein, "Finding the Common Good in an Era of Dysfunctional Governance," Dædalus: The Journal of the American Academy of Arts & Sciences 142, no. 2 (Spring 2013).

[209←]

Hans M. Kristensen, Matthew McKinzie, and Theodore A. Postol, "How US Nuclear Force Modernization Is Undermining Strategic Stability: The Burst-Height Compensating Super-Fuze," Bulletin of the Atomic Scientists, 1 March 2017. Available online at:

http://thebulletin.org/how-us-nucle
-ar-force-modernization-undermining
strategic-stability-burst-height-co
.mpensating-super10578

[210←]

Jonathan Easley, "Poll: Bernie Sanders Country's Most Popular Active Politician," Hill, 18 April 2017. Available online at:

http://thehill.com/homenews/campaig
n/329404-poll-bernie-sanders-countr
. 020-70361_ch01_5P.indd 213 10/5/17 11:14 AMys-most-popular-active-politician
notes - 214 -

[211←]

Robert Pollin, Greening the Global Economy (Cambridge, MA: MIT Press, 1995).

[212←]

Gar Alperovitz, America Beyond Capitalism: Reclaiming Our Wealth, Our Liberty, and ed. (Washington, DC: Democracy Collaborative Press and nd Our Democracy, 2 Dollars and Sense, 2011).

[213←]

Karl Marx, The Eighteenth Brumaire of Louis Napoleon (New York: International Publishers, 1994), ch. 7.

[214←]

Gary Milhollin, testimony in United States Export Policy Toward Iraq Prior to Iraq’s Invasion of Kuwait: Hearing Before the Committee on Banking, Housing, and Congress, 27 October 1992. See also Chomsky,ndUrban Affairs, U.S. Senate, 102 Hegemony or Survival (New York: Metropolitan Books, 2003), 111-12, and Chomsky, Failed States (New York: Metropolitan Books, 2006), 28-29.

[215←]

David E. Sanger and Gardiner Harris, "U.S. Pressed to Pursue Deal to Freeze North Korea Missile Tests," New York Times, 21 June 2017. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2017/06/21
world/asia/north-korea-missle-tests
.html.

[216←]

Blaine Harden, "The U.S. War Crime North Korea Won’t Forget," Washington Post, 24 March 2015. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/opin
ions/the-us-war-crime-north-korea-w
ont-forget/2015/03/20/fb525694-ce80
.11e4-8c54-ffb5ba6f2f69_story.html-

[217←]

For further analysis, see Noam Chomsky, The Essential Chomsky, ed. Anthony Arnove (New York: New Press, 2008), 185-86.

[218←]

Choe Sang-Hun, "South Korea Elects Moon Jae-in, Who Backs Talks with North, as President," New York Times, 9 May 2017. Available online at:

/https://www.nytimes.com/2017/05/09
world/asia/south-korea-election-pre
.sident-moon-jae-in.html

[219←]

./https://diem25.orgSee the DiEM25 website at:

[220←]

Peter Holley, Abby Ohlheiser, and Amy B. Wang, "The Doomsday Clock Just Advanced, 'Thanks to Trump': It's Now Just 2½ Minutes to 'Midnight,'" Washington Post, 26 January 2017. Available online at:

https://www.washingtonpost.com/news
/speaking-of-science/wp/2017/01/26/
the-doomsday-clock-just-moved-again
-its-now-two-and-a-half-minutes-to-
./midnight